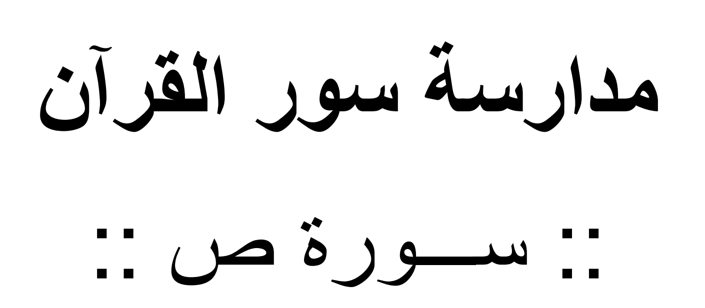


1. سورة ص
2. سورة الزمر
3. سورة غافر
4. سورة فصلت
5. سورة الشورى
6. سورة الزخرف
7. سورة الدخان
8. سورة الجاثية
9. سورة الأحقاف
10. سورة محمد
11. سورة الفتح
12. سورة الحجرات

""الجزء الخامس""

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم



مدارسة سور القرآن

:: ســــورة ص ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـــورة ص

بين يدي السورة:

- تسمى السورة الكريمة سورة (ص) وهوحرف من حروف الهجاء، للإشادة بالكتاب المعجز الذي تحدى الله به الأولين والآخرين، وهو المنظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية.
- فضل السورة: هذه السورة الكريمة من المثاني، ومما ورد في فضل المثاني: ما رواه الإمام أحمد وغيره، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أُعطيت مكان التوراة السّبع، وأُعطيت مكان الزّبور المئين، وأُعطية مكان الإنجيل المثاني، وفُضّلت بالمُفصّل).
- سورة مكية.
- محور السورة: هدفها نفس هدف السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية.

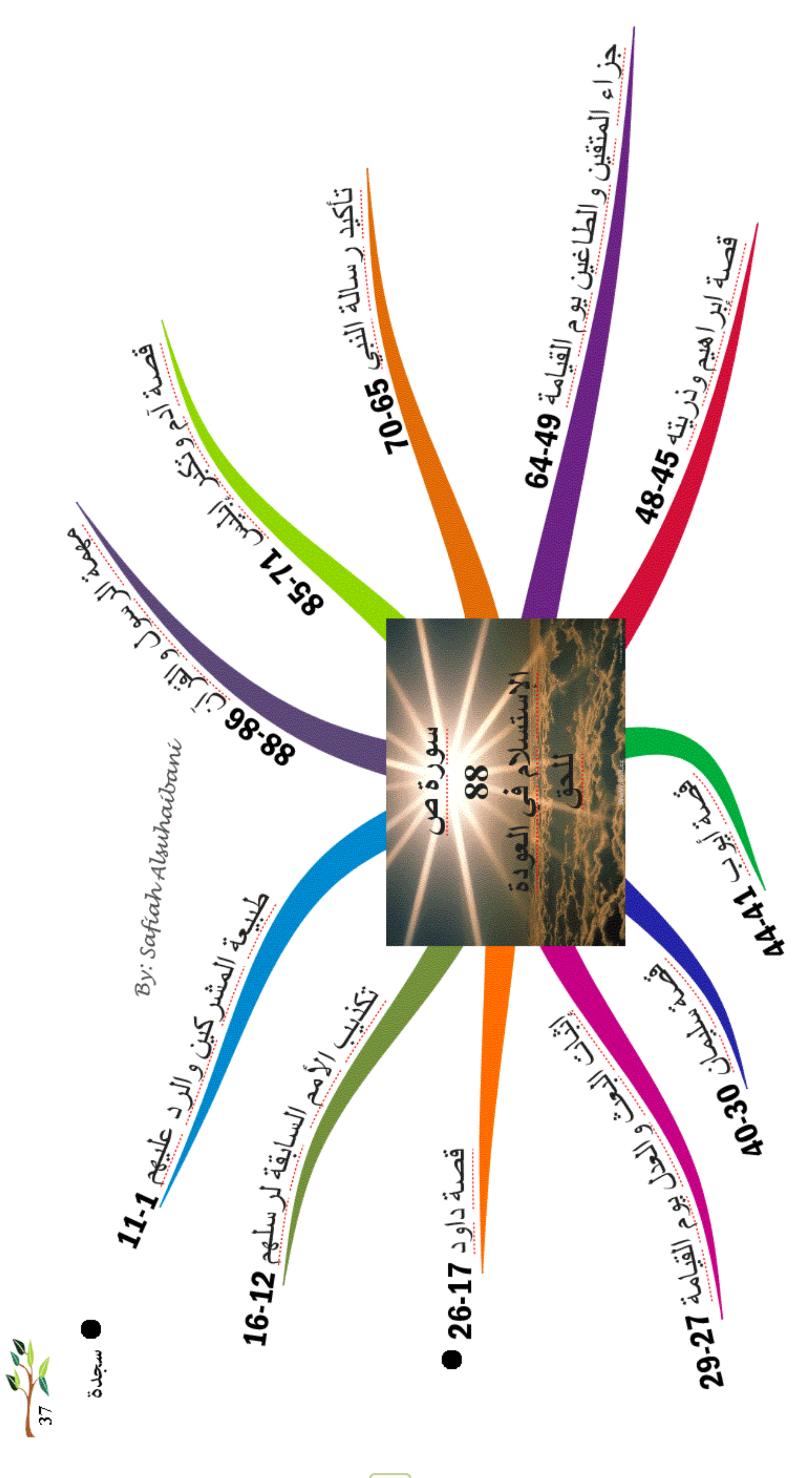
المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

الصلة قوية وواضحة بين مطلع سورة ص، وخاتمة السورة التي قبلها (الصافات)؛ ففي نهاية سورة الصافات تهديد للكفار بالهزيمة في الدنيا وبعذاب الله تعالى في الآخرة "أفبعذابنا يستعجلون * فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المُنذرين * وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون"، وفي أول (ص) حديث عن إهلاك القرون السابقة المكذبة، ولم ينفعهم ندمهم حين ندموا "كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص".

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

هناك ارتباط بين مضمون سورة (ص) والسورة التي قبلها (الصافات)، فمجيء (ص) بعد الصافات كـ (النمل) بعد الشعراء، وكـ (طه والأنبياء) بعد (مريم) وكـ (يوسف) بعد (هود) في كونها متممة لها بذكر من بقي من الأنبياء، ممن لم يُذكروا فيها؛ فإنه سبحانه ذكر في الصافات: نوحاً وإبراهيم والذبيح وموسى وهارون ولوطاً وإلياس ويونس. وذكر هنا: داود وسليمان وأيوب. وأشار إلى بقية من ذكر. فهي بعدها أشبه شيء بالأنبياء والنمل بعد مريم والشعراء.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٤٢):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (١ – ١١) موقف الكافرين من القرآن، وعجبهم من رسالة الإسلام.

الآيات (١٢ – ١٦) تذكير الكفار بما نال أسلافهم من العذاب.

الآيات (١٧ – ٢٦) قصة داود عليه السلام. لما كانت مقالة المشركين تقتضي الاستخفاف بالدين، أمر تعالى نبيه بالصبر على أذاهم، وذكر قصصاً للأنبياء (داود، وسليمان، وأيوب) وغيرهم، وما عرض لهم فصبروا حتى فرج الله عنهم وصارت عاقبتُهم أحسن عاقبة، فكذلك أنت تصبر ويؤول أمرك إلى أحسن مآل.

الآيات (٢٧ – ٢٩) الحكمة من خلق الأكوان وإنزال القرآن. لما ذكر سبحانه إنكار المشركين للقرآن والرسالة والحشر، وأعقبها بذكر قصة داود وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، ذكر هنا بعض البراهين على البعث والنشور.

الآيات (٣٠ – ٤٠) قصة سليمان عليه السلام.

الآيات (٤١ – ٤٤) قصة أيوب عليه السلام. جاءت قصة نبي الله أيوب عليه السلام تصور ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وفي عرضها تأسيه للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما كانوا يلقونه من الضر والبأساء في مكة؛ وتوجيه إلى ما وراء الابتلاء من رحمة.

التمهيد:

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

غفلنا ولم نشعر أننا غفلنا ،وهذا أدهى وأمر ،كثر القلق وانتشرت الفواحش ،وغلب الهم والحزن،وصاحب ذلك الأرق.

وانتشر الحسد والبغضاء والخلاف.......قلّ الاهتمام بركيزة الوعظ والتذكير..
هبت رياح المعصية فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا...وطال الأمد علينا وأصبحت في قلوبنا قسوة...أسأنا فهم الدين الذي هو سر تميزنا ،ونخشى أن نكون ممن قال الله فيهم(الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا...)
المتأمل في ذلك...
قست القلوب ،وتحجرت العيون ،وهجر كلام علام الغيوب
ما السر؟
لم تزين حياتنا بالعمل بالقرآن بل جعلت البركة في حمله وتلاوته وتركت البركة الحقيقية!

-ما هي البركة الحقيقية؟

قال تعالى: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته.........)
البركة الحقيقية في إتباعه وتطبيقه
قارئ القرآن لا يحزن لأنه يرى أن الأمور بيد الله ولأنه يرى أن الرزق بيد الله .
قارئ القرآن المتأمل فيه يعرف الله ويتعامل مع الله وحده فيكفيه الله همومه.
من رزق بركة القرآن تأتيه الآية قبل أن يعصي الله وتنهاه عن المعصية، ومن رزق بركة القرآن تأتيه الآية وتحثه على فعل الخير ..
هذه هي بركة القرآن الحقيقية العمل بالآيات والتطبيق ..
اقرؤوا كتاب الله وقفوا عند أوامره وعند نواهيه وقفوا عند آياته الكونية وعند أمثاله ، وقفوا عند حدوده.
عندئذ تعرفون أن القرآن حياة القلب وترزقون بركة القرآن نسأل الله من واسع فضله وأن يرزقنا بركة القرآن .
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلا اخْتِلاقٌ (٧) أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ (١٠) جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ (١١) .

هذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع من جاء به، فقال: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أي: ذي القدر العظيم والشرف، المُذَكِّر للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه.

- س – ما هو المقسم والمقسم به ؟

وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تَلَقِّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

- س – ما حال الكافرين وموقفهم من القران ؟

فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون الإيمان به وبمن أنزله، وصار معهم (عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به.

- س – ما حال الأمم السابقة وهل نفعهم شئ عند إهلاكهم ؟

فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسل، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن (وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أى: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فَلْيَحْذَرْ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم.

(وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) أي: عجب هؤلاء المكذبون في أمر ليس محل عجب، أن جاءهم منذر منهم، ليتمكنوا من التلقي عنه، وليعرفوه حق المعرفة، ولأنه من قومهم، فلا تأخذهم النخوة القومية عن اتباعه، فهذا مما يوجب الشكر عليهم، وتمام الانقياد له.

ولكنهم عكسوا القضية، فتعجبوا تعجب إنكار وَقَالُوا من كفرهم وظلمهم: (هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) وذنبه -عندهم- أنه (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا) أى: كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد، ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده. (إِنَّ هَذَا) الذي جاء به (لَشَيْءٌ عُجَابٌ) أي: يقضي منه العجب لبطلانه وفساده.

- س – من الذين يسمع قولهم في قومهم ؟

(وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ) المقبول قولهم، محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك. (أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) أى: استمروا عليها، وجاهدوا نفوسكم في الصبر عليها وعلى عبادتها، ولا يردكم عنها راد، ولا يصدنكم عن عبادتها، صاد. (إِنَّ هَذَا) الذي جاء به محمد، من النهي عن عبادتها (لَشَيْءٌ يُرَادُ) أي: يقصد، أي: له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده، من الحجج والبراهين، وهم قصدهم، أن محمدا، ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، ويكون معظما عندكم، متبوعا.

(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا) القول الذي قاله، والدين الذي دعا إليه .

- س – ما المقصود بالملة الآخرة؟

(فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ) أي: في الوقت الأخير، فلا أدركنا عليه آباءنا، ولا آباؤنا أدركوا آباءهم عليه، فامضوا على الذي مضى عليه آباؤكم، فإنه الحق، وما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه، وكذب افتراه، وهذه أيضا شبهة من جنس شبهتهم الأولى، حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول، وهو أنه قول مخالف لما عليه آباؤهم الضالون، فأين في هذا ما يدل على بطلانه؟.

(أَءُنزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) أي: ما الذي فضله علينا، حتى ينزل الذكر عليه من دوننا، ويخصه الله به؟ وهذه أيضا شبهة، أين البرهان فيها على رد ما قاله؟ وهل جميع الرسل إلا بهذا الوصف، يَمُنُّ الله عليهم برسالته، ويأمرهم بدعوة الخلق إلى الله.

- س – من أين صدرت أقوالهم ؟

لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لرد ما جاء به الرسول، أخبر تعالى من أين صدرت، وأنهم (فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) ليس عندهم علم ولا بينة.

فلما وقعوا في الشك وارتضوا به، وجاءهم الحق الواضح، وكانوا جازمين بإقامتهم على شكهم، قالوا ما قالوا من تلك الأقوال لدفع الحق، لا عن بينة من أمرهم، وإنما ذلك من باب الائتفاك منهم.

ومن المعلوم، أن من هو بهذه الصفة يتكلم عن شك وعناد، إن قوله غير مقبول، ولا قادح أدنى قدح في الحق، وأنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه، ولهذا توعدهم بالعذاب فقال: (بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ) أي: قالوا هذه الأقوال، وتجرأوا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا، لم يصبهم من عذاب الله شيء، فلو ذاقوا عذابه، لم يتجرأوا.

(أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) فيعطون منها من شاءوا، ويمنعون منها من شاءوا، حيث قالوا: (أَءُنزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) أي: هذا فضله تعالى ورحمته، وليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على الله.

(أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) بحيث يكونون قادرين على ما يريدون. (فَلْيَرْتَقُوا فِي الأسْبَابِ) الموصلة لهم إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله، فكيف يتكلمون، وهم أعجز خلق الله وأضعفهم بما تكلموا به؟! أم قصدهم التحزب والتجند، والتعاون على نصر الباطل وخذلان الحق؟ وهو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم، بل سعيهم خائب، وجندهم مهزوم، ولهذا قال: (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأحْزَابِ)

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥) .

يحذرهم تعالى أن يفعل بهم ما فعل بالأمم من قبلهم، الذين كانوا أعظم قوة منهم وتحزبا على الباطل، (قَوْم نُوحٍ وَعَاد) قوم هود (وَفِرْعَوْنُ ذُو الأوْتَادِ) أى: الجنود العظيمة، والقوة الهائلة.

(وَثَمُود) قوم صالح، (وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأيْكَةِ) أي: الأشجار والبساتين الملتفة، وهم قوم شعيب، (أُولَئِكَ الأحْزَابُ) الذين اجتمعوا بقوتهم وعَدَدِهمْ وعُدَدِهمْ على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئا.

(إِنْ كُلٌّ) من هؤلاء (إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ) عليهم (عِقَابِ) الله، وهؤلاء، ما الذي يطهرهم ويزكيهم، أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك. فلينتظروا (صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) أي: من رجوع ورد، تهلكهم وتستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه.

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) .

س ــ ما معنى قطنا؟

أي: قال هؤلاء المكذبون، من جهلهم ومعاندتهم الحق، مستعجلين للعذاب: (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) أي: قسطنا وما قسم لنا من العذاب عاجلا (قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) ولَجُّوا في هذا القول، وزعموا أنك يا محمد، إن كنت صادقا، فعلامة صدقك أن تأتينا بالعذاب، فقال لرسوله:

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ (١٧) .

(اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) كما صبر مَنْ قبلك من الرسل، فإن قولهم لا يضر الحق شيئا، ولا يضرونك في شيء، وإنما يضرون أنفسهم.

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠) .

- س – ما السبب المعين على الصبر ؟

لما أمر الله رسوله بالصبر على قومه، أمره أن يستعين على الصبر بالعبادة لله وحده، ويتذكر حال العابدين، كما قال في الآية الأخرى: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا

س ــ ما دلالة قوله " ذا الأيد"؟

ومن أعظم العابدين، نبي الله داود عليه الصلاة والسلام (ذَا الأيْدِ) أي: القوة العظيمة على عبادة الله تعالى، في بدنه وقلبه. (إِنَّهُ أَوَّابٌ) أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح.

س ــ بماذا شكر الله لعبده داود عليه السلام مقابل حسن عبادته وإنابته؟

ومن شدة إنابته لربه وعبادته، أن سخر الله الجبال معه، تسبح معه بحمد ربها (بِالْعَشِيِّ وَالإشْرَاقِ) أول النهار وآخره.

(و) سخر (الطَّيْرَ مَحْشُورَةً) معه مجموعة (كُلٌّ) من الجبال والطير، لله تعالى (أَوَّابٌ) امتثالا لقوله تعالى: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ فهذه مِنَّةُ الله عليه بالعبادة.

ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) أي: قويناه بما أعطيناه من الأسباب وكثرة الْعَدَد والْعُدَدِ التي بها قوَّى الله ملكه، ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال: (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) أي: النبوة والعلم العظيم، (وَفَصْلَ الْخِطَابِ) أي: الخصومات بين الناس.

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) .

س ـــ لماذا جاء ذكر قصة الخصم بعد ذكر صفات النبي داود عليه السلام؟

لما ذكر تعالى أنه آتى نبيه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفا بذلك مقصودا، ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له، وقيض له هذه القضية، فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ) فإنه نبأ عجيب (إِذْ تَسَوَّرُوا) على داود (الْمِحْرَابَ) أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان، ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف، فقالوا له: نحن (خَصْمَانِ) فلا تخف (بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) بالظلم (فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) أي: بالعدل، ولا تمل مع أحدنا (وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ)

والمقصود من هذا، أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقصان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما.

فقال أحدهما: (إِنَّ هَذَا أَخِي) نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضائها عدم البغي، وأن بغيه الصادر منه أعظم من غيره. (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) أي: زوجة، وذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه الله.

(وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) فطمع فيها (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) أي: دعها لي، وخلها في كفالتي. (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد.

فقال داود ـ لما سمع كلامه ـ ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر، فلا وجه للاعتراض بقول القائل: « لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر » ؟ (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) وهذه عادة الخلطاء والقرناء الكثير منهم، فقال: (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) لأن الظلم من صفة النفوس. (إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فإن ما معهم

من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم. (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) كما قال تعالى وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (وَظَنَّ دَاوُدُ) حين حكم بينهما (أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) أي: اختبرناه ودبرنا عليه هذه القضية ليتنبه (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ) لما صدر منه، (وَخَرَّ رَاكِعًا) أي: ساجدا (وَأَنَابَ) لله تعالى بالتوبة النصوح والعبادة.

(فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات، فقال: (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى) أي: منزلة عالية، وقربة منا، (وَحُسْنَ مَآبٍ) أي: مرجع.

س ـــ ما الحكمة من عدم ذكر الذنب الذي وقع من داود عليه السلام؟

وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها.

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) أي: العدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، (وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى) فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر (فَيُضِلَّكَ) الهوى (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ويخرجك عن الصراط المستقيم، (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) خصوصا المتعمدين منهم، (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ (٢٩) .

يخبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات والأرض، وأنه لم يخلقهما باطلا أي: عبثا ولعبا من غير فائدة ولا مصلحة.

(ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بربهم، حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله. (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) فإنها التي تأخذ الحق منهم، وتبلغ منهم كل مبلغ.

س ـــ ما الحكمة من خلق السماوات والأرض؟

وإنما خلق الله السماوات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته وسعة سلطانه، وأنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مثقال ذرة من السماوات والأرض، وأن البعث حق، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر.

ولا يظن الجاهل بحكمة الله أن يسوي الله بينهما في حكمه، ولهذا قال: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) هذا غير لائق بحكمتنا وحكمنا.

(كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله.

- س – ما هي أفضل الأعمال ؟

(لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

- س – من الذي ينتفع بالقران ؟

(وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألْبَابِ) أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) .

لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان عليهما السلام فقال: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه.

- س – ما هي الصفات التي اتصف بها سليمان عليه السلام تستحق المدح ؟

(نِعْمَ الْعَبْدُ) سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو (إِنَّهُ أَوَّابٌ) أي: رجَّاع إلى الله في جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء.

ولهذا، لما عرضت عليه الخيل الجياد السبق الصافنات أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظر رائق، وجمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المساء وذكره.

- س – ماذا فعل سليمان عليه السلام عندما ندم ؟

فقال ندما على ما مضى منه، وتقربا إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديما لحب الله على حب غيره: (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) وضمن (أحببت) معنى (آثرت) أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموما، وفي هذا الموضع المراد الخيل (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)

(رُدُّوهَا عَلَيَّ) فردوها (فَطَفِقَ) فيها (مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأعْنَاقِ) أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها.

(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية،

- س – ما المقصود بالجسد ؟

(وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) أي: شيطانا قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، (ثُمَّ أَنَابَ) سليمان إلى الله تعالى وتاب.

- س -هل اكتفى بالتوبة فقط ؟

فـ (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاد وأوثقه.

وقلنا له: (هَذَا عَطَاؤُنَا) فَقَرَّ به عينا (فَامْنُنْ) على من شئت، (أَوْ أَمْسِكْ) من شئت (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي: لا حرج عليك في ذلك ولا حساب، لعلمه تعالى بكمال عدله، وحسن أحكامه،

- س – هل كان هذا العطاء في الدنيا فقط ؟

ولا تحسبن هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة، بل له في الآخرة خير عظيم. ولهذا قال: (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) أي: هو من المقربين عند الله المكرمين بأنواع الكرامات لله.

- س – اذكر الفوائد من قصة داود وسليمان ؟

فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام

- فمنها: أن الله تعالى يقص على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا ـ في هذا الموضع ـ لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به.
- ومنها: أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.
- ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ
- ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.
- ومنها: أن من أكبر نعم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام.
- ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام.
- ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.
- ومنها: أن داود عليه السلام، [كان] في أغلب أحواله ملازما محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتا يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.
- ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.
- ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.
- ومنها: كمال حلم داود عليه السلام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبخهما.
- ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه « أنت ظلمتني » أو « يا ظالم » ونحو ذلك أو باغ علي لقولهما: خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ
- ومنها: أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشمئز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.
- ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.

- ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.
- ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.
- ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه.
- ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.
- ومنها: أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدا صالحا، فإن كان عالما، كان نورا على نور.
- ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)
- ومنها: كثرة خير الله وبره بعبيده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.
- ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.
- ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فَلْيُفَارِقْه ولْيُقْبِلْ على ما هو أنفع له.
- ومنها: القاعدة المشهورة « من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه » فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.
- ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان عليه السلام.
- ومنها: أن سليمان عليه السلام، كان ملكا نبيا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الحال أكمل.

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) .

- س – أين كان الذكر ؟

أي: (وَاذْكُرْ) في هذا الكتاب ذي الذكر (عَبْدَنَا أَيُّوبَ) بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه.

فـ (نَادَى رَبَّهُ) داعيا، وإليه لا إلى غيره شاكيا، فقال: رب (أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) أي: بأمر مشق متعب معذب، وكان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتد به الأمر، وكذلك هلك أهله وماله.

فقيل له: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى.

لمسات بيانية:

آية (٣):

***ما أصل كلمة لات في قوله تعالى (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) ص)؟ (د.حسام النعيمى)**

لات من أخوات ليس ويكون دائماً أحد معموليها محذوفاً. ففي قوله تعالى (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) ص) حين هنا خبر لات منصوب واسمها محذوف يعني لات الحينُ حينَ مناص وكذلك ولات الساعةُ ساعةَ مندم وورد العكس ولات ساعةُ مندم.

آية (٥):

***قال تعالى في سورة ق (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)) وفي سورة هود (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)) وفي سورة ص (أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)) ما الفرق بين عجيب وعجاب؟(د.فاضل السامرائى)**

لو عدنا إلى الآيات في الأولى (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)) عجبوا أن جاءهم منذر منهم فجاء بلفظ (عجيب) والثانية أن امرأة عقيماً وعجوز وبعلها شيخ فكيف تلِد والعقيم أصلاً لا تلِد ولو كان رجُلُها فتى فهي عقيم وعجوز وفي الآية من دواعي العجب ما هو أكثر من الآية الأولى لذا دخل التوكيد بـ (إنّ واللام) تأكيدا العجب ناتج عن أن مُثير العجب أكثر. أما في سورة ص (أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)) هم عجبوا أن جاءهم منذر منهم أولاً ثم عجبوا أن جعل الآلهة إلهاً واحداً فصارت دواعي العجب أكثر من سورة ق التي تعجبوا فيها من أن جاءهم منذر منهم فقط. إضافة إلى ذلك في

سورة ص هناك أمر آخر هو جعل الآلهة إلهاً واحداً وهو مشركون عريقون في الشرك فقاتلوه بسبب كلمة التوحيد فالعجب أكثر بعد وصفه بأنه ساحر وكذّاب فجاء بلام التوكيد وجاء بالصفة المشبهة المبالغة عُجاب.

***ما الفرق بين عجباً (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)الجن) وعجاب(إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) ص) ؟ (د.فاضل السامرائى)**

هو أكثر من عجيب عندما تصف بالمصدر كأنما تحول الشيء إلى مصدر تقول هذا رجل صِدقٌ ورجلٌ عدلٌ، (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ (١٨) يوسف) هذا أبلغ من كاذب، رجلٌ عدلٌ يعني كله عدل وأقوى من رجل عادل. في القرآن استخدم (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) ص) هذا وصف، إذن (عجباً) أقوى من عجاب لأن الوصف بالمصدر أقوى من الوصف بالصفة، عندما تقول هذا رجل سوءٌ أو رجل كذبٌ أو رجل صومٌ، هذا أبلغ من رجل صائم ومفطر وما إلى ذلك لأنه تقول رجل صائم إذا صام يوماً واحداً لكن لا تقول رجل صوم حتى يكون أكثر أيامه صوم وإذا قلنا رجل صوم يفهم أنه كثير الصيام. قرآناً عجباً ليس عجيباً وإنما فوق العجيب لذلك هذا ناسب ضمير الشأن.

آية (١٨):

***ما دلالة التعريف فى قوله تعالى مع سيدنا داوود (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) ص)؟(د.فاضل السامرائى)**

المعرفة غالباً تفيد الدوام أى ليس هناك يوم محدد، (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) فصلت) ليس هناك وقت محدد بينما في مريم قال (بكرة وعشياً) بكرة وعشية تأتي في وقت محدد. يعني لما تقول خرجت صباحاً يعني صباح يومٍ بعينه، لما تقول سأخرج صباحاً لا بد أن تأتي صباح يومٍ بعينه أما لما تقول سأخرج في الصباح يعني أيّ صباح ولذلك لما قال تعالى للرسول (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) غافر) ليس هناك أيام محددة جاء بها بالمعرفة (بالعشي والإبكار).

آية (٢٤):

***ما الفرق بين الركوع والسجود في القرآن (وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)) في سورة ص لم يقل خرّ ساجداً؟(د.فاضل السامرائى)**

الركوع له معاني منها الخضوع ويقال راكع لمن طأطأ رأسه ويقال للسجود لكا لماذا قال هنا خر راكعاً ولم يقل خر ساجداً؟ من جملة معاني الراكع مطأطئ الرأس، خرّ راكعاً أي كان مطأطئاً رأسه فسجد. الخرّ في اللغة السقوط إلى الأمام. وفي لغة اليمن الركعة هي الهويُّ إلى الأرض. فيقولون خرّ راكعاً إحتمال أنه كان مطأطئاً رأسه فلما قضى (وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ). أصلاً خرّ ساجداً لم يستعملها القرآن إلا مع سماع كلام الله وتلاوته (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) مريم) (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) السجدة) (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) الإسراء) لم يرد في القرآن خر ساجداً إلا في هذه الحال. هذا أمر. نأتي إلى خر راكعاً: هل ذكر في هذا الموطن لداوود عليه السلام معصية؟ كلا وإنما ذكر له خِلاف الأَوْلى في الحُكم أنه

سمع من أحدهما ولم يسمع من الآخر، ما ذكر له معصية إذن ذكر ما دون المعصية فذكر ما دون السجود وهو الركوع.

الوصايا العملية:

- أخذ العظة والعبرة بما حصل لالأمم السابقة عند تكذيبهم رسلهم .
- من رحمة الله بعباده أن يأتيهم رسول منهم يعرفون أخلاقه يشهدون له بالصدق والأمانة ويعرفون كلامه .
- أحذري من تثبيط الناس عن الحق والخير (مجلس ذكر _ صلة رحم) .
- انتبهي من ظن السوء .
- كل من جادل وهو على غير حق يتضح ذلك من خلال مجادلته فيوجه له اللوم .
- الذي يعينك على الصبر وتفريج الكرب التسبيح (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الصالحين) .
- إذا حصل لك أمر لا ترغبيه رحله _ شراء بيت فسبحي تنزيه لله عن النقص .
- اقتدي بلأنبياء بالرجوع إلى الله في كل أمورك .
- سبحي أول النهار وآخره .
- حسني صوتك بالقرآن .
- أعظم قواعد التربية الحلم والحكمة .
- كوني قوية في عبادتك فلا تكسلي عنها فالمؤمن القوي خير من الضعيف .
- إذا كان لديك منصب أو كنت مسؤولة أو داعية فليس ذلك مبرر على عدم التفرغ للعبادة .
- التواضع في تقبل النصح وعدم الاشمئزاز منها .
- باشري الذنب بالاستغفار لتكوني من أولياءه .
- لا يحكم إلا من عنده علم .
- الحذر من إتباع الهوى فالهوى يضيع الإنسان .
- تفكري في مخلوقات الله فهي تزيد إيمانك .
- اسألي الله بركة القرآن ولا يأتي ذلك إلا بالتدبر وفيه شفاء من كل داء .
- إذا قرأت آية ولان قلبك لها فكرريها وكوني معها صحبة يأتيك التدبر .
- قال عبد الله المبارك (لم أتدبر سورة التكاثر إلا بعدما كررتها ٢١ مرة) .
- تدبر القرآن من أفضل الأعمال تأخذين من كنوزه على حسب تدبرك .
- المتدبر أكبر أجر من الذي يقرأ هذا .
- من بركة القرآن تعترض لك المعصية فتجتنبيها والخير فتعمليه .
- استأذني عند الدخول على صاحب المنصب .
- كثرة الاختلاط بالناس يوقع في الخطأ والبغي والمانع من ذلك تقوى الله .
- من مكفرات الذنوب الاستغفار والصلاة .
- لا تطلبي الاستشارة إلا من كان لديه (الحلم والعلم والحكمة ولا يتبع هواه) .

- اسألي الله أن يرزقك الذرية الصالحة .
- كل ما أشغلك عن الله ذميه وفارقيه (جوال – أصدقاء) .
- سليمان عليه السلام عقر خيله لأنها أشغلته عن الصلاة فسخر الله له الريح والشياطين .
- اقرئي وردك وأيقني أنها شفاؤك .
- المتدبر يميز بين المفسد والمصلح .
- التدبر طريق التذكر والانتفاع .
- من اعتبر رجوعك عن الخطأ منقصه فهي محمده عند الله .
- الذنوب تمنع الخير فاطلبي من الله المغفرة ثم حاجتك .
- أيها المذنب لا تستحي من الكريم فاطلب ما تريد ولا تحجر واسع .

المقطع الثاني من الآية (٤٣) إلى الآية (٨٨):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٤١ – ٤٤) قصة أيوب عليه السلام. جاءت قصة نبي الله أيوب عليه السلام تصور ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وفي عرضها تأسيه للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما كانوا يلقونه من الضر والبأساء في مكة؛ وتوجيه إلى ما وراء الابتلاء من رحمة.

الآيات (٤٥ – ٥٤) قصة إبراهيم وذريته: إسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذي الكفل عليهم السلام.

الآيات (٥٥ – ٦٤) عقاب الطاغين الأشقياء.

الآيات (٦٥ – ٧٠) بيان مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإثبات الوحدانية.

الآيات (٧١ – ٨٨) قصة خلق آدم عليه السلام وإكرام الله له.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر واجعل لنا سريرة بيننا وبينك لا يعلمها إلا أنت ، وارزقنا الحسنات الجاريات..
خرّج الإمام أحمد رحمه الله من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج رسول الله سريعا فثوب بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته فلما سلم قال (كما أنتم على مصافكم) ثم أقبل إلينا فقال: (إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة ،فقال: يا محمد ،فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري رب فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري ، وتجلى لي كل شيء وعرفت ، فقال: يا محمد ،فيم يختصم الملأ الأعلى ؟قلت : في الكفارات ،والدرجات
قال : وما الكفارات ؟
قال: نقل الأقدام إلى الجمعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ،وإسباغ الوضوء على الكريهات .
فقال: وما الدرجات؟
قلت: إطعام الطعام ، ولين الكلام ،والصلاة والناس نيام .
قال: سلّ قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ،وأن تغفر لي وترحمني ،وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها حق فادرسوها وتعلموها.

-الاختصام المذكور في الحديث يفسره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ، وهو ليس مثل الاختصام المذكور في القرآن.
فالاختصام المذكور في القرآن كان في شأن آدم عليه السلام وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه.
اليوم بإذن الله سنتدارس في درسنا الاختصام المذكور في القرآن اختصام الملأ الأعلى.

فوائد وأسئلة تدبرية:

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) .

س ــ ما المقصود بقوله " ووهبنا له أهله" كيف ذلك وهم قد ماتوا؟

(وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ) قيل: إن الله تعالى أحياهم له (وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) في الدنيا، وأغناه الله، وأعطاه مالا عظيما (رَحْمَةً مِنَّا) بعبدنا أيوب، حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثوابا عاجلا وآجلا.

- س – من الذي يتعظ من هذه القصة ؟

(وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) أي: وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أن من صبر على الضر، أن الله تعالى يثيبه ثوابا عاجلا وآجلا ويستجيب دعاءه إذا دعاه.

- س – كيف كفر عن يمينه ؟

(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) أي حزمة شماريخ (فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ) قال المفسرون: وكان في مرضه وضره، قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها الله ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه.

(إِنَّا وَجَدْنَاهُ) أي: أيوب (صَابِرًا) أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى. (نِعْمَ الْعَبْدُ) الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء.

(إِنَّهُ أَوَّابٌ) أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله.

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) .

- س – بماذا وصف الله أنبياءه المذكورين ؟

يقول تعالى: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا) الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرا حسنا، (إِبْرَاهِيمَ) الخليل (و) ابنه (إِسْحَاقَ وَ) ابن ابنه (يَعْقُوبَ أُولِي الأيْدِي) أي: القوة على عبادة اللّه تعالى (وَالأبْصَار) أي: البصيرة في دين اللّه. فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير.

- س – بماذا خصهم الله ؟

(إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) عظيمة، وخصيصة جسيمة، وهي: (ذِكْرَى الدَّارِ) جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة للّه وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر.

(وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ) الذين اصطفاهم اللّه من صفوة خلقه، (الأخْيَارِ) الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم.

- س – بماذا ذكرهم الله ؟

وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ (٤٩) .

أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء، فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم اللّه من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة.

- س – ما هو الذكر ؟

(هَذَا) أي: ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة وذكر أوصافهم، (ذكر) في هذا القرآن ذي الذكر، يتذكر بأحوالهم المتذكرون، ويشتاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون، ويعرف ما منَّ اللّه عليهم به من الأوصاف الزكية، وما نشر لهم من الثناء بين البرية.

فهذا نوع من أنواع الذكر، وهو ذكر أهل الخير، ومن أنواع الذكر، ذكر جزاء أهل الخير وأهل الشر، ولهذا قال:

وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤) .

- س – من هم المتقين ؟

أي: (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) ربهم، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، من كل مؤمن ومؤمنة، (لَحُسْنَ مَآبٍ) أي: لمآبا حسنا، ومرجعا مستحسنا.

- س – ما هي جنات عدن ؟

ثم فسره وفصله فقال: (جَنَّاتِ عَدْنٍ) أي: جنات إقامة، لا يبغي صاحبها بدلا منها، من كمالها وتمام نعيمها، وليسوا بخارجين منها ولا بمخرجين.

- س – ماذا يدل عليه تفتح الأبواب ؟

(مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأبْوَابُ) أي: مفتحة لأجلهم أبواب منازلها ومساكنها، لا يحتاجون أن يفتحوها هم ، بل هم مخدومون، وهذا دليل أيضا على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها.

- س – ما حال أهل الجنة ؟

(مُتَّكِئِينَ فِيهَا) على الأرائك المزينات، والمجالس المزخرفات. (يَدْعُونَ فِيهَا) أي: يأمرون خدامهم، أن يأتوا (بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) من كل ما تشتهيه نفوسهم، وتلذه أعينهم، وهذا يدل على كمال النعيم، وكمال الراحة والطمأنينة، وتمام اللذة.

(وَعِنْدَهُمْ) من أزواجهم، الحور العين (قَاصِرَاتُ) طرفهن على أزواجهن، وطرف أزواجهن عليهن، لجمالهم كلهم، ومحبة كل منهما للآخر، وعدم طموحه لغيره، وأنه لا يبغي بصاحبه بدلا ولا عنه عوضا. (أَتْرَابٌ) أي: على سن واحد، أعدل سن الشباب وأحسنه وألذه.

- س – ما صفة هذا الرزق ؟

(هَذَا مَا تُوعَدُونَ) أيها المتقون (لِيَوْمِ الْحِسَابِ) جزاء على أعمالكم الصالحة.

(إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا) الذي أوردناه على أهل دار النعيم (مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) أي: انقطاع، بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات، متزايد في جميع الآنات.

وليس هذا بعظيم على الرب الكريم، الرءوف الرحيم، البر الجواد، الواسع الغني، الحميد اللطيف الرحمن، الملك الديان، الجليل الجميل المنان، ذي الفضل الباهر، والكرم المتواتر، الذي لا تحصى نعمه، ولا يحاط ببعض بره.

- س – القران مثانى عندما ذكر جزاء المتقين ذكر جزاء من ؟

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) .

(هَذَا) الجزاء للمتقين ما وصفناه (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ) أي: المتجاوزين للحد في الكفر والمعاصي (لَشَرَّ مَآبٍ) أي: لشر مرجع ومنقلب.

ثم فصله فقال: (جَهَنَّمَ) التي جمع فيها كل عذاب، واشتد حرها، وانتهى قرها (يَصْلَوْنَهَا)

- س – ما دلالة يصلونها ؟

أي: يعذبون فيها عذابا يحيط بهم من كل وجه، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل. (فَبِئْسَ الْمِهَادُ) المعد لهم مسكنا ومستقرا.

(هَذَا) المهاد، هذا العذاب الشديد، والخزي والفضيحة والنكال (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ) ماء حار، قد اشتد حره، يشربونه فَيقَطعُ أمعاءهم. (وَغَسَّاقٌ) وهو أكره ما يكون من الشراب، من قيح وصديد، مر المذاق، كريه الرائحة.

- س – هل اكتفي بهذا ؟

(وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ) أي: من نوعه (أَزْوَاجٌ) أي: عدة أصناف من أصناف العذاب، يعذبون بها ويخزون بها.

- س – ما حال أصحاب النار مع بعضهم ؟

وعند تواردهم على النار يشتم بعضهم بعضا، ويقول بعضهم لبعض: (هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) النار (لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ)

(قَالُوا) أي: الفوج المقبل المقتحم: (بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ) أي: العذاب (لَنَا) بدعوتكم لنا، وفتنتكم وإضلالكم وتسببكم. (فَبِئْسَ الْقَرَارُ) قرار الجميع، قرار السوء والشر.

ثم دعوا على المغوين لهم، فـ (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ)

وقال في الآية الأخرى: قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ .

- س – من فقد أهل النار ؟

وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) .

(وَقَالُوا) وهم في النار (مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ) أي: كنا نزعم أنهم من الأشرار، المستحقين لعذاب النار، وهم المؤمنون، تفقدهم أهل النار - قبحهم الله - هل يرونهم في النار؟

- س – بماذا فسروا عدم رؤيتهم لرجال الدين الذين يعتقدون أنهم من الأشرار؟

(أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ) أي: عدم رؤيتنا لهم دائر بين أمرين:

- إما أننا غالطون في عدنا إياهم من الأشرار، بل هم من الأخيار، وإنما كلامنا لهم من باب السخرية والاستهزاء بهم، وهذا هو الواقع، كما قال تعالى لأهل النار: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ
- والأمر الثاني أنهم لعلهم زاغت أبصارنا عن رؤيتهم معنا في العذاب وإلا فهم معنا معذبون ولكن تجاوزتهم أبصارنا فيحتمل أن هذا الذي في قلوبهم فتكون العقائد التي اعتقدوها في الدنيا وكثرة ما حكموا لأهل الإيمان بالنار تمكنت من قلوبهم وصارت صبغة لها فدخلوا النار وهم بهذه الحالة فقالوا ما قالوا.

ويحتمل أن كلامهم هذا كلام تمويه كما موهوا في الدنيا موهوا حتى في النار ولهذا يقول أهل الأعراف لأهل النار (أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)

قال تعالى مؤكدا ما أخبر به وهو أصدق القائلين (إِنَّ ذَلِكَ) الذي ذكرت لكم (لَحَقٌّ) ما فيه شك ولا مرية (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ)

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣ - ٨٨) .

- س – ما وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

(قُلْ) يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين، إن طلبوا منك ما ليس لك ولا بيدك: (إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ) هذا نهاية ما عندي، وأما الأمر فلله تعالى، ولكني آمركم، وأنهاكم، وأحثكم على الخير وأزجركم عن الشر فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَعَلَيْهَا

- س – ما الدليل من الآيات على توحيد الألوهيه والربوبيه ؟

(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ) أي: ما أحد يؤله ويعبد بحق إلا الله (الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهارين متساويين في قهرهما أبدا.

فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده، كما كان قاهرا وحده، وقرر ذلك أيضا بتوحيد الربوبية فقال: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: خالقهما، ومربيهما، ومدبرها بجميع أنواع التدابير. (الْعَزِيزُ) الذي له القوة، التي بها خلق المخلوقات العظيمة. (الْغَفَّارُ) لجميع الذنوب، صغيرها، وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع منها.

فهذا الذي يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئا، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار.

(قُلْ) لهم، مخوفا ومحذرا، ومنهضا لهم ومنذرا: (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) أي: ما أنبأتكم به من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، خبر عظيم ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله.

ولكن (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) كأنه ليس أمامكم حساب ولا عقاب ولا ثواب..

- س – ما الدليل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم ؟

فإن شككتم في قولي، وامتريتم في خبري، فإني أخبركم بأخبار لا علم لي بها ولا درستها في كتاب، فإخباري بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، أكبر شاهد لصدقي، وأدل دليل على حق ما جئتكم به، ولهذا قال: (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإ الأعْلَى) أي: الملائكة (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) لولا تعليم الله إياي، وإيحاؤه إلي، ولهذا قال: (إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) أي: ظاهر النذارة، جليها، فلا نذير أبلغ من نذارته صلى الله عليه وسلم.

- س – فيما يختصم الملأ الأعلى ؟

ثم ذكر اختصام الملأ الأعلى فقال: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ) على وجه الإخبار (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) أي: مادته من طين.

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أي: سويت جسمه وتم، (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) فوطّن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه ونفخ الروح فيه، امتثالا لربهم، وإكراما لآدم عليه السلام، فلما تم خلقه في بدنه وروحه، وامتحن اللّه آدم والملائكة في العلم، وظهر فضله عليهم، أمرهم اللّه بالسجود.

فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس لم يسجد (اسْتَكْبَرَ) عن أمر ربه، واستكبر على آدم (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) في علم اللّه تعالى.

- س – من الذى منع إبليس من السجود ؟

فـ (قَالَ) اللّه موبخا ومعاتبا: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أي: شرفته وكرمته واختصصته بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر عليه.

(أَسْتَكْبَرْتَ) في امتناعك (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)

- س – ما شبهة إبليس ؟

(قَالَ) إبليس معارضا لربه ومناقضا: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) وبزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين،

- س – ما الرد على هذه الشبهه ؟

وهذا من القياس الفاسد، فإن عنصر النار مادة الشر والفساد، والعلو والطيش والخفة وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع وإخراج أنواع الأشجار والنباتات وهو يغلب النار ويطفئها، والنار تحتاج إلى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي من اللّه، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلانا وفسادا من هذا القياس.

فـ (قَالَ) اللّه له: (فَاخْرُجْ مِنْهَا) أي: من السماء والمحل الكريم. (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) أي: مبعد مدحور.

(وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي) أي: طردي وإبعادي (إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) أي: دائما أبدا.

(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) لشدة عداوته لآدم وذريته، ليتمكن من إغواء من قدر اللّه أن يغويه.

- س ـ ما دلالة قوله تعالى (قال فإنك من من المنظرين) ؟

فـ (قال) اللّه مجيبا لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك: (فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان.

فلما علم أنه منظر، بادى ربه، من خبثه، بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته.

- س – ماذا تفيد الباء في فبعزتك ؟

فقال: (فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يحتمل أن الباء للقسم، وأنه أقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمعين.

- س – لماذا استثنى عباد الله المخلصين ؟

(إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) علم أن الله سيحفظهم من كيده. ويحتمل أن الباء للاستعانة، وأنه لما علم أنه عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحدا إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقا.

ونحن يا ربنا العاجزون المقصرون، المقرون لك بكل نعمة، ذرية من شرفته وكرمته، فنستعين بعزتك العظيمة، وقدرتك، ورحمتك الواسعة لكل مخلوق، ورحمتك التي أوصلت إلينا بها، ما أوصلت من النعم الدينية والدنيوية، وصرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على محاربته وعداوته، والسلامة من شره وشركه، ونحسن الظن بك أن تجيب دعاءنا، ونؤمن بوعدك الذي قلت لنا: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فقد دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا. إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) .

- س – ما دلالة تكرار الحق ؟

(قَالَ) الله تعالى (فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) أي: الحق وصفي، والحق قولي. (لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) فلما بين الرسول للناس الدليل ووضح لهم السبيل قال الله له:

(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أي: على دعائي إياكم (مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) أدعي أمرا ليس لي، وأقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحى إليَّ.

(إِنْ هُوَ) أي: هذا الوحي والقرآن (إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) يتذكرون به كل ما ينفعهم، من مصالح دينهم ودنياهم، فيكون شرفا ورفعة للعاملين به، وإقامة حجة على المعاندين.

- س – بماذا اشتملت عليه السورة ؟

فهذه السورة العظيمة، مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين، على من كذب بالقرآن وعارضه، وكذب من جاء به، والإخبار عن عباد الله المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين. فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين.

وأكثر التذكير بها فيما بين ذلك، كقوله: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا) (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا) (رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى) (هَذَا ذِكْرٌ).

اللّهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، نسيان غفلة ونسيان ترك.

(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ) أي: خبره (بَعْدَ حِينٍ) وذلك حين يقع عليهم العذاب وتتقطع عنهم الأسباب.

لمسات بيانية:

آية(٤٣):

***ما الفرق بين رحمة منا و رحمة من عندنا ؟(د.فاضل السامرائى)**

في القرآن يستعمل رحمة من عندنا أخص من رحمة منا، لا يستعمل رحمة من عندنا إلا مع المؤمنين فقط أما رحمة منا فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر. (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً (٥٠) فصلت) عامة، قال على سيدنا نوح (وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِه (٢٨) هود)، (من عندنا) يستعملها خاصة و (منا) عامة. حتى (نعمة منا) و (نعمة من عندنا)، يستعمل (منا) عامة و (نعمة من عندنا) خاصة مثل (فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ (٤٩) الزمر) (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) القمر).

آية (٥١):

*** ما دلالة استعمال الوصف (متكئين) لأهل الجنة خاصة؟(د.فاضل السامرائى)**

الاتّكاء غاية الراحة كأن الانسان ليس وراءه شيء لأن الانسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء. والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية هذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد.

آية (٦٧):

*** ما الفرق بين النبأ والخبر؟(د.فاضل السامرائى)**

النبأ كما يقول أهل اللغة أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) النمل) وفي القرآن النبأ أهم من الخبر (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) ص) (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) النبأ). والنبأ في اللغة هو الظهور وقد استعمل القرآن الكريم كلمة خبر مفردة في موطنين في قصة موسى (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) القصص) (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) النمل) وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم.

آية (٧٣):

***ما سبب التذكير مرة والتأنيث مرة مع الملائكة في القرآن الكريم؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة ص (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {٧٣}) وجاءت الملائكة هنا بالتذكير، وفي سورة آل عمران (فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ {٣٩}) جاءت الملائكة بالتأنيث.

الحكم النحوي: يمكن أن يؤنّث الفعل أو يُذكّر إذا كان الجمع جمع تكسير كما في قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) و(قالت نسوة في المدينة) فيجوز التذكير والتأنيث من حيث الحكم النحوي.

اللمسة البيانية: أما لماذا اختار الله تعالى التأنيث في موطن والتذكير في موطن آخر فهو لأن في الآيات خطوط تعبيرية هي التي تحدد تأنيث وتذكير الفعل مع الملائكة. وهذه الخطوط هي:

١. في القرآن الكريم كله كل فعل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير (اسجدوا، أنبئوني، فقعوا له ساجدين)
٢. كل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير أيضاً كما في قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) و(الملائكة يشهدون) (الملائكة يسبحون بحمد ربهم).
٣. كل وصف إسمي للملائكة يأتي بالتذكير (الملائكة المقرّبون) (الملائكة باسطوا أيديهم) (مسوّمين، مردفين، منزلين)
٤. كل فعل عبادة يأتي بالتذكير (فسجد الملائكة كلهم أجمعين) (لا يعصون الله ما أمرهم) لأن المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنثى ولذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.
٥. كل أمر فيه شِدّة وقوة حتى لو كان عذابين أحدهما أشدّ من الآخر فالأشدّ يأتي بالتذكير (ولو ترى إذا يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) (يتوفى) جاءت بالتذكير لأن العذاب أشد (وذوقوا عذاب الحريق) أما في قوله تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) (تتوفاهم) جاءت بالتأنيث لأن العذاب أخفّ من الآية السابقة. وكذلك في قوله تعالى (ونزّل الملائكة تنزيلا) بالتذكير وقوله تعالى (تتنزّل عليهم الملائكة) بالتأنيث وقوله (تنزل الملائكة والروح فيها من كل أمر) بالتأنيث.
٦. لم تأت بشرى بصيغة التذكير أبداً في القرآن الكريم فكل بشارة في القرآن الكريم تأتي بصيغة التأنيث كما في قوله تعالى (فنادته الملائكة) و(قالت الملائكة).

آية (٧٥):

***ما الفرق البياني بين قوله تعالى (ما منعك أن تسجد) سورة ص و(ما منعك ألا تسجد) سورة الأعراف؟ (د.فاضل السامرائى)**

في آيات القرآن الكريم فلا يمكن أن يكون في القرآن زيادة بلا فائدة. والزيادة في (لا) بالذات لا تكون إلا عند من أمِن اللبس، بمعنى أنه لو كان هناك احتمال أن يفهم السامع النفي فلا بد من زيادتها. في قوله تعالى (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(٢٩) الحديد) معناها ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء وإذا أراد الله تعالى أن يُنزل فضله على أحد لا يستطيع أحد أن يردّ هذا الفضل. فالقصد من الآية إعلامهم وليس عدم إعلامهم. لذلك قسم من النحاة والمفسرين يقولون أن اللام زائدة أو صلة.

الوصايا العملية:

- الصبر على الضر يثيب الله فاعله ويعطيه خير كثير كأيوب عليه السلام .
- إذا مسك الضر فادعي الله فهو على كل شيء قدير .
- اسألي الله أن يؤتيك البصيرة في الدين تعرفين الحلال من الحرام ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم النافع والعمل الصالح .
- اجعلي همك الآخرة .
- إذا شربتي فادعي اللهم اسقني من الكوثر .
- إذا انطفأت الكهرباء وأظلمت الدنيا فتذكري القبر .
- إذا سترتي أحد فقولي (اللهم استرني يوم القيامة) .
- إذا فرجتي لأحد قولي (الهم اجعل أجري عليك) .
- اسألي الله أن تكوني من عباده المتقين .
- استعيذي بالله من النار .
- اسألي الله بعزته ورحمته وقدرته أن يصرف عنك من النقم وأن يعينك على محاربة إبليس وعداوته والسلامة من شره وشركه .

تناسب فواتح سورة ص مع خواتيمها:

في أولها (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)) وفي آخرها (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧)) الكلام عن القرآن. الذكر يأتي بمعنى الشرف في القرآن (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) الزخرف)، والقرآن ذي الذكر أي ذي الرفعة والشرف. في الختام قال (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) رفعة وشرف وتذكير. (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) و(وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) الكلام عن القرآن، كيفما نفهم كلمة ذكر أهو تذكير أو شرف فهو في الحالتين مذكور (ذكر) والقرآن نفسه والقرآن ذي الذكر إن هو إلا ذكر.

| ● | نهاية سورة ص | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الزمر ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة الزمر

بين يدي السورة:

- سميت سور الزمر بهذا الاسم لأن الله تعالى ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة ، وزمرة الأشقياء من أهل النار، أولائك مع الإجلال والإكرام، وهؤلاء مع الهوان والصغار.
- فضل السورة: هذه السورة الكريمة من المثاني، ومما ورد في فضل المثاني: ما رواه الإمام أحمد وغيره، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أُعطيت مكان التوراة السّبع، وأُعطيت مكان الزّبور المئين، وأُعطية مكان الإنجيل المثاني، وفُضّلت بالمُفصّل).
- سورة مكية.
- محور السورة: تحدثت عن (عقيدة التوحيد) بالإسهاب حتى لتكاد تكون هي المحور الرئيس للسورة الكريمة، لأنها رأس الإيمان، وأساس العقيدة السليمة وأصل كل عمل صالح.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

قال سبحانه في آخر (ص) "إن هو إلا ذكر للعالمين" ثم قال في أول الزمر "تنزيل الكتاب من الله" فكأنه قيل: هذا الذكر تنزيل. وهذا تلاؤم شديد، بحيث أنه لو أسقطت البسملة لالتأمت الآيتان كالآية الواحدة.

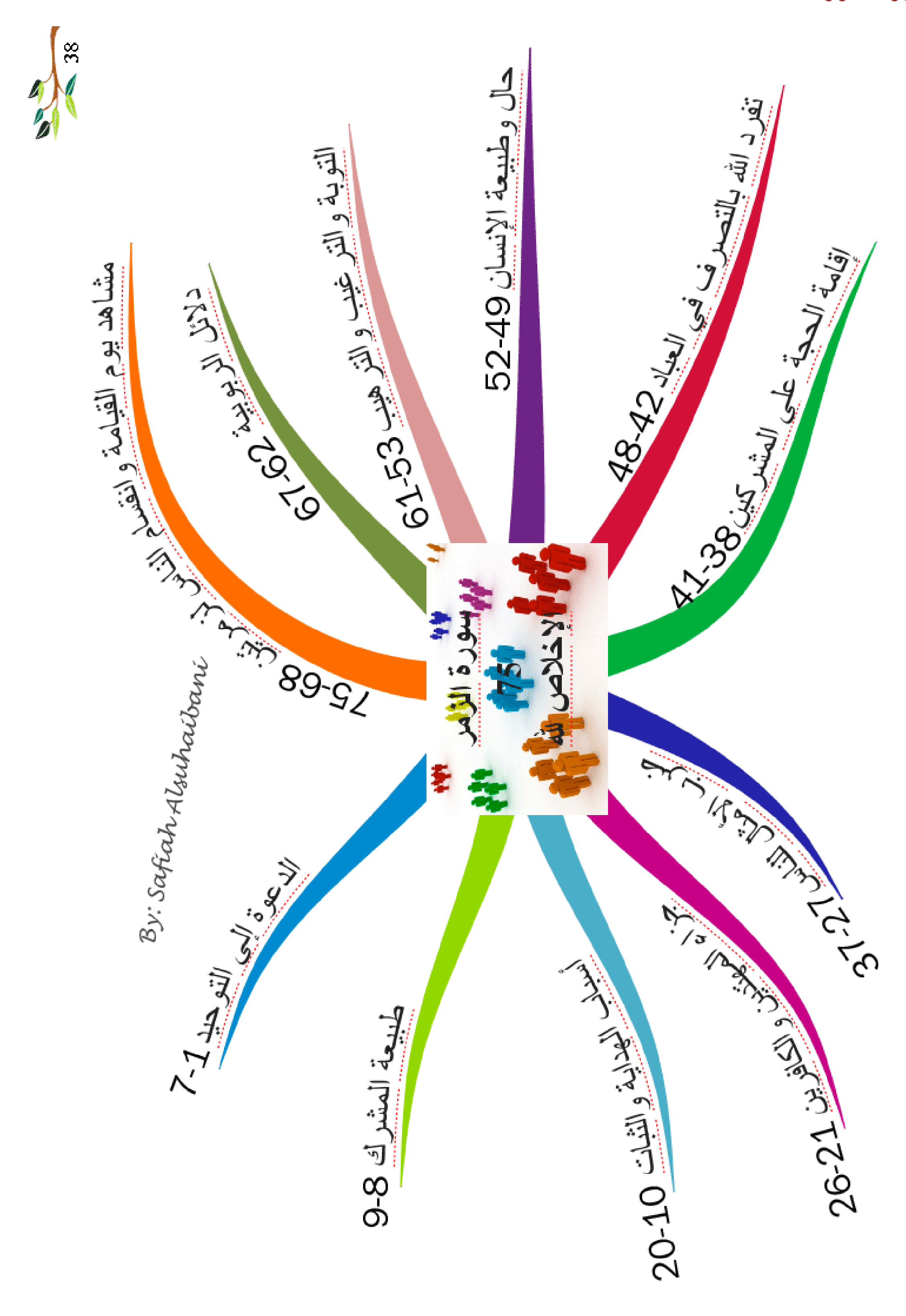
يقول البقاعي –رحمه الله- : لما بنيت سورة (ص) على ذكر المشركين وعنادهم، واتخاذهم الأنداد والشركاء، ناسب ذلك ما افتتحت به سورة الزمر من الأمر بالإخلاص الذي هو نقيض حال من تقدم.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- هناك ارتباط بين مضمون سورة الزمر والسورة التي قبلها (ص) وذلك في مواضع عديدة منها ما يلي:
- في السورتين مناقشة لعقيدة الوحدانية، ففي سورة (ص) الآيات (٥ إلى ٧) وفي سورة الزمر الآيات (٣ و ٤)
- في السورتين حديث عن جزاء المتقين، ففي سورة (ص) الآيات (٤٩ إلى ٥٤) وفي سورة الزمر الآيات (٧٣ و ٧٤).
- في السورتين حديث عن مصير المجرمين، ففي سورة (ص) الآيات (٥٥ إلى ٦١) وفي سورة الزمر الآيات (٧١ و ٧٢).

وفي المناسبة بين السورتين يقول السيوطي: ذكر الله تعالى في آخر (ص) قصة خلق آدم، وذكر في صدر الزمر قصة خلق زوجه، وأحوال الخلق من المبدأ إلى المعاد، متصلاً بخلق آدم المذكور في السورة التي قبلها.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٢١):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (١ – ٤) القرآن تنزيل الله والعبادة لا تكون لسواه.

الآيات (٥ – ٧) من آيات الله في الآفاق والأنفس. لما أثبت سبحانه هذه الصفات التي نفت أن يكون له شريك أو ولد، وأثبتت له الكمال المطلق، دل عليها بقوله "خلق السماوات والأرض".

الآيات (٨ – ٩) مقارنة بين المؤمن والكافر. لما ذكر سبحانه في الآيات السابقة الكافر والشاكر، أتبعه هنا بتفصيل بعض أحوالهما والمقارنة بينهما.

الآيات (١٠ – ٢٠) إرشاد للمؤمنين ووعيد لعبدة الأصنام.

الآية (٢١) من دلائل وحدانية الله وقدرته. لما وصف الله تعالى الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة لأولي الألباب فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

و اللهم ارزقنا أعمال السرائر واجعل بيننا وبينك سريرة لا يعلمها إلا أنت ،وارزقنا الحسنات الجاريات..

إن هذه الحياة على سعتها وكبرها تصبح لا تسع الإنسان ولا تكفيه إذا ضاق صدره واهتم وغم.

ولم يعد للحياة أي معنى أو قيمة عنده بل تصبح الحياة هما ،وهم يفعلون ذلك لأنه ليس عندهم الإيمان الذي يردعهم عن ذلك ،وليس عندهم الإيمان الذي يدفعهم للصبر ولولا بقية إيمان لقتل الإنسان نفسه.

قال تعالى: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)

ومن أعظم أسباب انشراح الصدر التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه .

ومنها النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان فإنه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب قال صلى الله عليه وسلم : (إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح .قالوا: وما علامة ذلك يا رسول الله؟

قال: الإنابة إلى دار الخلود ،والتجافي عن دار الغرور ،والاستعداد للموت قبل نزوله)رواه الحاكم والبيهقي في الشعب.

وكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع ،وليس هذا لكل علم بل للعلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العلم النافع ،فأهله أشرح الناس صدرا وأوسعهم قلوبا ،وأحسنهم أخلاقا ،وأطيبهم عيشا.

ولمحبة الله تأثير عجيب في انشراح الصدر وطيب النفس ونعيم القلب وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح.

الإحسان إلى الخلق ونفعهم فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرا وأطيبهم نفسا ،وأنعمهم قلبا .

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل ،قال :كل مخموم القلب صدوق اللسان.

قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟

قال: هو النقي التقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد).

والدعاء سلاح المؤمن ذلك السلاح الذي غفلنا عنه وأهملناه وتركناه.

نسأل الله العظيم أن يشرح صدورنا وأن يرزقنا الطمأنينة والسكينة وأن يقنعنا بما أعطانا ويرزقنا البركة فيه .

هذه الآية سنتدارسها اليوم بإذن الله في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) .

- عظمة القرآن.

يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلال من تكلم به ونزل منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في خلقه وأمره.

- لماذا كان القرآن أشرف الكتب؟

فالقرآن نازل ممن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى هو الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته.

ولكنه ـ مع هذا ـ زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به، وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مرية فيه، لإخراج الخلق من الظلمات

إلى النور، ونزل مشتملا على الحق في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلا الضلال.

- كيف يكون شكر الله على هذه النعمة العظيمة؟

ولما كان نازلا من الحق، مشتملا على الحق لهداية الخلق، على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة، وجلَّت، ووجب القيام بشكرها، وذلك بإخلاص الدين لله، فلهذا قال: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد.

- ما صفة الدين الخالص؟

(أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به. وأخبر بذم من أشرك به

- ما شبهة المشركين في اتخاذ الشركاء؟

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، معتذرين عن أنفسهم وقائلين: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئا.

أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرأوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

- هل قياسهم هذا صحيح؟

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلا ونقلا وفطرة.

- كيف رد الله على شبهتهم؟

فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمه لهم

ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم أيضا فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحما لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها. فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه.

- لماذا لا يغفر الله الشرك؟

ويعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركين، وفي ضمنه التهديد للمشركين- :(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار.

- من الذي لا يوفق للهداية ؟

(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي) أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم (مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟

- (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) .

أي: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) كما زعم ذلك من زعمه، من سفهاء الخلق. (لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أي: لاصطفى بعض مخلوقاته التي يشاء اصطفاءه، واختصه لنفسه، وجعله بمنزلة الولد، ولم يكن حاجة إلى اتخاذ الصاحبة. (سُبْحَانَهُ) عما ظنه به الكافرون، أو نسبه إليه الملحدون.

- ما دلالة قوله (الواحد القهار)؟

(هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) أي: الواحد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، فلا شبيه له في شيء من ذلك، ولا مماثل، فلو كان له ولد، لاقتضى أن يكون شبيها له في وحدته، لأنه بعضه، وجزء منه.

القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، فلو كان له ولد لم يكن مقهورا، ولكان له إدلال على أبيه ومناسبة منه. ووحدته تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون إلا قهارا، والقهار لا يكون إلا واحدا، وذلك ينفي الشركة له من كل وجه.

- (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) .

يخبر تعالى أنه (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) أي: بالحكمة والمصلحة، وليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم. (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) أي: يدخل كلا منهما على الآخر، ويحله محله، فلا يجتمع هذا وهذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل الآخر عن سلطانه. (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) بتسخير منظم، وسير مقنن. (كُلٌّ) من الشمس والقمر (يَجْرِي) متأثرا عن تسخيره تعالى (لأجَلٍ مُسَمًّى) وهو انقضاء هذه الدار وخرابها، فيخرب الله آلاتها وشمسها وقمرها، وينشئ الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار، الجنة أو النار.

(أَلا هُوَ الْعَزِيزُ) الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصي عليه شيء، الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها تجري بأمره. (الْغَفَّارُ) لذنوب عباده التوابين المؤمنين، كما قال تعالى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى الغفار لمن أشرك به بعد ما رأى من آياته العظيمة، ثم تاب وأناب.

- (خلقكم من نفس واحدة..)بين الله في هذه الآيات أمور تدل على عزته وقدرته .ما هي؟

ومن عزته أن {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} على كثرتكم وانتشاركم، في أنحاء الأرض، {ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} وذلك ليسكن إليها وتسكن إليه، وتتم بذلك النعمة. {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ} أي: خلقها بقدر نازل منه، رحمة بكم. {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} وهي التي ذكرها في سورة الأنعام {ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين} {ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين}

- ما الحكمة من تخصيص الأنعام بالذكر؟

وخصها بالذكر، مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لكثرة نفعها، وعموم مصالحها، ولشرفها، ولاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها، كالأضحية والهدي، والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها بالدية.

- ما بداية خلق الإنسان ،ومكانها؟

ولما ذكر خلق أبينا وأمنا، ذكر ابتداء خلقنا، فقال: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ} أي: طورا بعد طور، وأنتم في حال لا يد مخلوق تمسكم، ولا عين تنظر إليكم، وهو قد رباكم في ذلك المكان الضيق {فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ} ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة.

- ما دلالة (ربكم)وما الذي يستحقه الله منا؟

{ذَلِكُم} الذي خلق السماوات والأرض، وسخر الشمس والقمر، وخلقكم وخلق لكم الأنعام والنعم {اللَّهُ رَبُّكُم} أي: المألوه المعبود، الذي رباكم ودبركم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له، ولهذا قال: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} بعد هذا البيان ببيان استحقاقه تعالى للإخلاص وحده إلى عبادة الأوثان، التي لا تدبر شيئا، وليس لها من الأمر شيء.

- {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُم}

لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم، ولكن أمره ونهيه لكم محض فضله وإحسانه عليكم.

- ما الحكمة من أن الله لا يرضى لنا الكفر؟و رضي لنا الشكر؟

{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم لأجله.

{وَإِنْ تَشْكُرُوا} لله تعالى بتوحيده، وإخلاص الدين له {يَرْضَهُ لَكُم} لرحمته بكم، ومحبته للإحسان عليكم، ولفعلكم ما خلقكم لأجله.

وكما أنه لا يتضرر بشرككم ولا ينتفع بأعمالكم وتوحيدكم، كذلك كل أحد منكم له عمله، من خير وشر {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُم} في يوم القيامة {فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} إخبارا أحاط به علمه، وجرى عليه قلمه، وكتبته عليكم الحفظة الكرام، وشهدت به عليكم الجوارح، فيجازي كلا منكم ما يستحقه.

- ما المقصود بقوله تعالى: (إنه عليم بذات الصدور)؟

{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي: بنفس الصدور، وما فيها من وصف برٍّ أو فجور، والمقصود من هذا، الإخبار بالجزاء بالعدل التام.

- بين الله تعالى إحسانه ولطفه بعبده فما الآية الدالة على ذلك،وكيف قابل الإنسان الجاحد هذا الإحسان؟

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْرٍ أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا الله، فيدعوه متضرعا منيبا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

{ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ} الله {نِعْمَةً مِنْهُ} بأن كشف ما به من الضر والكربة، {نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ} أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه.

{وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

{قُل} لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: {تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

- هل هناك مساواة بين العالم والجاهل، والعامل بطاعة الله وغيره؟

{أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}

هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علما يقينا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت أي: مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء.

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ} ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم {وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار.

{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ} إذا ذكروا {أُولُو الْأَلْبَابِ} أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.

- ما متعلق الخوف والرجاء؟

وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن.

- لمن النداء هنا وبماذا أمرهم؟ {قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

أي: قل مناديا لأشرف الخلق، وهم المؤمنون، آمرا لهم بأفضل الأوامر، وهي التقوى، ذاكرا لهم السبب الموجب للتقوى، وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم، المقتضي ذلك منهم أن يتقوه، ومن ذلك ما مَنَّ الله عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى، كما تقول: أيها الكريم تصدق، وأيها الشجاع قاتل.

- ما الثواب المنشط لهم في الدنيا؟

وذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا فقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا} بعبادة ربهم {حَسَنَةٌ} ورزق واسع، ونفس مطمئنة، وقلب منشرح، كما قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}

- ما الواجب على المسلم إذا ضيق عليه في العبادة؟

{وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ} إذا منعتم من عبادته في أرض، فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم.

ولما قال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} كان لبعض النفوس مجال في هذا الموضع، وهو أن النص عام، أنه كل من أحسن فله في الدنيا حسنة، فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها ويمتهن، لا يحصل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: {وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ}.

- ما البشارة التي نص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأشارت لها هذه الآية (وأرض الله واسعة)

وهنا بشارة نص عليها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) تشير إليه هذه الآية، وترمي إليه من قريب، وهو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة، فمهما منعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها، وهذا عام في كل زمان ومكان، فلا بد أن يكون لكل مهاجر، ملجأ من المسلمين يلجأ إليه، وموضع يتمكن من إقامة دينه فيه.

- {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} هل الجزاء شامل لجميع أنواع الصبر،وما معنى كونه بغير حساب؟

وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، *لماذا خص الله الصابرون بهذا الجزاء العظيم؟ وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وأنه معين على كل الأمور.

- ما الأوامر التي أمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات؟

(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ () وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ () قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ () قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي () فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)

أي (قُلْ) يا أيها الرسول للناس: (إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) في قوله في أول السورة: فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ

- (وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) لماذا؟

لأني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم، فيقتضي أني أول من ائتمر بما آمر به، وأول من أسلم، وهذا الأمر لا بد من إيقاعه من محمد صلى الله عليه وسلم، وممن زعم أنه من أتباعه، فلا بد من الإسلام في الأعمال الظاهرة، والإخلاص لله في الأعمال الظاهرة والباطنة.

(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي) في ما أمرني به من الإخلاص والإسلام. (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يخلد فيه من أشرك، ويعاقب فيه من عصى.

(قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ)

- من الخاسر الخسران الحقيقي؟

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ) حقيقة هم (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) حيث حرموها الثواب واستحقت بسببهم وخيم العقاب (وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي فرق بينهم وبينهم واشتد عليهم الحزن وعظم الخسران (أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الذي ليس مثله خسران وهو خسران مستمر لا ربح بعده بل ولا سلامة.

- ما شدة الشقاء الذي يحصل لهؤلاء الخاسرين؟وما الحكمة من وصف هذا العذاب؟

ثم ذكر شدة ما يحصل لهم من الشقاء فقال (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) أي قطع عذاب كالسحاب العظيم (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ)

(ذَلِكَ) الوصف الذي وصفنا به عذاب أهل النار سوط يسوق الله به عباده إلى رحمته (يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) أي جعل ما أعده لأهل الشقاء من العذاب داع يدعو عباده إلى التقوى وزاجر عما يوجب العذاب فسبحان من رحم عباده في كل شيء وسهل لهم الطرق الموصلة إليه وحثهم على سلوكها ورغبهم بكل مرغب تشتاق له النفوس وتطمئن له القلوب وحذرهم من العمل لغيره غاية التحذير وذكر لهم الأسباب الزاجرة عن تركه

- ما حال المنيبين إلى الله ،وما ثوابهم؟

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ () الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ) .

لما ذكر حال المجرمين ذكر حال المنيبين وثوابهم، فقال: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) والمراد بالطاغوت في هذا الموضع، عبادة غير الله، فاجتنبوها في عبادتها. وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم، لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها.

(وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) بعبادته وإخلاص الدين له، فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات، (لَهُمُ الْبُشْرَى) التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها.

- ما هي البشرى لهم في الدنيا والآخرة؟

وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة.

- ما الوصف الذي استحقوا به هذه البشارة؟

ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ)

وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا الآية.

س ـ هذه الآية اشتملت فيها نكته لطيفة ماهي؟

وفي هذه الآية نكته، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا الآية.

(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) لأحسن الأخلاق والأعمال (وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ) أي: العقول الزاكية.

- اتباعهم لأحسن القول ماذا يدل عليه؟

ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنها، وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

- هل للنبي صلى الله عليه وسلم حيلة في هداية من حق عليه العذاب؟

(أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) أي: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره، فإنه لا حيلة لك في هدايته، ولا تقدر تنقذ من في النار لا محالة.

- ما هو الفوز كل الفوز ؟

لكن الغنى كل الغنى، والفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة وأنواع النعيم، ما لا يقادر قدره.

(لَهُمْ غُرَفٌ) أي: منازل عالية مزخرفة، من حسنها وبهائها وصفائها، أنه يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ومن علوها وارتفاعها، أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: (مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ) أي: بعضها فوق بعض (مَبْنِيَّةٌ) بذهب وفضة، وملاطها المسك الأذفر.

(تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ) المتدفقة، المسقية للبساتين الزاهرة والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضيجة.

(وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيهم أجورهم.

- في هذه الآيات ورد ما يدل على عناية الله ورحمته بعباده وكمال قدرته فمن الذي يتذكر بهذه الآيات؟

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ) .

يذكر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعا، يستخرج بسهولة ويسر، (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) من بر وذرة، وشعير وأرز، وغير ذلك. (ثُمَّ يَهِيجُ) عند استكماله، أو عند حدوث آفة فيه (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) متكسرا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ) يذكرون بها عناية ربهم ورحمته بعباده، حيث يسر لهم هذا الماء، وخزنه بخزائن الأرض تبعا لمصالحهم.

ويذكرون به كمال قدرته، وأنه يحيي الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها، ويذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة.

اللّهم اجعلنا من أولي الألباب، الذين نوهت بذكرهم، وهديتهم بما أعطيتهم من العقول، وأريتهم من أسرار كتابك وبديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم، إنك أنت الوهاب.

لمسات بيانية:

آية (٢):

***(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) الزمر) و (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١) الزمر) ما الفرق بين إليك وعليك؟(د.فاضل السامرائى)**

أولاً ينبغي أن نعلم ما الفرق بين إلى وعلى في اللغة؟. (إلى) تفيد الإنتهاء و(على) للإستعلاء لذلك يقول أهل اللغة (على) تأتي للأمور المستثقلة الشاقة والمستكرهة (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ (٢١٦) البقرة) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (١٨٣) البقرة) لأنه شاق، (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) النساء) والنحاة يقولون سرنا عشرة وبقيت علينا ليلتان، وقد حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان، هذا لك وهذا عليك، بخلاف كتب لكم (وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ (١٨٧) البقرة) (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ (٢١) المائدة). عرفنا أنه (على) لما هو أشق في اللغة. نقرأ الآيتين ونرى في الآية الأولى (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢)) والثانية (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ

فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١)) نسأل: أيها الأشق وأثقل أن تعبد الله وحدك أو تبلِّغ الناس؟ أن تبلغ الناس أشدّ. الآية الأولى ليس فيها تبليغ وإنما خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والثانية (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١)) قال للناس وهذا تبليغ، الأولى ليس فيها تبليغ والثانية فيها تبليغ وهي الأشق والأشد فيضع (على) مع التبليغ، الأولى فيها نبوة والثانية فيها رسالة (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ) هذه رسالة. الأولى ليس فيها تبليغ للناس ولذلك قال (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) الثانية فيها (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) هذه رسالة، إذن المشقة فيما أمر به في الدعوة إلى سبيل الله تعالى.

<u>آية (٣):</u>

*** ما الفرق بين الحكم والفصل في القرآن الكريم؟(د.فاضل السامرائى)**

الفرق بين الحكم والفصل، الحكم القضاء والفصل أشد لأنه يكون بَوْن أحدهما، أن يكون بينهما فاصل حاجز إذن الفصل أشد فإذن لما يقول في القرآن يفصل بينهم تكون المسافة أبعد كأن يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار أما الحكم فلا وقد يكون في ملة واحدة، نضرب أمثلة: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) البقرة) هؤلاء يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى كلاهما ليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار فليس فيه فصل. (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) النحل) اختلاف في ملة واحدة وهم اليهود، وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض. (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣) الزمر) كلهم يذهبون إلى جهة واحدة. (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) الحج) هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة فهم فئات مختلفة إذن يفصل. الفصل يتضمن الحكم حكم وفصل فيكون أشد. ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) السجدة) قالوا الفصل بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والمشركين. فإذن الفصل حكم لكن فيه بَوْن كل جهة تذهب إلى مكان لذا قال في سورة ص (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ (٢٢)) هذا حكم قضاء.

***ما الفرق بين قوله تعالى فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ <u>فِيهِ يَخْتَلِفُونَ</u> (٣) الزمر) يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا <u>كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ</u> (١١٣) البقرة)؟(د.فاضل السامرائى)**

الآية توضح الأكثر لما يقول (كانوا) الكلام عن يوم القيامة والاختلاف كان في الدنيا (فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) البقرة) الاختلاف في الدنيا مثل(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) الجاثية). (فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) هذه الآن وليس في يوم القيامة لأنها تقصد الدنيا.

آية (٦):

***(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء (١) النساء) وفي الأعراف قال (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا (١٨٩)) وفي الزمر (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا (٦)) فما اللمسة البيانية في الاختلاف بين الآيات؟ وما الفرق بين الخلق والجعل؟**

د.فاضل السامرائى :

الجعل في الغالب حالة بعد الخلق فالخلق أقدم وأسبق. جعل الزرع حطاماً ليست مثل خلق الزرع حطاماً. جعل بمعنى صيّر، هو خلقه ثم جعله (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ (٦٠) المائدة) لا يعني خلقهم وإنما يعني صيّرهم. إذن في الغالب الجعل بعد الخلق (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (١٢٤) البقرة) صيّره إماماً وليس خلقه إماماً. إذن هذا الأمر العام ولذلك كل (جعل زوجها) بعد الخلق،

***ما دلالة إدخال الأنعام في خلق الإنسان في الآية (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) الزمر)؟(د.فاضل السامرائى)**

من المقصود بالنفس الواحدة؟ آدم عليه السلام، ومن المقصود بـ (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)؟ حواء. هذان آدم وحواء أنزلهما إلى الأرض وأنزل معهما طعامهما مستلزمات الحياة فذكر (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ). هذه الأزواج هي مستلزمات وجود الإنسان على الأرض. أما نحن فقد خُلقنا بعدها (أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ) هذا ليس آدم وحواء وإنما نحن وذكر خلق آدم وحواء في بداية السورة. خلقهما وأنزلهما وكان الغذاء معداً لهما فلا ينزلهم بدون غذاء. أما (أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ) فهذا نحن لذا ذكرها بعد الأولى (خلق آدم وحواء). إذن خلق آدم وحواء سابقة علينا وذكر ما يتعلق بهما ثم ذكر خلقنا نحن وليس الكلام على آدم هنا. لذلك لاحظ في سورة النحل لما ذكر تعالى خلقنا ذكر بعدها الأنعام (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)) هذا خلقنا نحن وليس آدم ثم ذكر بعدها (والأنعام خلقها) خلقها لنا هنا وليس لآدم. أما في سورة الزمر ذكر آدم ثم ذريته من بعد.

آية (٧):

*** لماذا قدّم الكفر على الشكر على خلاف ما يأتى دوماً فى القرآن؟ (د.فاضل السامرائى)**

يقدّم الشكر إذا قدّم ما يستدعي الشكر من ذكر النعم والرحمة ، وفي القرآن حيثما اجتمع الشكر والكفر قدم الشكر على الكفر (ليبلوني أأشكر أم أكفر) (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر) (واشكروا لي ولا

تكفرون) إلا في آية واحدة فقط في سورة الزمر (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {٧}) والسبب في ذلك أنه تقدم ذكر الكفر والكافرين في سورة الزمر (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ {٣}) فناسب سياق السورة تقديم الكفر على الشكر وكذلك في آخر السورة ذكر عقاب الكافرين أولاً (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٧١}) ثم جزاء الشاكرين (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣}).

آية (١٠):

***ما الفرق بين (عباد) و(عبادى)؟(د.فاضل السامرائى)**

في القرآن الكلمتان موجودتان عبادي مرسومة بالياء وعبادِ بالكسرة وكلتاهما مضافة إلى ياء المتكلم. في القرآن عندما يقول (عبادي) بالياء مجموعة العباد أكثر فكأنه يحذف معناه أن العباد أقل. عبادي أحرفها أكثر من عباد فهم أكثر هذا في القرآن كله إذا قال عبادي بالياء فالمجموعة أكثر مثال (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا (٥٣) الزمر) هؤلاء كثرة لأنه (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) يوسف)، (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ (١٨٦) البقرة) كلهم بدون استثناء لم يستثني فجاء عبادي بالياء، يجبهم كلهم، (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (٥٣) الإسراء). (فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ (١٨) الزمر) قلة، (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) الزمر)، (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) العنكبوت) هناك قال اتقوا ربكم صارت التقوى إضافة إلى الإيمان وهنا لم يقل اتقوا ربكم، ثم هو قال (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) الزمر) هؤلاء قلة، (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) العنكبوت) كثرة فجاء بـ(عبادي) مع الكثرة و(عبادِ) مع القلة. من حيث الإعراب (عبادي وعبادِ) واحد، (عبادي) عباد مضاف وياء المتكلم مضاف إليه وفي (عبادِ) هذه تقديراً، مضاف ومضاف إليه مركب. هذه من خصوصيات الإستعمال القرآني.

*** ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (نَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)) سورة الزمر؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الزمر (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)) والمفسرون يفسرونها أحد تفسيرين: إما أن الأجر يُصبّ عليهم صباً بغير حساب للدلالة على المبالغة في الأجر، أو أن الصابرين يُصب عليهم الأجر ولا

يحاسبون لأن الصابر يؤجر بدون أن يُحاسب ويُسقط عنه الأجر بقدر ما صبر ويُتجاوز عنه ويُدخله الله تعالى الجنة بغير حساب. فكلمة (بغير حساب) قد تكون للأجر وقد تكون للصابرين وهي تحتمل المعنيين. وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :"سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب".

آية (٢١):

*** هل الماء والغيث كلاهما مطر؟ (د.فاضل السامرائى)**

ذكر الغيث في آية الحديد وماء في آية الزمر وهناك فرق بين الماء والغيث لكن الماء والغيث في الآيتين هو ما ينزل من السماء لكن هذا الماء الذي ينزل من السماء قد يكون غيثاً وقد يكون مطراً بحسب التعبير القرآني. المطر يستعمله الله سبحانه وتعالى في العقوبات (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) الأعراف) لم يستعمل القرآن المطر إلا في العقوبة (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ (٤٠) الفرقان) (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) الحجر) (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) الشعراء) أما الغيث فيستعمله في الخير. هذا في الاستعمال القرآني أما في الحديث فاستعمل المطر للخير ولكن للقرآن خصوصية في الاستعمال اللغوي نخصص لها إن شاء الله تعالى حلقات لنتحدث عنها لأنه موضوع كبير. والعرب فهمت هذا الفرق من الاستعمال. (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) الشورى). إذن في القرآن الكريم يذكر المطر للعذاب.

***ما الفرق بين السلوك و الدخول؟(د.فاضل السامرائى)**

السلوك أيسر من الدخول (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً (٦٩) النحل)أيسر، (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ (٢١) الزمر) أيسر.

***ما الفرق بين قوله تعالى فى الحديد(ثم يكون حطاماً) وقوله (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا (٢١) الزمر) ؟(د.فاضل السامرائى)**

لو عدنا إلى السياق وقراءة كل آية يتضح الفرق. فى آية الحديد كل الكلام عن الغيث وما يخرج منه. في آية الزمر قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ) هو الذي أنزل ما قال في آية الحديد أنزل غيثاً وإنما قال (كمثل غيث) لم ينسبه إلى نفسه سبحانه، (فسلكه ينابيع في الأرض) الله سبحانه وتعالى هو الذي سلكه، (ثم يخرج به زرعاً) الله سبحانه وتعالى يُخرِج، (ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً) الذي أنزل من السماء ماء وسلكه ينابيع في الأرض وأخرج به الزرع هو الذي جعله حطاماً. ولو قال يجعله حطاماً في آية الحديد ليس هناك إسناد لله سبحانه وتعالى أما في سورة الزمر فالاسناد لله تعالى ابتداء من أول الآية إلى آخرها هو الذي جعله حطاماً. في آية الحديد ليس هناك إسناد لله تعالى أما في الزمر فالاسناد لله تعالى ابتداء.

الوصايا العملية:

- كوني متأله لله في حبه ورجائه وخوفه وعبوديته .
- اسألي الله أن يشرح صدرك ويرزقك الطمأنينة ويقنعك بما رزقك ويبارك لك فيه .
- من الأمور التي تشرح الصدر الذكر وتدبر ألآيات والعلم .
- أحسني لنفسك .
- من رحمة الله بك توفيقك للعبادة ومجازاتك عليها .
- أحذري من كتابه الملائكة الكرام حتى الـتأوه (آه) .
- من عدل الله ورحمته يخبرنا بالجنة والنار لنتعظ .
- هل عبادتك في حاله السراء والضراء سواء .
- الجحود من كفر النعم .
- أحذري من توزيع حسناتك بالغيبة .
- صلاة الليل أفضل الصلوات بعد الفريضة فهي من أسباب الوقاية من النار والأمراض .
- الإيمان يوجب التقوى .
- حسنات الدنيا هي (الرزق الواسع – الأولاد – شرح الصدر -) .
- من لم يستطع إقامة دينه فالهجرة في حقه واجبة .
- كل من اضطهد له أجر .
- أفضل أنواع الصبر الصبر على الطاعة فادعي الله أن يرزقك لذة الطاعة وأنت معافاة ويرزقك البركة والإخلاص .
- من بشرى المؤمن في الدنيا المدح والثناء الحسن من الناس ، الرؤيا الصالحة ، تيسير الأمور ، وفي الآخرة حسن الخاتمة والنعيم في القبر .
- بقدر النور المقذوف في صدر العبد يكون الانشراح والاطمئنان .
- احذري من موت القلب بالانغماس في الدنيا .
- من هداية الله لعبد القشعريرة عن ذكر آيات العذاب و الانشراح عند آيات الرحمة .
- اسألي الله أن يرزقك الهدى وينفعك بالآيات .

المقطع الثاني من الآية (٢٢) إلى الآية (٤٧):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٢٢ – ٢٦) حال المؤمنين مع القرآن، ولمحة من عذاب الكافرين في النيران. لما ذكر سبحانه فيما تقدم بعض دلائل وحدانيته وقدرته الموصلة إلى الإيمان به، بيّن هنا أنه لا ينتفع بهذه الآيات الكونية إلا من شرح الله صدره ويسر له أمر الهدى.

الآيات (٢٧ – ٣١) ضرب الأمثال للتذكير، وعربية القرآن.

الآيات (٣٢ – ٣٧) وعيد للمشركين ووعد للمؤمنين. لما ذكر تعالى أن الخلق صائرون إلى الموت، وأن المؤمنين والكافرين سيختصمون عند ربهم في أمر التوحيد والشرك، وأنه تعالى يفصل بينهم، ذكر هنا جزاء كل من الفريقين.

الآيات (٣٨ – ٤٠) ضلال المشركين وتهديد الله لهم. لما ساق الله تعالى فيما سبق البراهين على أنه سبحانه المتصرف في المعاني بتصرفه في القلوب بالهداية والإضلال، وكان التقدير: فلئن أقررتم بهذا الاستفهام الإنكاري ليقولن: بلى! عطف عليه بيان أن الخالق للذات كما أ،ه المالك للمعاني والصفات، فقال مفسداً لدينهم باعترافهم بأصلين: القدرة التامة له، والعجز الكامل لمعبوداتهم "ولئن سألتهم".

الآيات (٤١ – ٤٨) مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه. لما ذكر الله تعالى فيما سبق فساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل والبينات وتارة بضرب الأمثال وتارة بذكر الوعد الوعيد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشق عليه كفر قومه أردفه بكلام يرفع عنه هذا الهم.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر واجعل بيننا وبينك سريرة لا يعلمها إلا الله ،وارزقنا الحسنات الجاريات.

إن أعظم زينة يتزين بها المرء في حياته بعد الإيمان هي زينة الصدق ،فالصدق أساس الإيمان ،كما أن الكذب أساس النفاق ،فلا يجتمع كذب وإيمان .

والصدق من الأخلاق الأساسية التي يتفرع عنها غيرها .

والصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به:

صدق القلب بالإيمان تحقيقا ،وصدق النية في الأعمال ،وصدق اللفظ في الكلام.

ولكي تكون حياتك كلها صدق ولتحشر مع الصديقين (لا يزال العبد يصدق حتى يكتب عند الله صديقا) يختبرك الله في مواطن تحتاج فيها للكذب لكي تنجو وإذا صدقت في هذه المواطن ،فإذا استمريت على الصدق تكتب عند الله صديقا .

فاجعل مدخلك صدق ومخرجك صدقا ،وليكن لسانك لسان صدق لعل الله يرزقك مقعد صدق وقدم صدق.

المرتبة الأولى التي تلي مرتبة النبوة مرتبة الصديقيه نسأل الله أن يجعلنا من الصديقيين.

قال عمر بن الخطاب: (عليك بالصدق وإن قتلك)

قال ابن عباس :(أربع من كن فيه فقد ربح : الصدق ،والحياء ،وحسن الأخلاق ،والشكر).

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: (والله لو نادى مناد من السماء أن الكذب حلال ما كذبت)

قال يوسف بن أسباط رحمه الله : (لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله)

قال الشعبي رحمه الله: (عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك ،واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك)

وامتدح الله سبحانه وتعالى الصدق فقال تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)

جاء بالصدق يدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم ممن صدق فيما قاله

(وصدق به) أي بالصدق لأنه قد يجئ الإنسان بالصدق ولكن قد لا يصدق به بسبب استكباره أو احتقاره بمن قاله وأتى به فلا بد في المدح من الصدق والتصديق به .

فصدقه يدل على علمه وعدله ،وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره

سنتدارس بإذن الله هذه الآية في تدارسنا اليوم.

- تمهيد آخر:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا هدى و تقى وعلما..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر واجعل بيننا وبينك سريرة لا يعلمها إلا أنت ،اللهم ارزقنا الحسنات الجاريات.

كثير من الناس يتساءلون مستغربين عن بعض الذين أسرفوا على أنفسهم في الملذات وقضوا أعمارهم في ارتكاب المعاصي والمحرمات ولم يعملوا شيئا من الحسنات أنى يغفر لهم؟

نقول لهؤلاء جميعا رويدكم أيها الأحبة الكرام واستمعوا إلى هذا النداء الرباني (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)

من يحول بين هؤلاء وبين التوبة ومن يحجب رحمة الله عن عباده (إن الله يغفر الذنوب جميعا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)رواه مسلم.

وهناك بشرى للمقبلين على ربهم أعظم من تلكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني أعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة يؤتى برجل فيقول :نحوا عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها ،قال: فيقال له: عملت يوم كذا كذا وكذا ،وعملت يوم كذا كذا وكذا ،فيقول: نعم ،لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا فيقال :فإن لك بكل سيئة حسنة ،فيقول :يا رب عملت أشياء لا أراها هاهنا قال :فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه)رواه مسلم.

ويصدق ذلك في قوله تعالى " إلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً "

لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، فيوم القيامة وإن وجدوه مكتوبا فإنه لا يضره ، وينقلب حسنة في صحيفته .

عن ابن مسعود يقول:

إن أكثر آية في القرآن فرجا في سورة الغرف (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ....)

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- هل يستوي من شرح الله صدره للإسلام فعمل به ،بغيره؟

(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)

أي: أفيستوي من شرح اللّه صدره للإسلام، فاتسع لتلقي أحكام اللّه والعمل بها، منشرحا قرير العين، على بصيرة من أمره، وهو المراد بقوله: (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) كمن ليس كذلك، بدليل قوله: (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أي: لا تلين لكتابه، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير.

(أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) وأي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره؟

- بماذا وصف الله كتابه؟وما المراد بالتشابه في قوله تعالى :(متشابها)

(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) .

يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله أنه

١/(أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه،

٢/(كتابا متشابها) متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع.

وأما في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فالمراد بها، التي تشتبه على فهوم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابها، أي: في حسنه، لأنه قال: (أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضا كما ذكرنا.

٣/(مَثَانِيَ) أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراع لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير.

٤/ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثَّر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا قال تعالى: (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر.

- ما المراد بالإشارة في قوله تعالى: (ذلك هدى الله)؟

١/ (ذَلِكَ) الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم (هُدَى اللَّهِ) أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، (يَهْدِي بِهِ) أي: بسبب ذلك (مَنْ يَشَاءُ) من عباده.

٢/ ويحتمل أن المراد بقوله: (ذَلِكَ) أي: القرآن الذي وصفناه لكم.

(هُدَى اللَّهِ) الذي لا طريق يوصل إلى الله إلا منه (يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) ممن حسن قصده، كما قال تعالى يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ

- (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه والتوفيق للإقبال على كتابه، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المبين والشقاء.

- هل يستوي من هداه الله لطاعته بمن ضل واستمر على عناده؟

(أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)

أي: أفيستوي هذا الذي هداه الله، ووفقه لسلوك الطريق الموصلة لدار كرامته، كمن كان في الضلال واستمر على عناده حتى قدم القيامة، فجاءه العذاب العظيم.

- لماذا خص الوجه في قوله: (أفمن يتقي بوجهه...)

فجعل يتقي بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء، وأدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، فهو يتقي فيه سوء العذاب لأنه قد غلت يداه ورجلاه، (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) أنفسهم، بالكفر والمعاصي، توبيخا وتقريعا: (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)

(كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كما كذب هؤلاء، (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) جاءهم في غفلة أول نهار، أو هم قائلون.

(فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ) بذلك العذاب (الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فافتضحوا عند الله وعند خلقه (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب، فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب.

- ما هي الأمثال المضروبة في القرآن،وما الحكمة من ضربها؟

(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال أهل الشر، وأمثال التوحيد والشرك، وكل مثل يقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون.

- بماذا وصف الله القرآن؟

(قُرءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: جعلناه قرآنا عربيا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصا على العرب. (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا

يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا)

- ما الحكمة من ذلك؟

(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل.

- ما المثل الذي ضربه الله للشرك والتوحيد؟

ثم ضرب مثلا للشرك والتوحيد فقال: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا) أي: عبدا (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) فهم كثيرون، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

(وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ) أي: خالصا له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة. (هَلْ يَسْتَوِيَانِ) أي: هذان الرجلان (مَثَلا) ؟ لا يستويان.

كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه، قد خلصه الله من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، فـ (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ) على تبيين الحق من الباطل، وإرشاد الجهال. (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)

- (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)

أي: كلكم لا بد أن يموت (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)، (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل، ويجازي كُلا ما عمله أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ

- ما أشد الظلم وأعظمه؟

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ) .

يقول تعالى، محذرا ومخبرا: أنه لا أظلم وأشد ظلما (مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ)-كيف يكون الكذب على الله؟- إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا، أو حكم بكذا وهو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) إن كان جاهلا وإلا فهو أشنع وأشنع.

(وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) أي: ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذيبه ظلم عظيم منه، لأنه رد الحق بعد ما تبين له، فإن كان جامعا بين الكذب على الله والتكذيب بالحق، كان ظلما على ظلم.

(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ) يحصل بها الاشتفاء منهم، وأخذ حق الله من كل ظالم وكافر. إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

- ما ثواب الصادق المصدق،وعلى ماذا يدل صدقه وتصديقه؟

ولما ذكر الكاذب المكذب وجنايته وعقوبته، ذكر الصادق المصدق وثوابه، فقال: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق.

(وَصَدَّقَ بِهِ) أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.

(أُولَئِكَ) أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين (هُمُ الْمُتَّقُونَ) فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به.

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) من الثواب، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فكل ما تعلقت به إرادتهم ومشيئتهم، من أصناف اللذات والمشتهيات، فإنه حاصل لهم، معد مهيأ، (ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم (الْمُحْسِنِينَ) إلى عباد الله.

(لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)

- عمل الإنسان له ثلاث حالات .ما هي؟

عمل الإنسان له ثلاث حالات: إما أسوأ، أو أحسن، أو لا أسوأ، ولا أحسن.

والقسم الأخير قسم المباحات وما لا يتعلق به ثواب ولا عقاب، والأسوأ، المعاصي كلها، والأحسن الطاعات كلها، فبهذا التفصيل، يتبين معنى الآية، وأن قوله: (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا) أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم وتقواهم، (وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي: بحسناتهم كلها إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

- (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ () وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ) .

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء.

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم.

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ) لأنه تعالى الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعزته يكفي عبده ويدفع عنه مكرهم. (ذِي انْتِقَامٍ) ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته.

- ما الدليل القاطع على أنه وحده سبحانه المعبود،وأنه الخالق للمخلوقات؟

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) .

أي: ولئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه، وأقمت عليهم دليلا من أنفسهم، فقلت: (مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئا. (لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) الذي خلقها. وحده. (قُلْ) لهم مقررا عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة الله: (أَفَرَأَيْتُمْ) أي: أخبروني (مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ) أيَّ ضر كان.

(هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟. (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ) يوصل إليَّ بها منفعة في ديني أو دنياي. (هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) ومانعاتها عني؟.سيقولون: لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحمة.

قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه.عن الخلق والنفع والضر، مستجلبا كفايته، مستدفعا مكرهم وكيدهم: (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده - وحده - الكفاية هو حسبي، سيكفيني كل ما أهمني وما لا أهتم به.

- في هذه الآيات تهديد عظيم لقومه عليه السلام،وما الذي حال بينهم وبين الإيمان؟

(قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ () مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)

أي: (قُلْ) لهم يا أيها الرسول: (يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) أي: على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، من عبادة من لا يستحق من العبادة شيئا ولا له من الأمر شيء.

(إِنِّي عَامِلٌ) على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين لله تعالى وحده. (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) لمن العاقبة

و (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) في الدنيا. (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) في الأخرى (عَذَابٌ مُقِيمٌ) لا يحول عنه ولا يزول، وهذا تهديد عظيم لهم، وهم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم، ولكن الظلم والعناد حال بينهم وبين الإيمان.

- على ماذا اشتمل القرآن،وما مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم؟

(إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)

يخبر تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق، في أخباره وأوامره ونواهيه، الذي هو مادة الهداية، وبلاغ لمن أراد الوصول إلى الله وإلى دار كرامته، وأنه قامت به الحجة على العالمين.

(فَمَنِ اهْتَدَى) بنوره واتبع أوامره فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه (وَمَنْ ضَلَّ) بعدما تبين له الهدى (فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) لا يضر الله شيئا. (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، وإنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به.

- (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد، في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم، فقال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

- هل قوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها)ينافي قوله تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)؟

وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال تعالى: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سببا.

- وقوله: (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) وهذه الموته الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، (فَيُمْسِكُ) من هاتين النفسين النفس (الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ) وهي نفس من كان مات، أو قضي أن يموت في منامه.

(وَيُرْسِلُ) النفس (الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أي: إلى استكمال رزقها وأجلها. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) على كمال اقتداره، وإحيائه الموتى بعد موتهم.

- على ماذا تدل عليه هذه الآية؟

وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها في الوفاة والإمساك والإرسال، وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحادث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات.

- لمن الشفاعة،وكيف أنكر الله على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلقون بهم ويسألونهم؟

(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ () قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم ويسألهم ويعبدهم. (قُلْ) لهم - مبينا جهلهم، وأنها لا تستحق شيئا من العبادة- : (أَوَلَوْ كَانُوا) أي: من اتخذتم من الشفعاء (لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) أي: لا مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، بل وليس لهم عقل، يستحقون أن يمدحوا به، لأنها جمادات من أحجار وأشجار وصور وأموات، فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلا؟ أم هو من أضل الناس وأجهلهم وأعظمهم ظلما؟.

(قُلْ) لهم: (لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) لأن الأمر كله لله.وكل شفيع فهو يخافه، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين. ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ) أي: جميع ما فيهما من الذوات والأفعال والصفات. فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، وتخلص له العبادة. (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، ومن أشرك به بالعذاب الوبيل.

- ما حالة المشركين وما الذي اقتضاه شركهم؟

(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ () قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) .

يذكر تعالى حالة المشركين، وما الذي اقتضاه شركهم أنهم (إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ) توحيدا له، وأمر بإخلاص الدين له، وترك ما يعبد من دونه، أنهم يشمئزون وينفرون، ويكرهون ذلك أشد الكراهة.

(وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) من الأصنام والأنداد، ودعا الداعي إلى عبادتها ومدحها، (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) بذلك، فرحا بذكر معبوداتهم، ولكون الشرك موافقا لأهوائهم، وهذه الحال أشر الحالات وأشنعها، ولكن موعدهم يوم الجزاء. فهناك يؤخذ الحق منهم، وينظر: هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله شيئا؟.

ولهذا قال (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ) أي: خالقهما ومدبرهما. (عَالِمَ الْغَيْبِ) الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا (وَالشَّهَادَةِ) الذي نشاهده.

(أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) وإن من أعظم الاختلاف اختلاف الموحدين المخلصين القائلين: إن ما هم عليه هو الحق، وإن لهم الحسنى في الآخرة دون غيرهم، والمشركين الذين اتخذوا من دونك الأنداد والأوثان، وسووا فيك من لا يسوى شيئا، وتنقصوك غاية التنقص، واستبشروا عند ذكر آلهتهم، واشمأزوا عند ذكرك، وزعموا مع هذا أنهم على الحق وغيرهم على الباطل، وأن لهم الحسنى.

- (قل اللهم فاطر السماوات والأرض......)على ماذا اشتملت هذه الآية؟

ففي هذه الآية، بيان عموم خلقه تعالى وعموم علمه، وعموم حكمه بين عباده، فقدرته التي نشأت عنها المخلوقات، وعلمه المحيط بكل شيء، دال على حكمه بين عباده وبعثهم، وعلمه بأعمالهم، خيرها وشرها، وبمقادير جزائها، وخلقه دال على علمه (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)

(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) .

لما ذكر تعالى أنه الحاكم بين عباده، وذكر مقالة المشركين وشناعتها، كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل الله بهم يوم القيامة، فأخبر أن لهم (سُوءَ الْعَذَابِ) أي: أشده وأفظعه، كما قالوا أشد الكفر وأشنعه، وأنهم على - الفرض والتقدير - لو كان لهم ما في الأرض جميعا، من ذهبها وفضتها ولؤلؤها وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانيها وأثاثها ومثله معه، ثم بذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب وينجوا منه، ما قبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئا، (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

لمسات بيانية:

آية (٢٣):

***ما الفرق بين الخشية والخوف والوجل؟ (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (٣٥) الحج) (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (٢٣) الزمر) (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ (٥٠) النحل)؟(د.فاضل السامرائى)**

الخوف توقع أمر مكروه يخاف من شيء أي يتوقع أمر مكروه لأمارة معلومة فيخاف شيئاً. **الخشية** خوف يشوبه تعظيم ولذلك أكثر ما يكون ذلك إذا كان الخاشي يعلم ماذا يخشى ولذلك قال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء (٢٨) فاطر) أكثر من يكون الخشية عن علم مما يخشى منه، لماذا يخشى؟ هنالك مسألة يعلمها تجعله يخشى فلذلك قال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) لأن العلماء أعلم بربهم من غيرهم فهم أكثر الناس تعظيماً لله عز وجل. وقسم قال الخشية أشدّ الخوف. نلاحظ أمرين: هم يقولون الخوف توقع أمر مكروه وعندنا آيتان توضحان المسألة: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) آل عمران) و (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ (٣) المائدة) ننظر كيف استعملت الآيتان في القرآن الكريم: آية آل عمران في سياق توقع مكروه، في سياق القتال، توقع مكروه في سياق القتال (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) آل عمران). **الخشية** أشد الخوف، في مقام أشد الخوف، ثم هي في مقام توقع سياق مكروه فقال (فلا تخافوهم وخافون). والآية الأخرى (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ) ليس هناك توقع مكروه فقال (فاخشوهم). في توقع مكروه قال فلا تخافوهم ولما لم يكن توقع مكروه قال فاخشوهم. (قد جمعوا لكم فاخشوهم) أشد الخوف. هذه اللغة، الخشية أشد الخوف وفي بعض السياقات تحتمل الخوف الذي يشوبه تعظيم والسياق هو الذي يحدد.

الوجل يقولون هو الفزع ويربطونه باضطراب القلب تحديداً كضربة السعفة (سعفة النخل) كما قالت عائشة رضي الله عنها "الوجل في قلب المؤمن كضربة السعفة" ويقولون علامته حصول قشعريرة في الجلد(تَقْشَعِرُّ

مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (٢٣) الزمر). وقالوا الوجل هو اضطراب النفس ولذلك في القرآن لم نجد اسناد الوجل إلا للقلب. إما للشخص عامة (قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) الحجر) أو للقلب خاصة (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (٣٥) الحج) فقط أسند للقلب في حين أن الخوف والخشية لم يسندا للقلب في القرآن كله. الوجل في اضطراب القلب تحديداً (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ (٦٠) المؤمنون). وترتيب هذه الكلمات هو: الخوف، الخشية، الوجل.

آية (٣٠):

***لماذا في سورة المؤمنون آية ١٥ و ١٦ جاء توكيدان في الموت وتوكيد واحد فى سورة الزمر(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ {٣٠}) ؟(د.فاضل السامرائى)**

مسألة التوكيد أولاً تعود للسياق ومع أنه أكد الموت توكيدين في آية سورة المؤمنون (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ {١٥} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ {١٦}) ومرة واحدة في آية سورة الزمر (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ {٣٠}) ولم يذكر اللام هنا والسبب أنه ذكر الموت في سورة المؤمنون ١٠ مرات بينما ذكر في سورة الزمر مرتين فقط وتكررت صور الموت في سورة المؤمنون أكثر منها في سورة الزمر ففي سورة المؤمنون الكلام أصلاً عن خلق الإنسان وتطويره وأحكامه (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {١٤}).

آية (٣٩):

***ما وجه الإختلاف من الناحية البيانية بين قوله (فسوف تعلمون) في سورة الآنعام والزمرو(سوف تعلمون) في سورة هود؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الأنعام (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {١٣٥}) وسورة الزمر (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {٣٩}) وقال في سورة هود (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ {٩٣}) وعلينا أن نلاحظ القائل في كلا الآيتين ففي آية سورة الأنعام الله تعالى هو الذي أمر رسوله بالتبليغ أمره أن يبلغ الناس كلام ربه وهذا تهديد لهم فأصل التأديب من الله تعالى أما في آية سورة هود فهي جاءت في شعيب وليس فيها أمر تبليغ من الله تعالى فالتهديد إذن أقل في آية سورة هود ولهذا فقد جاء بالفاء في (فسوف تعلمون) في الآية التي فيها التهديد من الله للتوكيد ولما كان التهديد من شعيب حذف الفاء (سوف تعلمون) لأن التهديد أقل.

***ما الفرق بين الموت والوفاة في سورة الزمر (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢))؟(د.حسام النعيمى)**

الوفاة: يقولون وفّى ماله من الرجل أي استوفاه كاملاً غير منقوص أي قبضه وأخذه فلما يقال توفي فلان كأنه قُبِضت روحه كاملة غير منقوصة.

والموت هو مفارقة الحياة وليس فيها معنى القبض ولذلك يستعمل لفظ الموت أحياناً استعمالات مجازياً يقال ماتت الريح أي سكنت وهمدت والذي ينام مستغرقاً يقال له مات فلان اذا نام نوماً عميقاً مستغرقاً. هذا السكون للموت فكأن هذا الشيء الذي يفارق جسد الانسان بالمفارقة موت والذي توفّي تقبضه ملائكة الموت.

الوصايا العملية:

- الحذر من الفتوى أو التفسير بغير علم فهي من الكذب على الله .
- لا ينفع العلم بدون عمل .
- جميع خصال التقوى تندرج من الصدق والتصديق به .
- اسألي الله أن يبلغك درجة الإحسان في العبادة .
- تفويض الأمر إلى الله والتوكل عليه يكفيك كل شر .
- النفع والضر بيد الله وحده .
- احذري من قول : لا تقطعي رزقه ، الرزق بيد الله فهذا سوء أدب مع الله .
- بلغي الدين وأمري بالمعروف وانهي عن المنكر .
- اقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشة (الوضوء ، نفض الفراش ، أذكار النوم ، النوم على الجنب الأيمن).
- أدعي الله أن يرزقك حسن الخاتمة .
- رجوعك إلى الله يشجعك على العمل والإخلاص .
- تفقدي قلبك في مجال الذكر والخير فالمتململ منها دليل على ضعف إيمانه .
- تفكري في أعمالك واعرضيها على هذه الآية (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أن لا يدخل أعمالك (رياء ، عجب ، كبر ، غيبة) .
- بالشكر تدوم النعم فلا تركني للدنيا .
- أتاك خير أو شر فهذا ابتلاء ليشاهد ماذا تعملين أتشكرين أم العكس .
- إغداق الرزق على العبد ليس دليل على محبه الله له.
- الإيمان والعمل الصالح يختص به خير البرية .
- تصلين إلى رحمة الله بالإنابة لله والتضرع والذل والانكسار والدعاء والندم والاستسلام بالجوارح .
- لا تقنطي من رحمة الله فهو غافر الذنوب جميعا .
- الحسرة تصيب المؤمن إذا لم يزداد في أعماله أما الكافر يتحسر إذا لم يؤمن .

المقطع الثالث من الآية (٤٨) إلى الآية (٧٥):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٤٩ – ٥٢) الإنسان بين السراء والضراء.

الآيات (٥٣ – ٥٩) دعوة للرجوع إلى الله. لما صور الله تعالى فيما سبق الحال المفزعة التي يكون عليها الظالمون يوم القيامة. عاد يفتح أبواب رحمته على مصراعيها بالتوبة. ويُطمع في رحمته ومغفرته أهل المعاصي مهما يكونوا قد أسرفوا في المعصية. ويدعوهم إلى الأوبة إليه غير قانطين ولا يائسين.

الآيات (٦٠ – ٦٧) أحوال الناس يوم القيامة، ودلائل ألوهية الله ووحدانيته.

الآيات (٦٨ – ٧٠) نفختا الصور وأهوال الآخرة. لما جاء الحديث فيما سبق عن قدرة الله تعالى وعظيم قدره، أتبعه هنا بيان كما هذه القدرة وتمام هذه العظمة.

الآيات (٧١ – ٧٥) مآل الأشقياء والسعداء. لما ذكر الله تعالى فيما سبق أحوال أهل القيامة على سبيل الإجمال؛ بين بعده كيفية أحوال أهل العقاب، ثم كيفية أحوال أهل الثواب، وختم السورة.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر ،وارزقنا الحسنات الجاريات.

ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أول شفيع في الجنة)وفي لفظ لمسلم (وأنا أول من يقرع باب الجنة)

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول :محمد ،قال: يقول بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطون فيها ،آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ،ومجامرهم الألُوة ،ورشحهم المسك ،ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ،قلوبهم على قلب واحد ،يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا ،تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر)فقام عكاشة بن محصن فقال :يا رسول الله ادع الله أن

أكون منهم فقال : (اللهم اجعله منهم)ثم قام رجل من الأنصار فقال :يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ،فقال صلى الله عليه وسلم: سبقك بها عكاشة).

قال تعالى: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ...) هذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة (زمرا) أي جماعة بعد جماعة المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع أشكالهم ،والشهداء مع إضرابهم ،والعلماء مع أقرانهم ،وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا .

(حتى إذا جاءوها)أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم دخول الجنة.

نسأل الله من واسع فضله.

هذه الآيات سنتدارسها بإذن الله في تدارسنا اليوم.

فوائد وأسئلة تدبرية:

(وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) أي: يظنون من السخط العظيم، والمقت الكبير، وقد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك.

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي: الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم وكسبهم. (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) من الوعيد والعذاب الذي نزل بهم، وما حل عليهم العقاب.

- ما حال الإنسان إذا مسه ضر؟

فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ () قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون) .

يخبر تعالى عن حالة الإنسان وطبيعته، أنه حين يمسه ضر، من مرض أو شدة أو كرب. (دَعَانَا) ملحا في تفريج ما نزل به (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) فكشفنا ضره وأزلنا مشقته، عاد بربه كافرا، ولمعروفه منكرا. و (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) أي: علم من الله، أني له أهل، وأني مستحق له، لأني كريم عليه، أو على علم مني بطرق تحصيله.

قال تعالى: (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يبتلي الله به عباده، لينظر من يشكره ممن يكفره. (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) فلذلك يعدون الفتنة منحة، ويشتبه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سببا للخير أو للشر.

قال تعالى: (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي: قولهم (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) فما زالت متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، ولا يرون له حقا، فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا، ولم يغن (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) حين جاءهم العذاب.

- ما المراد بالسيئات هنا؟

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) والسيئات في هذا الموضع: العقوبات، لأنها تسوء الإنسان وتحزنه. (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا من هؤلاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) فليسوا خيرا من أولئك، ولم يكتب لهم براءة في الزبر.

- هل المال دليل على حسن حال صاحبه؟

ولما ذكر أنهم اغتروا بالمال، وزعموا - بجهلهم - أنه يدل على حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالى، أن رزقه، لا يدل على ذلك، وأنه (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) من عباده، سواء كان صالحا أو طالحا (وَيَقْدِرُ) الرزق، أي: يضيقه على من يشاء، صالحا أو طالحا، فرزقه مشترك بين البرية، والإيمان والعمل الصالح يخص به خير البرية. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي: بسط الرزق وقبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك، عائد إلى الحكمة والرحمة، وأنه أعلم بحال عبيده، فقد يضيق عليهم الرزق لطفا بهم، لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض، فيكون تعالى مراعيا في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم، والله أعلم.

- ما أرجى آية في كتاب الله؟

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) –ما دلالة الآية؟

يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: (قُلْ) يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرا للعباد عن ربهم: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب.

(لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته .

- ما الأسباب الجالبة لمغفرة الله ورحمته؟

ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم.

ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال:(وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له)

- ما المراد بلفظ الإسلام والإنابة وهل هما مترادفان؟

(وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ) بقلوبكم (وَأَسْلِمُوا لَهُ) بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

- ما دلالة قوله تعالى: (وأسلموا له)؟

وفي قوله (إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص، لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئا. (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ) مجيئا لا يدفع (ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ)

- فكأنه قيل: ما هي الإنابة والإسلام؟ وما جزئياتها وأعمالها؟

فأجاب تعالى بقوله: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) مما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، ومحبة الخير لهم، وترك ما يضاد ذلك.

ومن الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب المسلم،

-الحث على المبادرة وانتهاز الفرصة.

(مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) وكل هذا حثٌّ على المبادرة وانتهاز الفرصة.

-التحذير من الاستمرار على الغفلة.

ثم حذرهم (أَن) يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، ولا تنفع الندامة.و (تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) أي: في جانب حقه. (وَإِنْ كُنْت) في الدنيا (لَمِنَ السَّاخِرِينَ) في إتيان الجزاء، حتى رأيته عيانا.

- ما دلالة لو في هذه الآيات(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ () أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ () بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) .

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) و « لو » في هذا الموضع للتمني،أي: ليت أن الله هداني فأكون متقيا له، فأسلم من العقاب وأستحق الثواب، وليست « لو » هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة.

(أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ) وتجزم بوروده (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) أي: رجعة إلى الدنيا لكنت (مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال تعالى: إن ذلك غير ممكن ولا مفيد، وإن هذه أماني باطلة لا حقيقة لها، إذ لا يتجدد للعبد لَوْ رُدَّ، بيان بعد البيان الأول.

(بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي) الدالة دلالة لا يمترى فيها. على الحق (فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) عن اتباعها (وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث، وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

- ما حال الكافرين يوم القيامة؟

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) .

يخبر تعالى عن خزي الذين كذبوا عليه، وأن وجوههم يوم القيامة مسودة كأنها الليل البهيم، يعرفهم بذلك أهل الموقف، فالحق أبلج واضح كأنه الصبح، فكما سوَّدوا وجه الحق بالكذب، سود الله وجوههم، جزاء من جنس عملهم.

فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشديد في جهنم، ولهذا قال: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الحق، وعن عبادة ربهم، المفترين عليه؟ بلى والله، إن فيها لعقوبة وخزيا وسخطا، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم بها.

- ماذا يشمل الكذب على الله؟

والكذب على الله يشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لم يقله، والإخبار بأنه قاله وشرعه.

- ما حال المتقين يوم القيامة؟

ولما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين، فقال: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ) أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة

- ما آلة النجاة؟

- وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. (لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ) أي: العذاب الذي يسوؤهم (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) فنفى عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان.

فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ

- على ماذا تدل عليه هذه الآية(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ () لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) .

يخبر تعالى عن عظمته وكماله، الموجب لخسران من كفر به فقال: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) هذه العبارة وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بقدم بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدم الأرض والسماوات، وكالقائلين بقدم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه.

- هل القرآن مخلوق؟

وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل، فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات.

- ما الشاهد من هذه الآية؟

والشاهد من هذا، أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي، وأنه على كل شيء وكيل، والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل، بما كان وكيلا عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو وكيل عليه، ومن حكمة، ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها.

- على ماذا يدل أن الله على كل شيء وكيل؟

ومن المعلوم المتقرر، أن الله تعالى منزه عن كل نقص في صفة من صفاته، فإخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها.

- (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)

أي: مفاتيحها، علما وتدبيرا،

- ما حال من لم يقدر الله حق قدره وهم الكافرون بآيات الله؟

فلما بين من عظمته ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالا وإكراما، ذكر حال من عكس القضية فلم يقدره حق قدره، فقال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) الدالة على الحق اليقين والصراط المستقيم. (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) خسروا ما به تصلح القلوب من التأله والإخلاص لله، وما به تصلح الألسن من إشغالها بذكر الله، وما تصلح به الجوارح من طاعة الله، وتعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب والأبدان، وخسروا جنات النعيم، وتعوضوا عنها بالعذاب الأليم.

- دعوة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشرك،وأمر الله له بإخلاص العبادة له لا شريك له.

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ () وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ () بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) .

(قُلْ) يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصا من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك.

وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد للأحوال، ولهذا قال: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) من جميع الأنبياء. (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام - لما عدد كثيرا من أنبيائه ورسله قال عنهم: ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال.

ثم قال: (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ) لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ) أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى،

- ما النعمة الحقيقية، وكيف يسلم الإنسان من العجب بعمله؟

بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

- (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئا.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات - على سعتها وعظمها - مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوَّى به غيره، ولا أظلم منه.

(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به.

- بعض من أهوال يوم القيامة.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ () وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ () وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) .

- مناسبة الآيات لما قبلها.

لما خوفهم تعالى من عظمته، خوفهم بأحوال يوم القيامة، ورغَّبهم ورهَّبهم فقال: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمته إلا خالقه، ومن أطلعه الله على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن.

(فَصَعِقَ) أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمها، وما يعلمون أنها مقدمة له. (إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ممن ثبته الله عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وغيرهم. وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق، ونفخة الفزع.

(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ) النفخة الثانية نفخة البعث (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ ينظرون) أي: قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم، قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أبصارهم (يَنْظُرُونَ) ماذا يفعل الله بهم.

(وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَقْوَوْنَ على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضا من رؤيته، وإلا فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ) أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات والسيئات، كما قال تعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا

(وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ) ليسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. (وَالشُّهَدَاءِ)-من هم الشهداء هنا؟- من الملائكة، والأعضاء والأرض. (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب.

فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته ما لم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ)

- (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) .

مناسبة الآيات لما قبلها.

لما ذكر تعالى حكمه بين عباده، الذين جمعهم في خلقه ورزقه وتدبيره، واجتماعهم في الدنيا، واجتماعهم في موقف القيامة، فرقهم تعالى عند جزائهم، كما افترقوا في الدنيا بالإيمان والكفر، والتقوى والفجور،

- كيف يكون سوق الكافرين ؟

قال: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ) أي: سوقا عنيفا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأفظع موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا أي: يدفعون إليها دفعا، وذلك لامتناعهم من دخولها.

ويساقون إليها (زُمَرًا) أي: فرقا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضا، ويبرأ بعضهم من بعض. (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا) أي: وصلوا إلى ساحتها (فُتِحَتْ) لهم أي: لأجلهم (أَبْوَابُهَا) لقدومهم وقِرًى لنزولهم.

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) مهنئين لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) أي: من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟. (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) التي أرسلهم الله بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

(وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحذر من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟

(قَالُوا) مقرين بذنبهم، وأن حجة الله قامت عليهم: (بَلَى) قد جاءتنا رسل ربنا بآياته وبيناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل من كفر بآيات الله، وجحد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم وقيام الحجة عليهم.

فـ (قِيلَ) لهم على وجه الإهانة والإذلال: (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. (خَالِدِينَ فِيهَا) أبدا، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) أي: بئس المقر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل، والخزي.

- كيف يكون سوق المتقين؟

ثم قال عن أهل الجنة: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدا على النجائب. (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها وتشاكله. (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا) أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهبَّ عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها. (وَفُتِحَتْ) لهم (أَبْوَابُهَا) فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) تهنئة لهم وترحيبا: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) أي: سلام من كل آفة وشر حال.عليكم (طِبْتُمْ) أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. (فـ) بسبب طيبكم (ادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون.

- لماذا قال في النار (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) وفي الجنة (وَفُتِحَتْ) بالواو؟

إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها.

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد صلى الله عليه وسلم، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

- على ماذا دلت الآيات هنا؟

وفي الآيات دليل على أن النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور.

(وَقَالُوا) عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومنَّ عليهم وهداهم: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أي: وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوفَّى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما منَّانا. (وَأَوْرَثَنَا الأرْضَ) أي: أرض الجنة (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أي: ننزل منها أي مكان شئنا، ونتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعا عنا شيء نريده. (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا.

وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها الجواد الكريم لهم نزلا وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر، ويتم الصفاء.

- (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ) أيها الرائي ذلك اليوم العظيم (حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا.

(وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أي: بين الأولين والآخرين من الخلق (بِالْحَقِّ) الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)-لماذا لم يذكر من القائل للحمد؟- لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.

لمسات بيانية:

***لماذا استعمل القرآن كلمة سيق للكافرين وللمؤمنين في سورة الزمر؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الزمر (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٧١}) و (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣}) ليس غريباً أن يُؤتى بفعل يشمل الجميع فكل النفوس تُساق بدون استثناء كما في قوله تعالى (وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ {٢١} سورة ق) لكن المهم أين يُستق كل مجموعة والجهة التي تساق إليها. إذن كلهم يساقون لكن المهم جهة السوق فهؤلاء يُساق بهم إلى الجنة وهؤلاء يُساق بهم إلى النار تماماً كما يستعمل القرآن كلمة ادخلوا فهي تقال للجميع لكن المهم أين سيدخلوا الجنة أو النار، وكلمة خلق أيضاً عامة للجميع وكذلك كلمة الحشر. فليس المهم لفعل وإنما متعلّق الفعل.

***(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) مريم) وفي سورة الزمر وردت كلمة سيق للكافرين والمؤمنين (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا (٧١) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا (٧٣)) فما دلالة تغير الفعل في آية مريم واستخدام نحشر ونسوق؟(د.فاضل السامرائى)**

أولاً ما الفرق بين الحشر وسيق؟ نحشر معناه نجمع، الحشر من معانيه الجمع (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) النمل) (فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) النازعات) (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ (١١١) الأعراف) الحشر له معاني. إذن معنى حشر جمع ربنا قال يوم الجمع يوم الحشر ويأتي بمعاني

أخرى لكن المعنى المشهور جمع. السَوْق ليس بالضرورة جمع فقد تسوق واحد أو اثنين أو أكثر. هناك قال (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥)) الوفد لا بد أن يكتمل أفراده، إذن هو بعد الاكتمال يصير الحشر، الوفد يجب أن يكتمل. أما في الزمر قال (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا (٧٣)) إذن ليسوا مجموعين، الزمر يعني جماعات جماعات، الزمرة الجماعة، زمراً يعني جماعات جماعات ليسوا وفداً مجموعين إلى أن يكتملوا فيصيروا وفداً فيحشرهم. يعني الذين اتقوا سيصبحوا زمراً لأنهم ليسوا بدرجة واحدة فيُساقون زمراً حتى إذا اكتملوا حُشِروا وفداً يصيروا وفداً الزمر ليس وفداً لا بد أن يكتمل. في مريم قال (إلى الرحمن) وليس إلى الجنة أما في الزمر فقال إلى الجنة (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا (٧٣)) الوفد للإكرام هذا بعد الحساب بعد أن يساقوا زمراً إلى الجنة يذهبون وفداً إلى الرحمن تكريماً لهم. مرحلة بعد مرحلة لا يصح أن نضع واحدة مكان أخرى، لا يجوز، الوفد لا بد أن يُجمَع فقال يحشر والسَوْق للزمر اكتمل هؤلاء المتقون يجمعهم فيحشرهم فيُذهَب بهم إلى الرحمن وفداً. هم بداية زمر جماعات سيقوا إلى الجنة اجتمعوا هناك فكوّنوا وفداً فحشروا إلى الرحمن. كل كلمة لها دلالتها.

***لماذ حذف كلمة ربهم في قوله تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)) في سورة الزمر وذكرها مع الذين اتقوا؟ (د.حسام النعيمى)**

ذكر ربهم مع الذين اتقوا ولم يذكرها مع الذين كفروا يتعلق بالحذف والذكر . في هذه الآية من سورة الزمر ذكر تعالى الذين كفروا عندما يساقون إلى النار فهؤلاء لا يستحقون أن يرد معهم اسم الله سبحانه وتعالى فضلاً عن أن يذكر اسم الرب (ربهم) الذي يعني المربي والرحيم العطوف الذي يرعى عباده فلا تنسجم كلمة ربهم هنا مع سوق الكافرين إلى جهنم وعدم ذكر كلمة ربهم مع الذين كفروا هو لسببين الأول أنهم يساقون إلى النار وثانياً أنهم لا يستحقون أن تذكر كلمة ربهم معهم فلا نقول وسيق الذين كفروا ربهم إلى جهنم لأن كلمة الرب هنا :أن فيها نوع من التكريم والواقع أنه كما قال تعالى (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا)

***ما دلالة استخدام (ما) او حذفها في قوله تعالى (حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم(٢٠)فصلت) وقوله (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها(٧١)الزمر)؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة فصلت (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٠}) وهذا من غرائب الأمور أن يشهد السمع والبصر والجلود على الناس ولذا اقتضى استخدام (ما) للتوكيد)، أما في سورة الزمر فقد جاءت الآية (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٧١}) وهنا الأمر عادي إذا جاءوا فُتحت الأبواب.

***ما الفرق بين سلام والسلام ؟(د.فاضل السامرائى)**

السلام معرفة والمعرفة هو ما دلّ على أمر معين، وسلام لك والأصل في النكرة العموم إذن كلمة سلام عامة وكلمة السلام أمر معين. لما نقول رجل يعني أيّ رجل ولما نقول الرجل أقصد رجلاً معيناً أو تعريف الجنس. الأصل في النكرة العموم والشمول. إذن (سلام) أعم لأنها نكرة وربنا سبحانه وتعالى لم يحييّ إلا بالتنكير في القرآن كله مثل (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (٥٩) النمل) (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) الصافات) (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) الصافات) حتى في الجنة (سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) يس) حتى الملائكة (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) الزمر) ربنا تعالى لم يحييّ هو إلا بالتنكير لأنه أعم وأشمل كل السلام لا يترك منه شيئاً. (سلام عليه) هذه تحية ربنا على يحيى والآية الأخرى عيسى عليه السلام سلم على نفسه وليس من عند الله سبحانه وتعالى، سلام نكرة من قبل الله تعالى والسلام من عيسى عليه السلام وليس من الله تعالى والتعريف هنا (السلام) أفاد التخصيص. ويقوون تعريض بالذين يدعون أن مريم كذا وكذا فقال (والسلام علي) رد على متهمي مريم عليها السلام.

آية (٧٤):

***ما المقصود بكلمة الأرض في قوله تعالى (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)) في سورة الزمر؟(د.حسام النعيمى)**

(وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) هناك تبديل فالأرض الذي يورثها المؤمنون يتبوأون من الجنة هي ليست هذه الأرض وإنما هي أرض الآخرة التي قال تعالى عنها (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) إبراهيم). فإذن نحن لسنا والعياذ بالله في يد الرحمن كما تهيأ للسائلة ونحاسب كلا. نحن في قبضته أي في سيطرته وفي ملكه فنحاسب.

*(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) العنكبوت) – (أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) آل عمران) – (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) الزمر)؟(د.أحمد الكبيسى)

لماذا مرة (نعم أجر العاملين) ومرة بالواو (ونعم أجر العاملين) ومرة بالفاء (فنعم أجر العاملين)؟ عندما تكرّم الأول في الجامعة هناك أول مكرر هناك أكثر من أول فأعطيت كل واحد سيارة هذا نعم أجر العاملين، لكن أول الأوائل الذي هو أولهم أخذ سيارتين هذا ونعم أجر العاملين هذه أقوى من الأولى، أما فنعم أجر العاملين هذه عندما يستلمون الجائزة.

الوصايا العملية:

- على المؤمن أن يجتهد ويزيد في العبادة قبل العذاب .
- احذري من الكبر والإخبار عن الله بما لا يليق بالله سبحانه وتعالى .
- تنبهي عند نشر الرسائل المشتملة على الأحاديث والأحكام الشرعية أن تكون صحيحة .
- الله خالق كل شي رد على (الفلاسفة وأهل الطبيعة) .
- كلام الله ليس مخلوق فهي صفة ملازمة له لا تعطل أبدا .
- الله وكيل على كل شيء وكالة تامة فهو محيط بكل شيء .
- لا يجوز القول : توكلت لى الله ثم فلان ، لأن الوكيل محيط بتفاصيل كل شيء .
- مفاتيح السماء والأرض عند الله علم وتقديرا .
- لا يصلح الجوارح إلا الطاعات .
- لا يصلح اللسان إلا ذكر الله .
- لا يصلح القلب إلا بالتأله والإخلاص لله .
- الكفار خسروا ما سبق فاستحقوا العذاب .
- الشرك محبط للأعمال ومفسد للقلوب والأحوال .
- من يعرف حقيقة حاله لا يعجب بعبادته فيجب عليه شكرين شكر الإيمان وكر إعانته على الطاعة .
- أخلصي عبادتك لله لا تسلب منك بالعجب والرياء .
- في أداء ما لا يليق بالله أخفضي صوتك مثل خفض الصوت عند ذكر مقولة اليهود (يد الله مغلولة)
- (وما قدروا الله حق قدره) تمد ويرفع الصوت .
- اسألي الله الأمن يوم القيامة واستعدي له .
- أعمالك محصاة عليك (أحصاه الله ونسوه) .

تناسب فواتح سورة الزمر مع خواتيمها:

قال في أولها (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)) وفي آخرها (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)) قُضي هنا بمعنى حكم وقضاء. الفرق بين الحكم والقضاء أن الحكم قد يكون من الحِكمة أو من القضاء فالحُكم أعم (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) الشعراء) بمعنى الحكمة (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) مريم) أي الحكمة لأن الصبي ليس حاكماً فيأتي بمعنى القضاء (إن الله يحكم بينهم). ذكر الحكم في الحالتين (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) (وقضي بينهم بالحق).

| ● | نهاية سورة الزمر | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة غافر ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة غافر

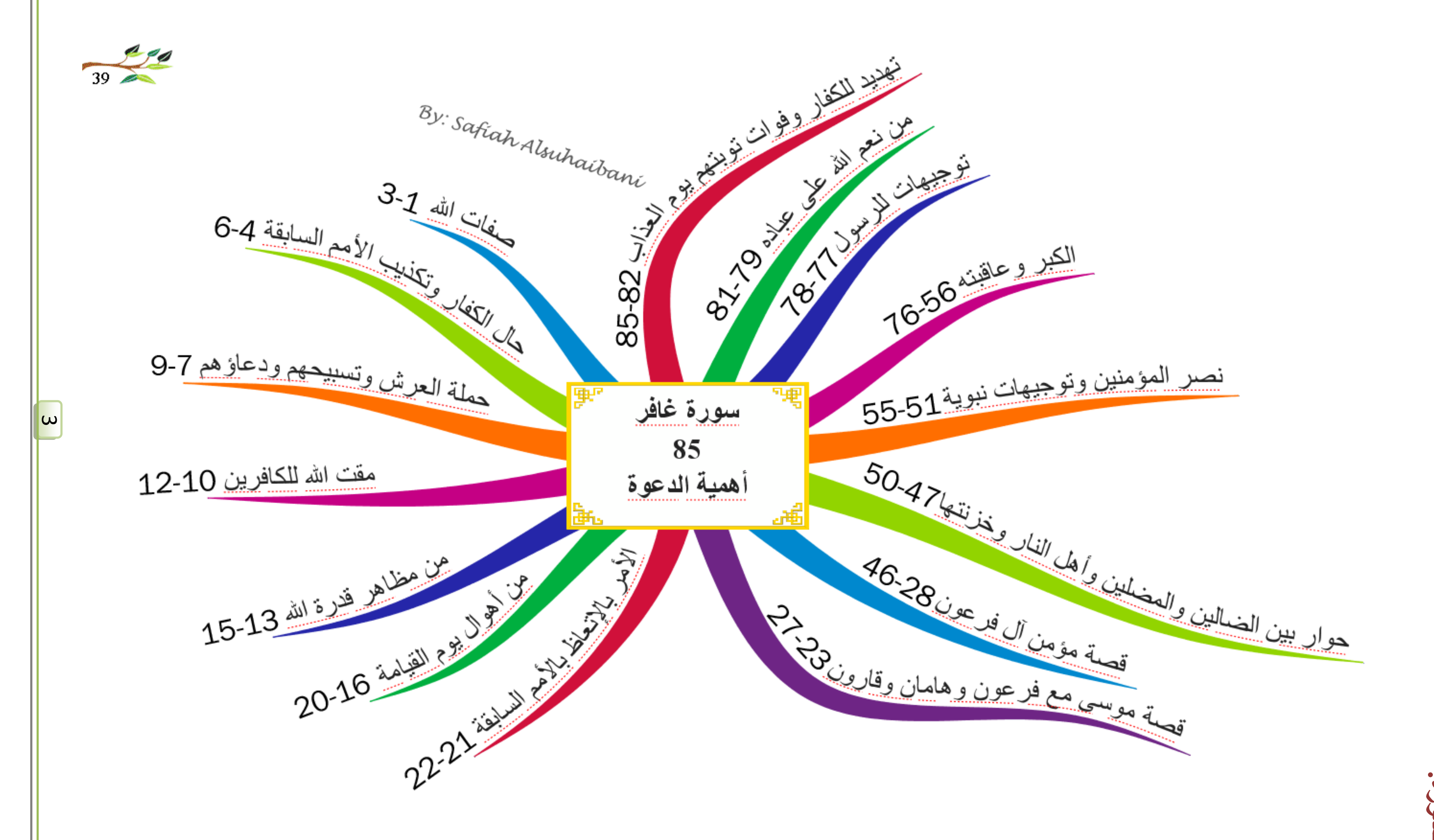
بين يدي السورة:

- أسماء السورة: سورة غافر وتسمى كذلك سورة المؤمن، (فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله لعيه وسلم : من قرأ حم المؤمن إلى إليه المصير وآية الكرسي حفظ بهما – وكذا ترجمها البخاري).
- سورة مكية.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

في نهاية سورة الزمر كان الكلام على أهل الجنة وكيف يدخلونها، وسورة غافر تبين أن الله غفر ذنبهم وقبل توبتهم. فيكون آخر سورة الزمر أو موضوع سورة الزمر نتيجة لما قدمه المؤمنون من مقابلة المشركين بالحجج فهذه السورة تبين ما أوصل المؤمنين إلى الجنة وما أوصل المشركين إلى النار.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٢٥):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (١ – ٣) المقدمة. ولقد ذكر في المقدمة أن الله قسم الناس إلى قسمين بناء على موقفهم من الدعوة؛ ذكر الله جل وعلا أنه قابل التوب وغافر الذنب لأن كل ابن آدم خطاء فمن عرف خطأه وعاد إلى الطريق المستقيم الذي رسمه له فيتجاوز عن خطئه ويقبل عودته وهو شديد العقاب للذين يصرون على كفرهم وعنادهم، وهذه المقدمة للمتجادلين فالذي يظهر له الحق ويتوب إليه والذي يصر مستكبراً معانداً مغالطاً.

الآيات (٤ – ٦) نشاط المشركين العقلي ضد الرسل. آيات المقدمة قسمت الناس إلى قسمين وهذه الآيات بينت عقيدة أحد هذين الفريقين وكيف ينظرون إلى الدلائل التي تبين العقيدة الصحيحة ولقد وضع الله عز وجل في هذه الآيات قاعدة ثابتة وهي أن الذين يتصدون لنقاش آيات الله ومحاولة تكذيبها والتشكيك بها هم الكفار أصلاً والذين أغلقوا قلوبهم وعقولهم عن الحق وأنهم ليسوا بدعاً في البشر فإن جميع الرسل واجهوا هذا النوع من البشر، وقد بين الله للمسلمين أن تنعم هؤلاء ليس تكريماً لهم.

الآيات (٧ – ٩) إعانة المسلمين على التصدي للمشركين. بعد أن بين الله سبحانه جدل المشركين ودفاعهم عن باطلهم طمأن المسلمين أن الملائكة تكون لهم عوناً في تصديهم للباطل وتفنيد دعواته وأدعيائه. وهم يستغفرون للمؤمنين ويطلبون لهم العون من الله ويطلبون لهم الجنة وهم ليسوا أي من الملائكة وإنما هم من الملائكة المقربين "الذين يحملون العرش".

الآيات (١٠ – ١٢) مصير المشركين وندمهم. بعد أن بين الله عز وجل في الآيات السابقة استغفار الملائكة للمسلمين أظهر التمايز بين الفريقين لأن الملائكة التي تستغفر للمؤمنين هم الملائكة المقربون؛ بين الله سبحانه في هذه الآيات مقته للكافرين الذين أصروا على كفرهم حتى بعد بيان الحق والعدل والصواب، وبين الله لهم أنه أكثر بغضاً لهم من بغضهم لأنفسهم يوم القيامة حينما يرون العذاب ويندمون على فعلهم في الدنيا وإتباع شهواتهم.

الآيات (١٣ – ١٧) من صفات الله تعالى التي تقتضي أن يفرد بالعبادة. بعد أن بين الله في الآيات السابقة مقته وغضبه على الذين أصروا على الكفر بعد دعوة الرسل لهم إلى الإيمان، بين في هذه الآيات أنه أوضح جميع الدلائل على وحدانيته وفاعليته في الكون وأنه سبب الرزق وهو الذي يختار الرسل الذين يبلغون دين الله لعباده ولم يعذب أحداً إلا بعد أن يبين له الحق فيخالفه ويصر على الكفر فأنه تعالى لا يظلم نفساً ولا يجازيها إلا بما قدمت.

الآيات (١٨ – ٢٢) تقرير يوم للفصل بين العباد وأحوال الناس فيه. في المقطع السابق بين سبحانه وتعالى أنه لم يكن أخذه بالعقاب أو جزاؤه للمخلصين جزافاً أو تخميناً فإنه أرسل رسلاً يعلمون الناس ماذا يريد الله منهم ووضحوا لهم الطريق المستقيم والشريعة الحق والعقيدة السليمة. وأنقذ بهم عباده من التخبط وظلم الطغاة، وأنه الحاكم الأوحد في الكون، وأن الكون ملكه، وفي هذه الآيات ذكر الله عز وجل أن الله أعد لهم يوماً يحاسبهم فيه وأن هذا اليوم قريب وأنه تعالى قد أحاط بأعمالهم وخلجات نفوسهم ويعلم ما يسرون وما يعلنون فسيجمعهم في هذا اليوم ويحاسبهم عن فعلهم.

الآيات (٢٣ – ٢٧) صور من مسيرة الدعاة وموقفهم وموقف أقوامهم منهم. في الآيات السابقة دعاهم لتدبر ما حصل لمن سبقهم من الأمم وفي هذه الآيات أورد نموذجاً من هذه الأمم فقال لقد جاء موسى بالبراهين والأدلة على العقيدة الصحيحة ولا ينكرها إلا متكبر لا يريد أن يسمع الحق، فأعلن المؤمن أن العقل السليم والمنطق المستقيم أن نؤمن بما جاء به موسى والحذر كل الحذر من تكذيبه.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات..

الناس بعد الممات ينقسمون إلى قسمين باعتبار جريان الحسنات والسيئات عليهم:

القسم الأول:من يموت وتنقطع حسناته وسيئاته على السواء فليس له إلا ما قدم في حياته الدنيا .

القسم الثاني:من يموت وتبقى آثار أعماله من حسنات وسيئات تجري عليه وهذا القسم على ثلاثة أصناف:

١/من يموت وتجري عليه حسناته وسيئاته فمثل هذا يتوقف مصيره على رجحان أي من كفتي الحسنات أم السيئات.

٢/من يموت وتنقطع سيئاته وتبقى حسناته تجري عليه وهو في قبره فيثاب منها بقدر إخلاصه لله تعالى واجتهاده في الأعمال الصالحة في حياته الدنيا فيا طيب عيشه ويا سعادته.

٣/من يموت وتنقطع حسناته وتبقى سيئاته تجري عليه دهرا من الزمان إن لم يكن الدهر كله فهو نائم في قبره ورصيده من السيئات يزداد يوما بعد يوم حتى يأتي يوم القيامة بجبال من السيئات لم تكن في حياته فيا ندامته ويا خسارته.

يقول أبو حامد الغزالي:

طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسأل عنها إلى آخر انقراضها.

فليس في الدنيا والآخرة شر أصلا إلا الذنوب وعقوباتها فالشر اسم لذلك كله وأصله من شر النفس وسيئات الأعمال وهما الأصلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منهما في خطبته بقوله صلى الله عليه وسلم (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا)

ومعناه من عقوبات أعمالنا التي تسوءنا وذكر غاية الشر ومنتهاه وهو السيئات التي تسوء العبد

من عمله من العقوبات والآلام فتضمنت هذه الاستعاذة أصل الشر وفروعه وغايته ومقتضاه.

ودعاء الملائكة للمؤمنين قولهم(وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته)فهذا يتضمن طلب وقايتهم من سيئات الأعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فإنه تعالى متى وقاهم عمل السيئ وقاهم جزاء السيئ .

وقاية السيئات نوعان :

أحدهما:

وقاية فعلها بالتوفيق فلا تصدر منه.

والثاني:

وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها فتضمنت الآية سؤال الأمرين .

وتأمل ما تضمنه هذا الخير عن الملائكة من مدحهم بالإيمان والعمل الصالح والإحسان إلى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي استغفارهم وتوسلهم إلى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته ،فسعة علمه يتضمن علمه بذنوبهم وأسبابها ،وضعفهم عن العصمة واستيلاء عدوهم وأنفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها .

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية.

تمهيد آخر:
بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ،وزدنا هدى و تقى وعلما ..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات..

الله سبحانه وتعالى علمه تام محيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها ،صغيرها وكبيرها ،دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه .

فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر .

ولما جيء بعبد الله بن أبي السرح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اطمأن أهل مكة وطلب له الأمان عثمان رضي الله عنه صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال: (نعم)فلما انصرف قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن حوله (ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه)فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول الله ،فقال: إن النبي لا تكون له خائنة الأعين .

خائنة الأعين الأمور التي يجب أن يترفع عنها كل من ينتمي إلى هذا الدين لذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نزه نفسه من هذه الخصلة المذمومة فقال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.

فعلينا أن نتق الله أن تكون لنا خائنة الأعين وأن نراقب الله في جميع حركاتنا وسكناتنا ، قال تعالى : (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين...):

هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء أو تمر به وبهم المرأة الحسناء فإذا غفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا غض بصره عنها وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها.

وقال الضحاك خائنة الأعين هو الغمز. وقول الرجل :رأيت ولم ير أو لم أر وقد رأى .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما :

يعلم تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا؟

وقال ابن عباس رضي الله عنهما :

هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها .

قال ابن عباس:(وما تخفي الصدور)أي هل يزني بها لو خلا بها أو لا؟

وقيل ما تخفي الصدور:تكنه وتضمره.

فهو تعالى لا يخفى عليه شيء فلا يخفى عليه دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء

(يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث)

إن جهرت بقولك سمعه وإن أسررت به لصاحبك سمعه وإن أخفيته في نفسك سمعه وأبلغ من ذلك أنه يعلم ما توسوس به نفسك وإن لم تنطق به ،إن فعلت فعلا ظاهرا رآك وإن فعلت فعلا باطنا ولو في جوف بيت مظلم رآك ،وإن تحركت بجميع بدنك رآك وأبلغ من ذلك أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية.

فوائد وأسئلة تدبرية:

*ما وجه المناسبة بذكر نزول القرآن الكريم من الله الموصوف بهذه الأوصاف؟

ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن، من المعاني.

فإن القرآن: إما إخبار عن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وهذه أسماء، وأوصاف، وأفعال.

وإما إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة، فهي من تعليم العليم لعباده.

وإما إخبار عن نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك، من الأوامر، فذلك يدل عليه قوله: (ذِي الطَّوْلِ)

وإما إخبار عن نقمه الشديدة، وعما يوجبها ويقتضيها من المعاصي، فذلك يدل عليه قوله: (شَدِيدِ الْعِقَابِ)

وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار، فذلك يدل عليه قوله: (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ)

وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها والترهيب منها، فذلك يدل عليه قوله تعالى: (لا إِلَهَ إلا هُوَ)

وإما إخبار عن حكمه الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله: (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)

فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات.

*ما المراد بالمجادلة ؟

والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل .

*هل إعطاء الله للإنسان في الدنيا دليل على محبة الله له ؟

لا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: (فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ) أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له.

*ما المراد بالعرش ؟

عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، وأقربها من الله تعالى، الذي وسع الأرض والسماوات والكرسي، وهؤلاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم.

*على ماذا يدل اختيار الملائكة لحمل العرش ؟

واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر، وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ .

*بماذا يكون صلاحهم المستحق دخول الجنه بعد رحمة الله ؟

(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ) أي: صلح بالإيمان والعمل الصالح.

*لماذا دعوا الله بوقاية السيئات ؟

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أي: الأعمال السيئة وجزاءها، لأنها تسوء صاحبها. (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) أي: يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُ) لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد، لا يمنعها إلا ذنوب العباد وسيئاتهم، فمن وقيته السيئات وفقته للحسنات وجزائها الحسن.

*ماذا تضمن دعاء الملائكة رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ؟

وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة كمال معرفتهم بربهم، والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، التي يحب من عباده التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما دعوا الله فيه، فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته النفوس البشرية التي علم الله نقصها واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي، ونحو ذلك من المبادئ والأسباب التي قد أحاط الله بها علمًا توسلوا بالرحيم العليم.

وتضمن كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة والخاصة، وأنه ليس لهم من الأمر شيء وإنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من جميع الوجوه، لا يُدْلِي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله وكرمه وإحسانه.

ما الذي أوصل الكفار إلى الكفر ؟

ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ) أي: إذا دعي لتوحيده، وإخلاص العمل له، ونهي عن الشرك به (كَفَرْتُمْ) به واشمأزت لذلك قلوبكم ونفرتم غاية النفور.

(وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) أي: هذا الذي أنزلكم هذا المنزل وبوأكم هذا المقيل والمحل، أنكم تكفرون بالإيمان، وتؤمنون بالكفر، ترضون بما هو شر وفساد في الدنيا والآخرة، وتكرهون ما هو خير وصلاح في الدنيا والآخرة.

تؤثرون سبب الشقاوة والذل والغضب وتزهدون بما هو سبب الفوز والفلاح والظفر وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا.

*ما معنى اسم الله تعالى (العلي) و (الكبير)؟

(فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) العلي: الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر ومن علو قدره، كمال عدله تعالى، وأنه يضع الأشياء مواضعها، ولا يساوي بين المتقين والفجار.

(الْكَبِير) الذي له الكبرياء والعظمة والمجد، في أسمائه وصفاته وأفعاله المتنزه عن كل آفة وعيب ونقص، فإذا كان الحكم له تعالى، وقد حكم عليكم بالخلود الدائم، فحكمه لا يغير ولا يبدل.

*بماذا يبين الله الحق عن الباطل ؟

يذكر تعالى نعمه العظيمة على عباده، بتبيين الحق من الباطل، بما يُرِي عباده من آياته النفسية والآفاقية والقرآنية، الدالة على كل مطلوب مقصود، الموضحة للهدى من الضلال، بحيث لا يبقى عند الناظر فيها والمتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق، وهذا من أكبر نعمه على عباده، حيث لم يُبْقِ الحق مشتبهًا ولا الصواب ملتبسًا، بل نوَّع الدلالات ووضح الآيات، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة وكلما كانت المسائل أجل وأكبر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر.

*ما دلالة كثرة أدلة التوحيد ؟

فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية والنقلية وتنوعت، وضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال، ولهذا ذكرها في هذا الموضع، ونبه على جملة من أدلتها فقال: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)

ولما ذكر أنه يُرِي عباده آياته، نبه على آية عظيمة فقال: (وينزل لكم من السماء رزقا) أي: مطرًا به ترزقون وتعيشون أنتم وبهائمكم، وذلك يدل على أن النعم كلها منه، فمنه نعم الدين، وهي المسائل الدينية والأدلة عليها، وما يتبع ذلك من العمل بها. والنعم الدنيوية كلها، كالنعم الناشئة عن الغيث، الذي تحيا به البلاد والعباد. وهذا يدل دلالة قاطعة أنه وحده هو المعبود، الذي يتعين إخلاص الدين له، كما أنه ـ وحده- المنعم.

*من الذي يتذكر بالآيات ؟

(وَمَا يَتَذَكَّرُ) بالآيات حين يذكر بها (إِلا مَنْ يُنِيبُ) إلى الله تعالى، بالإقبال على محبته وخشيته وطاعته والتضرع إليه، فهذا الذي ينتفع بالآيات، وتصير رحمة في حقه، ويزداد بها بصيرة.

ولما كانت الآيات تثمر التذكر، والتذكر يوجب الإخلاص لله، رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية فقال: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة.

*ما معنى الإخلاص ؟

والإخلاص معناه: تخليص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة والمستحبة، حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه.

*ما الفائدة من إرسال الرسل ؟

والفائدة في إرسال الرسل، هو تحصيل سعادة العباد في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وإزالة الشقاوة عنهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولهذا قال: (لِيُنْذِرَ) من ألقى الله إليه الوحي (يَوْمَ التَّلاقِ) أي: يخوف العباد بذلك، ويحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه.

وسماه (يوم التلاق) لأنه يلتقي فيه الخالق والمخلوق والمخلوقون بعضهم مع بعض، والعاملون وأعمالهم وجزاؤهم.

*ما المراد ب (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ) ؟

هو النظر الذي يخفيه العبد من جليسه ومقارنه، وهو نظر المسارقة، (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) مما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى.

*هل تنفع الكفار قوتهم ؟

(إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئًا، بل من أعظم الأمم قوة، قوم عاد الذين قالوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أرسل الله إليهم ريحا أضعفت قواهم، ودمرتهم كل تدمير.

لمسات بيانية:

آية (٦):

*** ما معنى حق القول؟(د.فاضل السامرائى)**

حق القول في القرآن معناه ثبت لهم العذاب.

آية (٢١):

***ما سبب تكرار بعض الكلمات في الآيتين في سورة غافر (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١)) و(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢))؟ (د.فاضل السامرائى)**

ينبغي أن نعلم الفرق بين الواو والفاء في التعبير حتى نحكم. الواو لمطلق الجمع، الجمع المطلق، قد يكون عطف جملة على جملة (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) الأنعام). الفاء تفيد السبب، هذا المشهور في معناها (درس فنجح) فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها أي الذي قبل يفضي لما بعدها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو لأنه لمطلق الجمع. هذا حكم عام ثم إن الفاء يؤتى بها في التبكيت أي التهديد. لو عندنا عبارتين إحداهما فيها فاء والأخرى بغير فاء وهو من باب الجواز الذِكر وعدم الذِكر نضع الفاء مع الأشد توكيداً. (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً (١٣٧) النساء) ليس فيها فاء. (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) محمد) لأنهم لا تُرجى لهم توبة. وفي الأولى هم أحياء قد يتوبون. لما لم يذكر الموت لم يأت بالفاء ولما ذكر الموت جاء بالفاء (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ (٩٠) آل عمران) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٩١) آل عمران) الآيتان فيهما نفس التعبير: النفي بـ (لن) واحدة جاءت بالفاء (وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ) انتهى عملهم. النُحاة يقولون قد تأتي الفاء للتوكيد.

هناك أمران: الأول أن الفاء تكون للسبب (سببية) " درس فنجح" سواء كانت عاطفة "لا تأكل كثيراً فتمرض" يُنصب بعدها المضارع. ينبغي أن نعرف الحكم النحوي حتى نعرف أن نجيب.

آية أخرى في سورة غافر (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١)) (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) غافر) ليس سبباً. لما يأتي بالفاء الفاء سبب، ما قبلها سبب يفضي لما بعدها أما الواو جملة إخبار. هذا خط عام وهذه اللغة والعرب كانت تفهم هذه المعاني، أبو سفيان وأبو جهل كانوا يستمعون إلى القرآن (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى (٤٧) الإسراء) لا يعلم أحدهم مكان الآخر فيلتقون ويتعاهدون

على أن لا يعودوا ثم يعودوا. هم فهموا لغة القرآن ولكن (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا (١٤) النمل). كل كلمة في القرآن عاشقة لمكانها وكل كلمة مقصودة لذاتها.

آية (٢٤):

*** ما اللمسة البيانية في ترتيب الأسماء في قوله تعالى (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) العنكبوت) وقوله تعالى (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) غافر)؟ (د.فاضل السامرائى)**

الفكرة العامة أولاً في طريقة القرآن في الآيتين أن ما أخّره لا يأتي على ذكره في السورة ففي سورة العنكبوت أخّر هامان وهامان لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية، وفي آية غافر أخّر قارون الذي لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية.

ثم إن هناك أمر آخر وهو أن في سورة العنكبوت قدّم قارون على فرعون لماذا؟ لأنه إذا لاحظنا السياق في السورة في الآية التي سبقت الآية موضع السؤال (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)) نجد أنه ورد في آخرها كلمة (مستبصرين) عن قوم عاد وثمود، وقارون كان مستبصراً فقد كان من قوم موسى فبغى عليهم أي أنه كان يعرف الحق مستبصراً به فجاء ذكره أولاً لأنه يدخل مع المستبصرين في الآية التي سبقت.

ثم إن الترتيب جاء مناسباً لترتيب العقوبة في السورة عقاب قارون أولاً (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) ثم فرعون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) فالعقوبات ترتبت بموجب الذِكر فالسياق إذن مناسب للعقوبات التي ذكرها ولا يصح غير هذا الترتيب من الناحية الفنية.

أما في سورة غافر فقد جاء قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣)) لمن أرسل موسى؟ لفرعون فناسب أن يكون فرعون أول المذكورين في الآية التي بعدها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)) والسياق في السورة يدور حول فرعون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)) (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦)) أما قارون فهو خارج السياق.

الوصايا العملية:

- من فضل الله وإحسانه لعباده يغفر ذنوبهم ويقبل توبتهم .
- إنزال القرآن نعمة من الله وفضل علينا .
- اخلص الدين لله .
- زني الناس بالحقائق الشرعية والدين
- حذر الله عبادة من الإنصاف بالأمم السابقة في رد الحق وقتل الأنبياء .
- أكثري من التسبيح .
- العبادات الأخرى تدخل في التسبيح .
- حمدك الله عبادة فاحدثي لها عبادة أخرى بأن تحمديه أن وفقك لهذه العبادة .
- حضورك للدار نعمه فاجتهدي وتمسكي بذلك واحمديه على هذه النعمة .
- من فوائد الإيمان أن الملائكة تستغفر للمؤمنين .
- بشرى للمؤمن دعوة الملائكة لهم بمغفرة الذنوب .
- الذي يقيه السيئات فهو في رحمة الله وقد وقاه الله العقوبة الوقاية نوعان : ١- وقاية فعل السيئة ٢ - وقاية جزائها .
- فمن اقترف ذنب فعلية التوبة مباشرة حتى لا تأتيه عقوبة السيئة .
- مثال على رحمة الله امرأة حضرت لمكان فيه داعية .
- مثال على وقاية السيئات إمرأة تريد الذهاب لمكان ما ويأتها ظرف ويردها عن الذهاب ويكون خير لها يمكن أن يكون في هذا المكان منكر ويكون لله حكمة حيث يصرف عن عبادة السيئات .
- احذر الذنوب فشؤم المعصية يمحق البركة وقد يكون كآبة فيشعر بضيق وعدم توفيق .
- بشرى للمستغفرين المباشرين للذنب لدعاء الملائكة لهم .
- من وفقه الله ووقاه السيئات فوفقه لأمور الخير حصلت له الرحمة وذلك الفوز العظيم .
- أحرصي على هذا الدعاء فهو من دعاء الملائكة (اللهم أدخلنا في رحمتك).
- سر الدعاء الافتقار فإذا شعرتي بذلك فابشري بالخير فالذل والانكسار هو لب الدعاء .ابدئي دعائك بأمور الدنيا فإذا أحسست بالانكسار ادعي عندها بأمور الآخرة وبطلب المغفرة والدرجات العلى من الجنة .
- بمحبة الله للمؤمنين دعت لهم الملائكة وأحبتهم .
- أكثري من هذا الدعاء (اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وحبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربني إلى حبك اللهم أجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهل ومالي ومن الماء البارد على العطش وأن ترحمني وتغفر لي و إذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون) .
- بحسب اجتهادك في فهم وتدبر كتاب الله تأخذين من كنوزه . احذري الذنوب فهي تعيق عن تدبر كتاب الله وفهمه .
- اسأل الله أن يرزقك الفقه في الدين .
- أكثري من صحبة أهل الخير فهم ينفعونك في الدنيا والآخرة فبشفاعتهم تبلغي منزله لم تعملي لها .

المقطع الثاني من الآية (٢٦) إلى الآية (٤٩):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٢٣ – ٢٧) صور من مسيرة الدعاة وموقفهم وموقف أقوامهم منهم. في الآيات السابقة دعاهم لتدبر ما حصل لمن سبقهم من الأمم وفي هذه الآيات أورد نموذجاً من هذه الأمم فقال لقد جاء موسى بالبراهين والأدلة على العقيدة الصحيحة ولا ينكرها إلا متكبر لا يريد أن يسمع الحق، فأعلن المؤمن أن العقل السليم والمنطق المستقيم أن نؤمن بما جاء به موسى والحذر كل الحذر من تكذيبه.

الآيات (٢٨ – ٢٩) حجج من الوقائع والسنن تدعوا إلى الإيمان. في الآيات السابقة يبين قرار فرعون بقتل موسى وهنا يتبين إذا كان فرعون قد أعلن كفره وأمر أتباعه بالاعتقاد بصحة رأيه فما كان من المؤمن إلا أن يذكرهم بما حل بالأمم التي كذبت الرسل. ولقد اقتنع بعض أتباع فرعون وأهله بصدق دعوة موسى عليه السلام، فلما عزم قتل موسى ودرء ما أسماه فتنة بإزالة رأسها، أخذت هذا المؤمن نخوته وغيرته على دينه وعقيدته، ولكنه أراد إبعاد الخطر عن موسى عليه السلام بلطف ومن غير إظهار الانفعال والغضب فيكون هذا الأسلوب أقرب للإقناع.

الآيات (٣٠ – ٣٤) نماذج تطبيقية. في الآيات السابقة ظهر المؤمن وظهرت حجته في نهيه عن قتل موسى وفي هذه الآيات تهديد مؤمن آل فرعون قومه من عاقبة قتل موسى وعدم الإيمان بما جاء به، وضرب لهم المثل بالأقوام السابقة التي كذبت الرسل. وذكرهم المؤمن بدعوة يوسف عليه السلام وكأنهم ندموا على تكذيبه ولكنهم قالوا أن الله لن يبعث بعده رسولا فما هو الدليل على ذلك ..!!؟ فليس للمشركين حجة في التكذيب بالرسول الحالي الذي هو موسى عليه السلام.

الآيات (٣٥ – ٣٧) حجج المشركين الداحضة. بعدما بين مؤمن آل فرعون حجته في الآيات السابقة لم يبق للمشركين إلا المغالطات. فتبين هذه الآيات أن جدل هؤلاء عبارة عن مغالطات لأنهم لا يملكون دليلا على صدق دعواهم في تكذيب الرسل وموسى عليه السلام بصورة خاصة. ولكن طغيان فرعون وتكبره أوحيا له أنه على الصواب وزينا له رأيه وعقيدته الضّالة، فما كان من المؤمن إلا أن يحذرهم سوء العاقبة وأن الحياة الدنيا رحلة قصيرة فلا يبدل العاقل الخلود بالحياة المؤقتة.

الآيات (٣٨ – ٤٥) حجج أخرى للمؤمنين تستوجب التوبة والإيمان. وأمام إصرار الطغاة وأتباعهم ونكوصهم عن الحق ومغالطتهم في الأدلة العقلية والوقائع في الآيات السابقة ما كان من الداعية المؤمن إلا أن يفوض أمره إلى الله ويعتذر أنه قدم ما يستطيع من النصح والتحذير وعلى ذلك وقاه الله شرهم ومكرهم. وفي هذه الآيات أخذت حجج المؤمن منحى جديداً فيها بعض التذكير وبعض التهديد فهو يرد على فرعون .. فليس لفرعون سبيل رشاد حتى يهديكم إليه، وإنما هو سبيل الغي والفساد. إنما سبيل الهدى والاستقامة أن تعلموا أن هذه الدنيا متاع زائل.

الآيات (٤٦ – ٥٠) ندم المشركين على كفرهم حينما رأوا ما حذرهم منه الرسل. في الآيات السابقة بين الله عز وجل كلام المؤمن ونصحه لقومه وحذرهم من العاقبة وأكد لهم أنهم سيعلمون صدق دعواه حينما

يحشرون ثم فوض أمره إلى الله. وفي هذه الآيات بين تعالى استجابة دعوة المؤمن ووقاه شر مكرهم وأن آل فرعون وأتباعه سينالهم العذاب؛ وهذا العذاب في الدنيا وفي القبل وبعد الحساب يوم القيامة.

التمهيد:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ،وزدنا هدى و تقى وعلما ..
اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات..
التفكر في مخلوقات الله عبادة عظيمة تزيد المؤمن إيمانا وخشية لله ،فأكثر الناس خشية لله هم أكثرهم علما بالله تعالى .
ولكي نعلم عظمة الله وقدرته وسعة رحمته علينا أن نتفكر في مخلوقات الله .
ولقد ورد ذكر السماوات والأرض في القرآن ٣١٠مرات ،وهذا العدد الكبير يدل على أن القرآن أعطى أهمية كبيرة للتفكر في خلق السماوات والأرض قال تعالى: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)
وعند النظر إلى عظمة الكون المخلوق فإنه على الإنسان أن يتواضع ويعلم أنه مخلوق صغير جدا يتحرك على ظهر الأرض وهذا يزيده معرفة بنفسه وذاته ويكون على علم ويقين أنه مخلوق ضعيف وأنه عائد إلى الله العلي العظيم.
ويعلم الإنسان علم اليقين أن الله على كل شيء قدير وأنه من عظمته يقول للشيء كن فيكون فتزداد ثقته بالله ،وتمسكه بحبله ويعلم أن العباد ضعفاء محتاجون لله العظيم مهما تكبروا وطغوا في الأرض فإنهم عائدون إلى ربهم العظيم الأعلى .
قال تعالى: (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
إن خلق السماوات والأرض على عظمها وسعتها أعظم وأكبر من خلق الناس فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى ،بمجرد نظر العاقل لها.
ولكن ليس كل أحد يعلم ذلك وليس كل أحد يتفكر في مخلوقات الله ويعتبر فيها.
سنتدارس بإذن الله هذه الآية في تدارسنا اليوم.

فوائد وأسئلة تدبرية:

*ما قضية الرجل المؤمن ومن أين هو ؟
هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون له كلمة مسموعة، وخصوصًا إذا كان يظهر موافقتهم ويكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، كما منع الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب من قريش، حيث كان أبو طالب كبيرًا عندهم، موافقًا لهم على دينهم، ولو كان مسلمًا لم يحصل منه ذلك المنع.

فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات، ولهذا قال: وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي.

*ما مقالته العقلية ؟

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ

أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقًا وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

- على ماذا تدل عليه مقالته؟

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

*ما دلالة اشراكه نفسه معهم في حديثه ؟

ثم حذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال: يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ أي: في الدنيا ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، فهبكم حصل لكم ذلك وتم، ولن يتم، فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ أي: عذابه إِنْ جَاءَنَا ؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركًا بينه وبينهم بقوله: فَمَنْ يَنْصُرُنَا وقوله: إِنْ جَاءَنَا ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه.

ما موقفهم من يوسف عليه السلام حين جاءهم ؟

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ بن يعقوب عليهما السلام مِنْ قَبْلُ إتيان موسى بالبينات الدالة على صدقه، وأمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له، فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ في حياته حَتَّى إِذَا هَلَكَ ازداد شككم وشرككم، و قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا أي: هذا ظنكم الباطل، وحسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى، فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم وينهاهم، ويرسل إليهم رسله، وظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال.

*بماذا وصفهم الله ؟

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ وهذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلمًا وعلوا، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق وعدولهم عنه إلى الضلال، وهم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله، وكذبوا رسوله.

من الذي لا يهديه الله ولماذا ؟
فالذي وصفه السرف والكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى.

*بماذا وصف الله المسرف الكذاب ؟
ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال: الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ التي بينت الحق من الباطل، وصارت ـ من ظهورها- بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها .

*الجدل بغير حجه وبرهان وصف ملازم لمن ؟
وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلا.

*ما الذي يمقته الله ولماذا؟ وما الواجب على عباد الله المؤمنين تجاه مايمقته الله ؟
كَبُرَ ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا فالله أشد بغضًا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه.

*من الذي يُطبع على قلبه ؟
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

*ماذا قال فرعون لوزيره ؟
وَقَالَ فِرْعَوْنُ معارضًا لموسى ومكذبًا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على العرش استوى، وعلى الخلق اعتلى: يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا أي: بناء عظيمًا مرتفعًا، والقصد منه لعلي أطلع إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا في دعواه أن لنا ربًا، وأنه فوق السماوات.

*مالذي حمل فرعون على ذلك القول ؟ وبماذا وصف الله كيد فرعون ؟
ولكنه يريد أن يحتاط فرعون، ويختبر الأمر بنفسه، قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول: وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه، وهو يدعو إليه ويحسنه، حتى رآه حسنًا ودعا إليه وناظر مناظرة المحقين، وهو من أعظم المفسدين، وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ الحق، بسبب الباطل الذي زين له. وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسى مبطل إلا فِي تَبَابٍ أي: خسار وبوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

*بماذا ينصح مؤمن آل فرعون ؟
وَقَالَ الَّذِي آمَنَ معيدًا نصيحته لقومه: يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ لا كما يقول لكم فرعون، فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي والفساد.

*ما حقيقة الدنيا والأخرة ؟
يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ يتمتع بها ويتنعم قليلا ثم تنقطع وتضمحل، فلا تغرنكم وتخدعنكم عما خلقتم له وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ التي هي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها عملا يسعدكم فيها.

*ما جزاء من يعمل الصالحات وما جزاء من يعمل السيئات ؟
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً من شرك أو فسوق أو عصيان فَلا يُجْزَى إلا مِثْلَهَا أي: لا يجازى إلا بما يسوؤه ويحزنه لأن جزاء السيئة السوء.
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى من أعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ أي: يعطون أجرهم بلا حد ولا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم.

*إلى ماذا يدعوا قومه ؟
وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ بما قلت لكم وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام.
ثم فسر ذلك فقال: تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ أنه يستحق أن يعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الذي له القوة كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. الْغَفَّارِ الذي يسرف العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخروية.

*ما حقيقة ما يدعون إليه ؟
لا جَرَمَ أي: حقًا يقينًا أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجوء إليه، في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا.

*ما جزاء المسرفين؟
وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرؤ على ربهم بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم.
فلما نصحهم وحذرهم وأنذرهم ولم يطيعوه ولا وافقوه قال لهم:
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ من هذه النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب.

*بماذا ختم الرجل المؤمن دعوته ؟
وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليَّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

*ما جزاء الرجل المؤمن؟
فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا أي: وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم.

*ما عقاب قوم فرعون في الدنيا والبرزخ ؟
وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.
وفي البرزخ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.

*ما حجة أهل النار ؟ وما نهاية حجتهم ؟
وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) .
يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، وعتاب بعضهم بعضًا واستغاثتهم بخزنة النار، وعدم الفائدة في ذلك فقال: (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ) يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، (فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ) أي: الأتباع للقادة (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) على الحق، ودعوهم إلى ما استكبروا لأجله. (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) أنتم أغويتمونا وأضللتمونا وزينتم لنا الشرك والشر، (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ) أي: ولو قليلا.
(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) مبينين لعجزهم ونفوذ الحكم الإلهي في الجميع: (إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) وجعل لكل قسطه من العذاب، فلا يزاد في ذلك ولا ينقص منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم.

لمسات بيانية:

آية (٢٩):

***ما الفرق بين الرُشد (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٢٥٦) البقرة) والرَشَد (فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) الجن) والرشاد (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) غافر)؟ (د.فاضل السامرائى)**

الرُشد يقال في الأمور الدنيوية والأُخروية أما الرَشَد ففي الأمور الآخروية فقط، هكذا قرر علماء اللغة. (فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا (٦) النساء) في الدنيا، (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٢٥٦) البقرة)، (وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) الكهف) الرُشد في الأمور الدنيوية والأخروية أما الرَشد ففي الأمور الأخروية لا غير فالرُشد أعمّ ويشمل. الرشاد هو سبيل القصد والصلاح (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) غافر) أي سبيل الصلاح عموماً، طريق الصواب. الرشاد مصدر. المادة اللغوية واحدة لهذه الكلمات وهي كلها الرُشد والرَشد والرشاد كلها مصادر. رشِد ورَشَد.

آية (٣٥):

***في سورة غافر (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)) لم يقل على قلب كل متكبر جبار، فهل الطبع على كامل قلب المتكبر الجبار أو على كل القلوب؟ وما الفرق بين الصيغتين؟(د.فاضل السامرائى)**

يذكر فيه المفسرون معنيين: يطبع على كل قلبه بحيث لا يترك من قلبه شيء وعلى قلوب كل المتكبرين ولو قال على قلب كل متكبر لكان المعنى واحد، سيشمل قلوب ولكن ليس كلها ولو قال على قلب كل متكبر يعني على جميع قلوب المتكبرين. الآية (على كل قلب) جمعت معنيين: يعني القلب كله لم يترك منه شيئاً طُبِع عليه كله وليس على بعض القلب وإنما على كل القلب وعلى كل القلوب، دلالتان ذكرها المفسرون: على القلب كله بحيث لم يترك منه شيئاً وعلى قلوب كل المتكبرين. على كل قلب لها معنيين: يطبع على القلب كاملاً وعلى القلوب كلها. أما على قلب كل متكبر جبار لها معنى واحد وهو فقط على قلوب المتكبرين ليس فيه على كل قلب. على قلب ليس فيها شمولية (على قلب كل متكبر جبار) والاختيار القرآني أفاد الشمولية بنوعين: الطبع على القلب كله وعلى قلوب كل المتكبرين أجمعين ولو قال على قلب كل متكبر ستعني شمولية واحدة.

آية (٤٣):

***فى قوله تعالى (وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٢١٠) البقرة) (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) البقرة) (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ (٥٥) آل عمران) (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ (٤٣) غافر) ما الفرق بين ردّ ورجع وكلاهما في نفس السياق؟(د.أحمد الكبيسى)**

(إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) و (مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) كل مؤمن بالله يقول لك أنا سأموت وأبعث مرة ثانية فهذا مرجعه إلى الله وهناك من الناس من لا يعرف قال لك لا خلاص انتهت الدنيا ما في رجعة ما في عود هذا ردّ. فالرد إذاً إجبار الآخر على العودة والعودة أنواع. هناك العودة رجوع هناك العودة رد هناك العودة أوبة (إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) ص) آب إلى آخره. حينئذٍ الفرق بين الرد والرجعة أن الردّ لم يكن محسوباً ولا في الخطة وإنما أكرهت عليه لأمر ما ولم يكن في الحسبان بخلاف الرجوع من ساعة ما انطلقت أنت في خطتك أن تلجأ إلى النقطة التي،

اثنين الرجوع لا يشترط أن يكون بنفس الطريقة الذي ذهبت منه أنت ذهبت بالطائرة من دبي إلى القاهرة لكن رديت بالسيارة عن طريق الأردن وكذا إلى آخره إلى أن وصلت إلى دبي فيقال رجع فالرجوع لا يشترط أن تعود من نفس الطريق، الردّ لا (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) الكهف) (آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) الكهف) قال نحن أضعنا الطريق (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا) على نفس الطريق فالرد على نفس المكان الذي جئت منه.

آية (٤٥):

***ما الفرق بين السوء والسيئات؟(د.فاضل السامرائى)**

السيئة هي فعل القبيح وقد تُطلق على الصغائر كما ذكرنا سابقاً في حلقة ماضية. السوء كلمة عامة سواء في الأعمال أو في غير الأعمال، ما يُغَمّ الإنسان يقول أصابه سوء، الآفة، المرض، لما يقول تعالى لموسى □ (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) طه) أي من غير مرض، من غير عِلّة، من غير آفة. (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ (٥) النمل) كلمة سوء عامة أما السيئة فهي فعل قبيح. المعصية عموماً قد تكون صغيرة أو كبيرة، السوء يكون في المعاصي وغيرها (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ (١٢٣) النساء) صغيرة أو كبيرة. فإذن كلمة سوء عامة في الأفعال وغيرها، أصابه سوء، من غير سوء، ما يغم الإنسان سوء، أولئك لهم سوء العذاب (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) غافر) كلمة سوء عامة وكلمة سيئة خاصة وتُجمع على سيئات أما كلمة سوء فهي إسم المصدر، المصدر لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه، هذا حكم عام. ولكنهم قالوا في غير الثلاثي يمكن أن يُجمع على مؤنث سالم مثل المشي والنوم هذا عام يطلق على القليل والكثير إذا تعددت أنواعه ضرب تصير ضروب محتمل لكن المصدر وحده لا يُجمع هذه قاعدة.

الوصايا العملية:

- من اتصف بالمسرف والكذب على الله لا يوفقه الله ويطبع على قلبه نسأل الله السلامة والعافية .
- كيف نعرف المسرف الكذاب ؟ هو الذي يجادل في آيات الله بالباطل مع أنها واضحة بغير حجة ولا سلطان .
- من يريد الرد على المجادل يجب أن يكون لدية علم شرعي أو دليل شرعي .
- خواص خلق الله وهم المؤمنون يحبون من يحب الله ويبغضون من يبغض الله .
- الذين يردون الحق عن الخلق ويحتقرونهم ويتجبرون عليهم بكثرة الظلم يطبع الله على قلوبهم .
- تفقدي نفسك إذا عملتي طاعة فرأيتي نفسك أنك أحسن ممن حولك هذا هو الكبر الخفي.
- من يتعلم ويأخذ الشهادات لم ينفعه علمه مالم يقربه هذا من الله.
- إذا رزقتي علما ومنصبا فعليك بالتواضع وشكر الله قولا وعملا لأنها من توفيق الله .
- أكبر مصيبة يكون العبد على سيئة ويرى أنه على عمل حسن فالرفقة والشيطان يعينون على الشر والسيئات .

- تذكري أن الحياة الدنيا متاع الغرور والدار الحقيقية هي دار الإقامة .
- من كرم الله على عباده المؤمنين يجازيهم على أعمالهم ويزيدهم في ذلك.
- أكثري من نوايا الخير حتى لو لم تعملي .
- أكبر الذنوب وأقبحها القول على الله بلا علم .
- استمري في الدعوة إلى الله حتى لو لم تجدي أثر لنصيحتك .
- فوضي أمرك إلى الله فالله يختار لك الخير فإن أحد أراد بك شر فاعملي بالأسباب وإن أتاك ما لا تحبين فأعلمي أنه خير لك .
- أصبري على طاعة الله وترك المعاصي .
- استغفري فالذنوب تمنع من الخير والبركة .
- سبحي أول النهار وآخره فهي أوقات فاضلة ويرزق الله من يحافظ عليها رؤية الله مرتين في اليوم في الجنة .
- حصني نفسك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها .
- حافظي على أذكار الصباح والمساء فهي تعينك على طاعة الله وعلى أمورك .
- استعيذي بالله من الكبر الذي يوجب التكبر على الحق ومن شياطين الأنس والجن ومن شر نفسك ومن كل شر .
- تفكري في خلق السماوات والأرض وانظري إلى نفسك تجدي نفسك صغيرة وضعيفة فلا تتكبري على عباده .

المقطع الثالث من الآية (٥٠) إلى الآية (٨٥):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٥١ – ٥٥) عهد من الله على نصر المؤمنين. بعد أن بين الله في الآيات السابقة نقاش المشركين فيما بينهم يطمئن الله أولياءه ورسله ويقرر حقيقة أن الدافع وراء كفر هؤلاء إن هو إلا كبر في صدورهم والحقيقة أنهم ينسون أو يتناسون حقيقتهم وأن هذا التكبر لا يليق بمن هو محاط بعدمين ولا يملك الوجود الأول كما لا يملك الفناء ووقته وسببه فإذن علام التكبر. ولذلك بعد أن وقى الله مؤمن آل فرعون مما دبر له المشركون يقرر حقيقة طالما يؤكدها القرآن الكريم وهي أن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الآيات (٥٦ – ٥٩) أسباب تمسك المشركين بشركهم. في الآيات السابقة بين الله أن النصر حليف المؤمنين فما عليهم إلا الأخذ بالأسباب والصبر في الجهاد والدعوة والاستغفار، وفي هذه الآيات يبين الله عز وجل أن المجادلين من المشركين لا يدفعهم فكر ولا عقيدة سليمة وإنما الدافع الوحيد للجدل بهذه الصورة هو التكبّر. ثم يبين عز وجل سفاهة المتكبرين خفة عقولهم فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الإنسان! فعلام التكبر!!.

الآيات (٦٠ – ٦٦) توجيه للمؤمنين لتوثيق رأيهم بالسنن الكونية. ذكر الله في الآيات السابقة الدافع للجدل عند المشركين وأنه التكبر الذي ليسو أهلاً له، وفي هذه الآيات يوجه الله المؤمنين إلى الدعاء وقرن الدعاء بالعبادة أو سماه العبادة، وهؤلاء المتكبرون سيدخلهم الله في جهنم أذلاء حقراء. ثم بيّن تعالى صفات الله وكيف نظم الكون هذا التنظيم الدقيق؛ وهذه كلها حجج للمؤمنين في دحض حجج المجادلين من الكفار.

الآيات (٦٦ – ٦٨) اعتزاز الرسول صلى الله عليه وسلم بإيمانه وهو قدوة للمؤمنين. في الآيات السابقة بين السنن الكونية التي لا يمكن أن يدعيها أحد من الطغاة أو المعبودين من قبل المشركين وعلى هذا فتكون هذه الآيات تبين إفراد الله عز وجل بالعبادة ونفي الشركاء فهو خالق الكون ومدبره وهو خالق الإنسان من التراب وجعل له سنة للتناسل والتكاثر، فلا يستحق العبادة غيره.

الآيات (٦٩ – ٧٧) وعيد للمشركين بمصيرهم في الآخرة. بعد أن بين الله عز وجل هذه الحقائق وكيف خلق الله الإنسان وتطوره في رحم أمه ولم يؤمن هؤلاء ولم يذعنوا للحق الواضح وبقوا في جدلهم العقيم جاءت هذه الآيات تبين لهم مصيرهم وما أدى إليه نكرانهم للحق "إذ الأغلال في أعناقهم".

الآيات (٧٨ – ٨١) تطمين الرسول صلى الله عليه وسلم ووعده بالانتصار له ولدعوته. بعد أن بين الله مصير المشركين طمأن الله نبيه بأن النصر حليف دعوته وما عليه إلا الصبر. ثم جاءت هذه الآيات تقول إنك لست وحدك وإنما هي كوكبة من رسل الله جاءت بما جئت به وأهلك الله الظلمة الذين لم يؤمنوا بالرسل وانتصر لرسله وللمؤمنين.

الآيات (٨٢ – ٨٥) تأكيد على انتصار الدعوة وضرب الأمثال من الواقع والتاريخ. ففي آخر آيات المقطع السابق قوله "ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون" وفي هذه الآيات يقول عز وجل إن هذه الدلائل وهذه

الحقائق مثبتة في الكون فلو أنكم نظرتم لما حولكم نظرة عاقل لتيقنتم أن الله عز وجل هو المعبود الحق وهو القادر والفاعل الوحيد في الكون.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجارية..
قال أبو هريرة رضي الله عنه (كنت ادعوا أمي إلى الإسلام وهي مشركة ،فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ،فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ،قلت :يا رسول الله ،إني كنت ادعوا أمي إلى الإسلام فتأبى علي ،فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اهد أم أبي هريرة)فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ،فلما جئت وصرت إلى الباب فإذا هو مجافى فسمعت أمي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ: - فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ – قَالَ- فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ - قَالَ - قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِى هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ)
نعم الدنيا، وأنواع الرزق التي يرزقها الله عباده ،ونعم الله على عباده بأنواعها يشرع الفرح بها ،يفرح بما يحمد من الأمور والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.
فالفرح منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم .
فالفرح المحمود يكون مقابل نعمة التوفيق لطاعة من الطاعات أو قربة من القربات أو عند إتمام عبادة من العبادات مثل الصوم والحج ومنه فرح الصائم بفطره كما قال صلى الله عليه وسلم: (للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه)
كما يفرح المؤمنون بإسلام عبد أو بتوبة عاص ،كما فرح الصحابة بإسلام الفاروق عمر رضي الله عنه.
ففي الجملة الأعمال الصالحة يفرح بها بقول الله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)
يدخل في الفرح المباح الفرح بحصول المباحات الدنيوية من مأكل ومشرب...
أما الفرح المذموم كالفرح بزخرف الدنيا ومتاعها الزائل ،أو الفرح بالعلو في الأرض بغير الحق والفرح بالمغصوب والفرح بالمأخوذ بغير الحق ،كما قال تعالى: (وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع)وقوله: (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)وقال تعالى : (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)
يفرحون بالباطل الذي أنتم عليه وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل وتمرحون على عباد الله بغيا وعدوانا وظلما وعصيانا .

هذا من الفرح المذموم الموجب للعقاب.
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

*ماذا طلب أصحاب النار؟ وماذا رد عليهم خزنة جنهم ؟
(وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ) من المستكبرين والضعفاء (لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) لعله تحصل بعض الراحة.
فـ قَالُوا لهم موبخين ومبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، ودعاءهم لا يفيدهم شيئًا: أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ التي تبينتم بها الحق والصراط المستقيم، وما يقرب من الله وما يبعد منه؟
قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ (٥٠) .
(قَالُوا بَلَى) قد جاءونا بالبينات، وقامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا وعاندنا الحق بعد ما تبين. (قَالُوا) أي: الخزنة لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم والشفاعة: (فَادْعُوا) أنتم ولكن هذا الدعاء هل يغني شيئا أم لا؟
قال تعالى: (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ) أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صادّ لإجابة الدعاء.

*كيف ينصر الله رسله ؟
(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي: بالحجة والبرهان والنصر، في الآخرة بالحكم لهم ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب.

*ماذا أعطى الله موسى عليه السلام ؟
ذكر أنه أعطى موسى (الْهُدَى) أي: الآيات، والعلم الذي يهتدي به المهتدون. (وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ) أي: جعلناه متوارثًا بينهم، من قرن إلى آخر، وهو التوراة.

*على ماذا يشتمل كتاب موسى عليه السلام ؟
مشتمل على الهدى الذي هو: العلم بالأحكام الشرعية وغيرها، وعلى التذكر للخير بالترغيب فيه، وعن الشر بالترهيب عنه، وليس ذلك لكل أحد، وإنما هو (لأولِي الألْبَابِ).

*بماذا أمر الله رسوله ؟ ولماذا أمره بالاستغفار خصوصاً ؟
(فَاصْبِرْ) يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين. (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أي: ليس مشكوكًا فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر، وإنما هو الحق المحض، والهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، ويجتهد في التمسك به أهل البصائر.
فقوله: (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله وعن ما يكره الله.

(وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى.
*لماذا خص الله تعالى هذا الوقتين (بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ) ؟
لانهماأفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما، لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور.

*الجدل بالباطل ماذا يدل عليه ؟
أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل، بغير بينة من أمره ولا حجة، إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق وعلى من جاء به، يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم.

*هل يتم للمجادل بالباطل مايريد ؟
لا يتم لهم وليسوا ببالغيه، فهذا نص صريح، وبشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

*من ماذا يستعاذ ؟
(فَاسْتَعِذْ) أي: اعتصم والجأ (بِاللَّهِ) ولم يذكر ما يستعيذ، إرادة للعموم. أي: استعذ بالله من الكبر الذي يوجب التكبر على الحق، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن، واستعذ بالله من جميع الشرور.
*ماذا تدل عليه هذه الآيات (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧؟ ؟

يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض - على عظمهما وسعتهما- أعظم وأكبر، من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى. وهذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث، دلالة قاطعة، بمجرد نظر العاقل إليها، يستدل بها استدلالا لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من البعث.
وليس كل أحد يجعل فكره لذلك، ويقبل بتدبره، ولهذا قال: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) ولذلك لا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال.

*ما الأمور التي توجب التصديق بالساعة ؟
(إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا) قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق ونطقت بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق، وقامت عليها الشواهد المرئية، والآيات الأفقية. (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ) مع هذه الأمور، التي توجب كمال التصديق، والإذعان.

*ما أنواع الدعاء؟
دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

*ما جزاء التكبر عن عبادة الله ؟
(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم.

*مافائدة تدبر آيات الله ؟
فينتج من ذلك، أنه تعالى
المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئًا، كما لم يستحق من الربوبية شيئًا، وينتج من ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه.

*ما الأمران الذي خلق الله الإنسان من أجلهما؟
وهذان الأمران - وهما معرفته وعبادته- هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية، وهما اللذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا، فات كل خير، وحضر كل شر.

*ما فائدة الليل والنهار ؟
فقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ) أي: لأجلكم جعل الله الليل مظلمًا، (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) من حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم، ويلقي الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب والبدن، وهو من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، ويسكن أيضًا، كل حبيب إلى حبيبه، ويجتمع الفكر، وتقل الشواغل.
(و) جعل تعالى (النَّهَارَ مُبْصِرًا) منيرًا بالشمس المستمرة في الفلك، فتقومون من فرشكم إلى أشغالكم الدينية والدنيوية، هذا لذكره وقراءته، وهذا لصلاته، وهذا لطلبه العلم ودراسته، وهذا لبيعه وشرائه، وهذا لبنائه أو حدادته، أو نحوها من الصناعات، وهذا لسفره برًا وبحرًا، وهذا لفلاحته، وهذا لتصليح حيواناته.

*ما دلالة كون فضل نكره في قوله (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ) ؟
أي: عظيم، كما يدل عليه التنكير (عَلَى النَّاسِ) حيث أنعم عليهم بهذه النعم وغيرها، وصرف عنهم النقم، وهذا يوجب عليهم، تمام شكره وذكره.

*ما سبب عدم شكرهم لله ؟
(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ) بسبب جهلهم وظلمهم. وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ .

*كيف يكون شكر الله ؟
بإقرارهم بنعمة ربهم، وخضوعهم لله، وبمحبتهم وصرفهم في طاعة مولاهم ورضاه.

*ما دلالة توحيد الربوبية والألوهيه ؟
(ذَلِكُمُ) الذي فعل ما فعل (اللَّهُ رَبُّكُمْ) أي: المنفرد بالإلهية، والمنفرد بالربوبية، لأن انفراده بهذه النعم، من ربوبيته، وإيجابها للشكر، من ألوهيته، (لا إِلَهَ إِلا هُوَ) تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له، (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) تقرير لربوبيته.
ثم صرح بالأمر بعبادته فقال: (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) أي: كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل، وأنار لكم السبيل.

* (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) ما ذا يحتمل إنكارهم ؟
يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل - وهو الأظهر- أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ ويدل عليه قوله تعالى: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الآيات.

*ما نوع فرح الكفار في قوله(ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) ؟
أي: تفرحون بالباطل الذي أنتم عليه، وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل وتمرحون على عباد الله، بغيًا وعدوانًا، وظلمًا، وعصيانًا، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ
وكما قال قوم قارون له: لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح.

*ما هي منافع الأنعام ؟
يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من الإنعام:
منها: منافع الركوب عليها، والحمل.
ومنها: منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها.
ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع.

(وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) من الوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصول السرور بها، والفرح عند أهلها. (وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) أي: على الرواحل البرية، والفلك البحرية، يحملكم الله الذي سخرها، وهيأ لها ما هيأ، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها.

*ما نوع الإيمان هنا (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) ؟وهل نفعهم ؟

(فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: عذابنا، أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) من الأصنام والأوثان، وتبرأنا من كل ما خالف الرسل، من علم أو عمل.
(فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: في تلك الحال، وهذه (سُنَّتَ اللَّهِ) وعادته (الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجيًا لهم من العذاب، وذلك لأنه إيمان ضرورة، قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيمانًا بالغيب، وذلك قبل وجود قرائن العذاب.

لمسات بيانية:

آية (٥٥):

***ما الفرق بين (بكرة وعشياً) نكرة و(بالعشي والإبكار)معرفة؟(د.فاضل السامرائى)**

في مريم قال (بكرة وعشياً) وفي آل عمران قال (وسبح بالعشي والإبكار) معرفة، والمعرفة غالباً تفيد الدوام وليس فقط في تلك الأيام أما بكرة وعشياً فهي في تلك الأيام يعني لما تقول خرجت صباحاً يعني صباح يومٍ بعينه، لما تقول سأخرج صباحاً لا بد أن تأتي صباح يومٍ بعينه أما لما تقول سأخرج في الصباح يعني أيّ صباح ولذلك لما قال تعالى للرسول (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) غافر) ليس هناك أيام محددة جاء بها بالمعرفة (بالعشي والإبكار). مع سيدنا داوود قال (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) ص) ليس هناك يوم محدد، (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) فصلت) ليس هناك وقت محدد بينما بكرة وعشية تأتي في وقت محدد.

آية (٥٦):

*** ما الفرق بين (السميع البصير)فى سورة غافر(٥٦) و(السميع العليم)الأعراف(٢٠٠)؟ (د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) غافر) لماذا؟ لما قال (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) فى سورة الأعراف لما ذكر الشيطان الذي لا يُرى ولا تُرى وساوسه وإنما تُعلم قال (السميع العليم) لكن لما

قال (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) غافر) هؤلاء يُبصر بعضهم بعضاً.

آية (٦٦):

***ما الفرق من الناحية البيانية بين (جاءهم البيّنات) و(جاءتهم البيّنات) في القرآن الكريم؟**

*د.فاضل السامرائى :

هناك حكم نحوي مفاده أنه يجوز أن يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً. وكلمة البيّنات ليست مؤنث حقيقي لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها. والسؤال ليس عن جواز تذكير وتأنيث البيّنات لأن هذا جائز كما قلنا لكن السؤال لماذا؟ لماذا جاء بالاستعمال فعل المذكر (جاءهم البيّنات) مع العلم أنه استعملت في غير مكان بالمؤنث (جاءتهم البيّنات)؟

جاءتهم البيّنات بالتأنيث: يؤنّث الفعل مع البيّنات إذا كانت الآيات تدلّ على النبوءات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثاً كما في قوله تعالى في سورة البقرة (فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٢٠٩}) ، وقوله في سورة النساء (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً {١٥٣}).

أما جاءهم البيّنات بالتذكير: فالبيّنات هنا تأتي بمعنى الأمر والنهي وحيثما وردت كلمة البيّنات بهذا المعنى من الأمر والنهي يُذكّر الفعل كما في قوله تعالى في سورة غافر (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٦٦}).

آية (٦٨):

***(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون (٨٢) يس) (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٦٨) غافر) ما اللمسة البيانية في الاختلاف بين الآيتين؟(د.فاضل السامرائى)**

قراءة الآية توضح المسألة، الآية في يس (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون (٨٢)) في غافر (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٦٨)). (إنما أمره) أمره مبتدأ خبره المصدر (أَنْ يَقُولَ لَهُ) (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) هذه جملة اعتراضية شرطية حذف جواب الشرط لاكتناف ما يدل عليه، (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) هذه جملة اعتراضية ذكر فيها فعل الشرط وحذف الجواب وجوباً لأنه اكتنفه ما يدل عليه (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون (٨٢) يس) إذن لا يمكن أن يقال غير ذلك، الجملة مبتدأ وخبر كيف يقولها؟!. (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) هذه شرطية عادية (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ) هذا جواب الشرط مقترنة بالفاء وجوباً. إذن لا سبيل إلى غير ذلك من حيث اللغة لا بد أن يقول ذلك مبتدأ وخبر، أدلة شرط وفعلها وجواب شرط، هذا التعبير الطبيعي ولا يصح أن نضع إحداهما مكان الأخرى.

آية (٧٨):

***ما الفرق بين أتى وجاء فى القرآن الكريم؟ (د.فاضل السامرائى)**

القرآن الكريم يستعمل أتى لما هو أيسر من جاء، يعني المجيء فيه صعوبة بالنسبة لأتى ولذلك يكاد يكون هذا طابع عام في القرآن الكريم ولذلك لم يأت فعل جاء بالمضارع ولا فعل الأمر ولا إسم الفاعل. (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) مريم) الحمل سهل لكن ما جاءت به أمر عظيم . قال (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) عبس) شديدة، (فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) النازعات) شديدة، (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) الغاشية) لم يقل أتتك الغاشية وإنما حديث الغاشية لكن هناك الصاخة جاءت والطامة جاءت. (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) النصر) هذا أمر عظيم هذا نصر لا يأتي بسهولة وإنما حروب ومعارك،

***ما دلالة اختلاف الفاصلة القرآنية بين قوله تعالى (فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) غافر) (فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) غافر)؟ (د.فاضل السامرائى)**

قال المبطلون في غافر وفي غافر نفسها قال الكافرون في آية أخرى إذن الفرق بين المبطلون والكافرون مع أن الآيات نفسها. الآية الأولى وردت في سياق الحق (فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ) ونقيض الحق الباطل فقال المبطلون. أما الثانية ففي سياق الإيمان (فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)) هذا منطق، مع الحق ذكر المبطلون ومع الإيمان قال الكافرون. لا يجوز في البلاغة أن نضع واحدة مكان الأخرى.

الوصايا العملية:

- سخر الله لك المخلوقات فاشكريه على هذه النعم .
- اسألي الله أن يملأ قلبك بمعرفته ومحبته وأن يجعل حركاتك الظاهرة والباطنة خالصة لوجهه .
- من فوائد تدبر آيات الله الكونية معرفة الله ومحبته ثم إخلاص العبادة له التي من أجلها خلق الإنسان وهي الموصلة لكل خير ومصلحة ويترتب عليها السعادة الدنيوية والأخروية وهي من أشرف النعم .
- نامي بعد العشاء مباشرة تأخذي كفايتك من النوم .
- طبقي سنن النوم تعينك على قيام الليل وصلاة الفجر وأعمال النهار .
- النوم نعمة لا يعرفها إلى من فقدها فاشكريه عليها .
- إذا تدبرت نعم الله فحقا ستشكرينه باللسان وتستخدميه في طاعته .
- عدم الشكر بسبب الجهل.
- الشعور والإحساس بالألم نعمه من الله مثل التحكم في البول والحاجة له .
- حاسة الشم وغيرها نعم منسيه .

- تأليف القلوب والربط عليها نعم من الله .
- شكر الله على الأولاد لا تقل ولد أو بنت قل الحمد لله أنه أحسن خلقه ولم يكن معاق .
- من رحمة الله أن حرم علينا ما فيه ضرر في البدن والدين ويسر لنا الطيبات وأسبابها .
- تبارك لا تقال إلا لله وحدة تبارك الله رب العالمين ، وأما المخلوقين نقول بارك الله لكم .
- احذري الشرك الأصغر يدخل في أعمالك فتحبط .
- استسلمي لله رب العالمين فهو دليل على إخلاصك .
- لا تخرج العبادات القلبية إلى من العبد الصادق المحب لله وهو أعظم مأمور .
- قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين .
- أدعي الله أن يمتعك بسمعك وبصرك وقوتك ما أبقاك .اسألي الله طول العمر في الطاعة .
- المجادل في آيات الله وفي الحق وفي الباطل صرف عقله عن الهدى وضل .
- كلما زاد يقينك وثقتك بالله زاد صبرك .
- سيري في الأرض بقلبك وبدنك وتفكري في كل شيء حولك ففرحهم بما عندهم من العلم دليل على تمسكهم وشدة رضاهم ومعاداتهم للحق الذي جاءت به الرسل وجعل باطلهم حق ومن أحقها الدخول في هذا علوم الفلسفة والمنطق اليوناني ونقصت من قدر القرآن في القلوب وهذا من أعظم الإلحاد في آية الله المعارضة لها والمناقضة لها .
- الإيمان الاضطراري لا ينفع صاحبه إذا جاء العذاب .
- الإيمان الاختياري هو الذي ينفع صاحبة .

تناسب فواتح سورة غافر مع خواتيمها:

قال في أولها (مَا يُجَادِلُ فِي آَيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)) وفي آخرها (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)). نلاحظ (مَا يُجَادِلُ فِي آَيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)) (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)) كأنما لو وضعتها بعدها تكون متناسبة. قال في الأول (فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)) وفي الآخر قال (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)) البأس بمعنى شدة الذين أنزلنا عليهم العذاب، تفصيل صورة العقاب وكيف موقفهم منه (فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا)، هذه مترابطة كل الترابط.

| • | نهاية سورة غافر | • |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة فصلت ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـورة فصلت

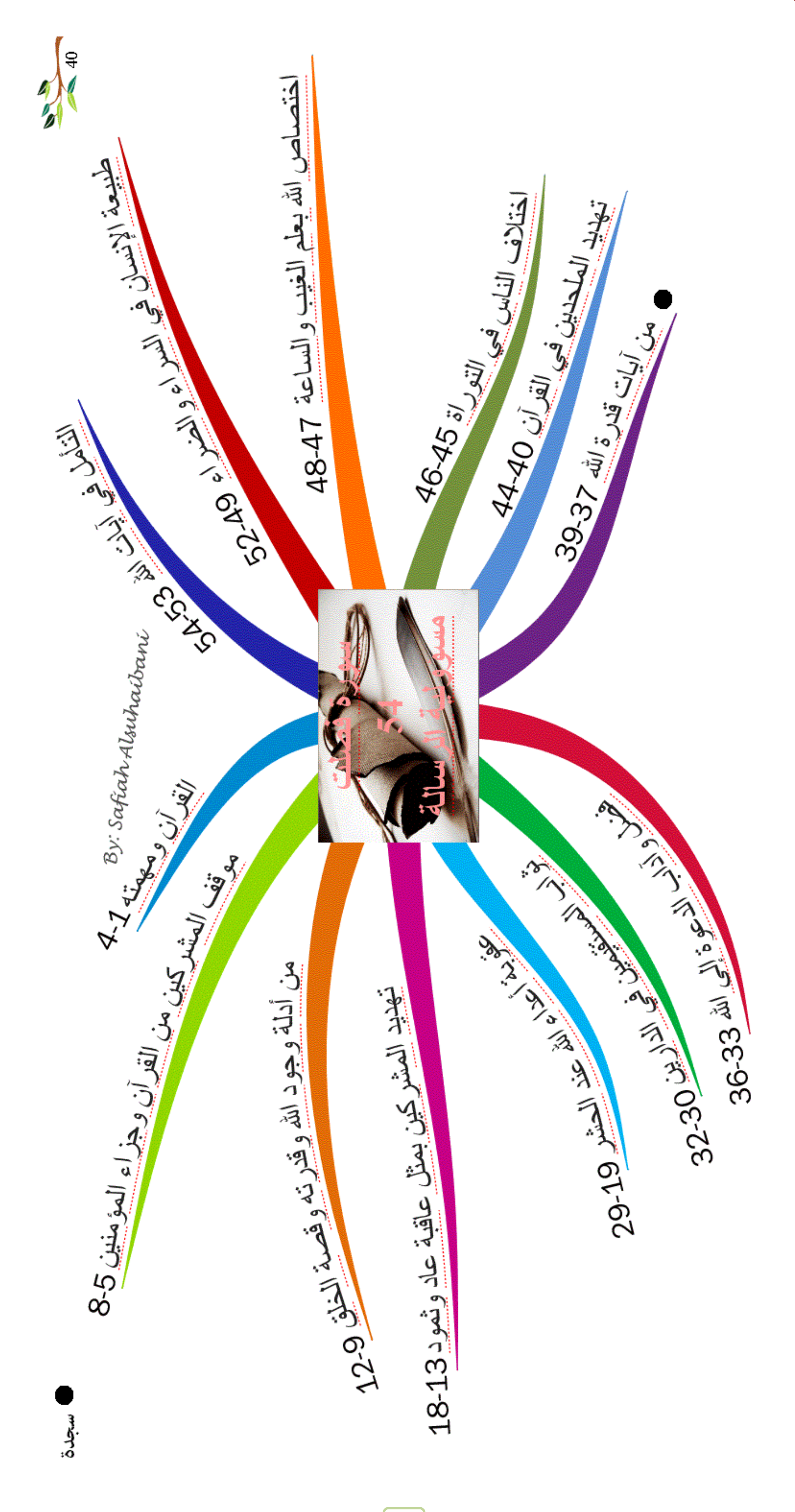
بين يدي السورة:

- سورة مكية.
- تسمى سجدة المؤمن، أو حم السجدة لأنه ليس في الحواميم سجدة سواها، وتسمى سجدة المؤمن لأنها السورة التي فيها السجدة بعد سورة المؤمن، وكذلك تسمى سورة المصابيح لقوله تعالى "وزينا السماء الدنيا بمصابيح.."، وتسمى كذلك سورة الأقوات لقوله تعالى "وقدّر فيها أقواتها.."، والاسم الذي اشتهرت به هو سورة فصلت.
- فضلها: اختارها الرسول صلى الله عليه وسلم للمحاجة مع عتبة الذي هو أبلغ قريش وأفصحها؛ وذلك عندما رأوا كفار قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم شتت أمرهم وعاب دينهم؛ واختاروا عتبة بن ربيعة ليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه. فذهب وكلم النبي فلما فرغ رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ببعض آيات من هذه السورة، فاختياره صلى الله عليه وسلم هذه السورة لمكانتها وقوة حجتها.
- محور السورة: جاءت هذه السورة بعد سورة المؤمن التي تدور حول الحجج التي أوردها القرآن الكريم على أحقية الرسالة وجدوى إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب تطبيق الإسلام وفي هذه السورة وصف للمنهج الذي يريده الله للإنسانية بعدما أفحمهم في وجوب إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

علاقة السورة بما قبلها:

في سورة غافر أو (المؤمن) بين الله عز وجل الصراع العقلي والعلمي بين المؤمنين والمشركين وانتهى الجدل كما مرينا إلى بيان موقع المشركين في النار وكيف يؤمنون حيث لا ينفع الإيمان جاءت سورة فصلت تبين طبيعة المنهج الذي يسير عليه فريق المؤمنين وكيف أن الله أنزل لهم قرآناً يهديهم إلى الطريق الموصل إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٢٩):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (١ – ٨) مقدمة في القرآن الكريم وموقف المشركين الإنهزامي وصفة الرسول صلى الله عليه وسلم وواجبه.

الآيات (٩ – ١٢) الاحتجاج بالسنن الكونية على صدق الدعوة وانسجامها مع حركة الكون. في الآيات السابقة ذكر صفات القرآن الكريم وبين أنه يتكلم بلغتهم وأنهم يفهمونه حق الفهم ولكنهم أعرضوا عنه، وفي هذه الآيات يبين الله عز وجل أن فيما جاء في القرآن الكريم كيف بدأ الله خلق الكون وكيف عين وظيفة كل جزء من أجزائه، وأن جميع ما في الكون يخضع للسنن التي وضعها الله له.

الآيات (١٣ – ١٨) إعراض المشركين عن سماع الدعوة في القرآن الكريم ومسيرة الدعوة متمثلة بالأمم السابقة. ذكر في الآيات السابقة كيف خلق الله الكون وعين وظائفه وهذا يوجب الإيمان المطلق بوحدانية الله وقدرته وتفرده بالكون فهو الفاعل الحقيقي فيه، بعدها ذكر الأمم السابقة وما حل بها في الحياة الدنيا يبين عز وجل ، هذا العذاب والمصير في الدنيا لم يكن نهاية ما يستحقون على كفرهم وإنما ينتظرهم الحشر في النار لأنهم أعداء الله عاندوا رسله وآذوا دعاته.

الآيات (١٩ – ٢٤) مصير المشركين وأن الله أحصى أعمالهم التي أوصلتهم لهذا المصير. في الآيات السابقة ذكر الله عز وجل كيف عاقب الأمم السابقة التي كذبت الرسل وبين سبحانه أن أولائك كانوا أشد قوة من قريش فأهلكهم بذنوبهم ونجى المؤمنين من العذاب في الدنيا وفي الآخرة. وفي هذه الآيات بين عز وجل أن مصير أعداء الله هو النار التي سيصلون إليها بعد حسابهم في يوم يحشر الناس جميعاً للحساب وأن سلوكهم المخالف لما أمر الله مسجل عند الله تعالى وأن الشاهد عليه هو أعضاؤهم التي كانوا يستخدمونها في المعصية.

الآيات (٢٥ – ٢٩) إصرار المشركين على عدم سماع الدعوة. في الآيات السابقة ذكر الله صورة من صور يوم القيامة وفي هذه الآيات بين الله جلت قدرته أن فعلهم القبيح له أنصار وهؤلاء الأنصار يشجعونهم على ارتكاب المعاصي لأنهم يفعلونها أصلاً فهؤلاء قرن الله بعضهم ببعض حتى يزين كل فريق لقرنائه الفعل القبيح.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم أرزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات.
إن خصيصة التدرج وثيقة الصلة بالربوبية ،فهي سنة الله تعالى في الخلق والتكوين مع قدرته المطلقة أن يفعل ما يشاء ويخلق ما أراد بكلمة واحدة قال تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)
ولكن الحكمة من ذلك أن الله تعالى يعلمنا التدرج في كل شيء ليكون العمل قائما على أسس راسخة ويكون البناء متينا ومحكما فالإحكام من ثمرات التدرج.
يتدرج الخالق القدير على الإنشاء والتكوين دونما حاجة إلى تخطيط أو تفكير ولا إلى وقت أو زمن وفي كل ذلك تنبيه للدعاة والمصلحين أنه ما من بناء إلا ويراعى التدرج حتى يكون محكما.
والآيات تبين أن الله تعالى لم يخلق السماوات والأرض في لحظة واحدة ولكن على مراحل:
والآيات تبين أن خلق السماوات والأرض على مراحل:
١/خلق الأرض في يومين.
٢/إعداد الأرض للحياة الإنسانية (خلق الجبال والأنهار وتقدير الأقوات)
٣/خلق السماوات .
وذكر ابن كثير رحمه الله أن الله تعالى بدأ بخلق الأرض أولا لأنها الأساس ،والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده الأعمدة والسقف.
أن الأرض هي مركز الكون ومن هنا تأتي أهمية الأرض فهي الأهم فكان البدء بالأرض .
أن عملية الخلق والإعداد كانت بتروية وتمهل وإعداد والبدء بالأهم ثم المهم وبناء القاعدة ثم الأعمدة ثم السقف ،وهذه سمة كل بنيان ليعلمنا الله تعالى الإعداد لكل شيء والتمهل وكيف يكون البدء والخطوة الأولى ثم التي تليها وتلك من معاني التدرج.
إذا الحكمة من التدرج أمرين:
١/الإعداد والإحكام والتمهل .
٢/البدء بالأهم ثم المهم.
فكان خلق الأرض أولا ثم إعدادها للحياة ثم كان خلق السماوات التي تعد سقفا للأرض ولا يمكن بناء السقف قبل بناء الأساس والأعمدة ،ثم كان خلق الإنسان لأنه لا إنسان بغير أرض ولأن كل ذلك مخلوق من أجله وهذا ترتيب من العزيز العليم لنعلم أن التدرج قاعدة ربانية وطريقة إلهية وسنة كونية.
قال تعالى : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين......)
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ما هي أجل نعمة وأعظم رحمة من الله للعبد ؟

يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل (تَنزِيلٌ) صادر (مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها، إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به، من العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير، ما هو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين.

- بماذا أثنى الله على القرآن ؟

أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال: (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق. (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أي: باللغة الفصحى أكمل اللغات، فصلت آياته وجعل عربيًا.

- من الذي ينتفع بالقرآن ؟

(لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والْغَيِّ من الرشاد ، وأما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا ولا البيان إلا عَمًى فهؤلاء لم يُسَقِ الكلام لأجلهم، سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ .

- بماذا يبشر القرآن وبماذا ينذر ؟

(بَشِيرًا وَنَذِيرًا) أي: بشيرًا بالثواب العاجل والآجل، ونذيرًا بالعقاب العاجل والآجل، وذكر تفصيلهما، وذكر الأسباب والأوصاف التي تحصل بها البشارة والنذارة، وهذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يُتَلقَّى بالقبول، والإذعان، والإيمان، والعمل به، ولكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين.

- كيف يكون سماع المعرضين للقرآن ؟

(فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ) له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعًا، تقوم عليهم به الحجة الشرعية.

- ما موقف المعرضين من القرآن ؟ وكيف يكون إعراضهم ؟

(وَقَالُوا) أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به، بسد الأبواب الموصلة إليه: (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أي: أغطية مغشاة (مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) أي: صمم فلا نسمع لك (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) فلا نراك.

القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، وأظهروا بغضه، والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: (فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا.

□ ما وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم ؟
(قُلْ) لهم يا أيها النبي: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) أي: هذه صفتي ووظيفتي، أني بشر مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، ولا عندي ما تستعجلون به، وإنما فضلني الله عليكم، وميَّزني، وخصَّني، بالوحي الذي أوحاه إليَّ وأمرني باتباعه، ودعوتكم إليه.

□ بماذا يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ؟
(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) أي. اسلكوا الصراط الموصل إلى الله تعالى، بتصديق الخبر الذي أخبر به، واتباع الأمر، واجتناب النهي، هذه حقيقة الاستقامة، ثم الدوام على ذلك.

□ ما دلالة قوله (إليه)؟
وفي قوله: (إِلَيْهِ) تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته، التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته، فبذلك يكون عمله خالصًا صالحًا نافعًا، وبفواته، يكون عمله باطلا.

□ ما دلالة ذكر الاستغفار بعد الدعوات إلى الاستقامة ؟
ولما كان العبد، - ولو حرص على الاستقامة- لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور، أو ارتكاب منهي، أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال: (وَاسْتَغْفِرُوهُ).

□ بماذا توعد من ترك الاستقامة ؟
توَّعد من ترك الاستقامة فقال: (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الذين لا يؤتون الزكاة) أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها. (وَهُمْ بِالآخِرَةِ هم كَافِرُونَ) أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار، فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه، مما يضرهم في الآخرة.

□ ماذا يدل عليه ذكر حال المؤمن بعد ذكر حال الكافر ؟
يدل على أنه مثاني فلما ذكر الكافرين، ذكر المؤمنين، ووصفهم وجزاءهم، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بهذا الكتاب، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة. (لَهُمْ أَجْرٌ) أي: عظيم (غَيْرُ مَمْنُونٍ) أي: غير مقطوع ولا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات.

□ ماذا ينكر الله على الكافرين ومن ماذا يتعجب ؟
ينكر تعالى ويعجِّب، من كفر الكافرين به، الذين جعلوا معه أندادا يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين، ثم دحاها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار.

□ ماهي مراحل خلق السموات والأرض ؟
خلق الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين، ثم دحاها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار.
فكمل خلقها، ودحاها، وأخرج أقواتها، وتوابع ذلك (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير، فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه ولا نقص.
(ثُمَّ) بعد أن خلق الأرض (اسْتَوَى) أي: قصد (إِلَى) خلق (السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) قد ثار على وجه الماء، (فَقَالَ لَهَا) ولما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه بقوله: (وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) أي: انقادا لأمري، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه. (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.
(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) فَتَمَّ خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة.

□ ما الحكمة من التدرج في خلق السموات والأرض ؟
أن قدرة الله ومشيئته صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة، ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رفيق، فمن حكمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة.

□ كيف أجمع بين هذه الآيات و آيات سورة النازعات ؟
واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يظهر منهما التعارض، مع أن كتاب الله، لا تعارض فيه ولا اختلاف.
والجواب عن ذلك، ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها: وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا إلى آخره ولم يقل: « والأرض بعد ذلك خلقها » .

□ بماذا زين الله السماء الدنيا ؟
وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) هي: النجوم، يستنار، بها، ويهتدى، وتكون زينة وجمالا للسماء ظاهرًا، وجمالا لها، باطنًا، بجعلها رجومًا للشياطين، لئلا يسترق السمع فيها. (ذَلِكَ) المذكور.

□ مادلالة العزيز العليم ؟
(تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الذي عزته، قهر بها الأشياء ودبرها، وخلق بها المخلوقات. (الْعَلِيمِ) الذي أحاط علمه بالمخلوقات، الغائب والشاهد.

□ ما عاقبة الإعراض عن دين الله ؟
فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم (فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً) أي: عذابًا يستأصلكم ويجتاحكم، (مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) القبيلتين المعروفتين، حيث اجتاحهم العذاب، وحل عليهم، وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم.

حيث (جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أي: يتبع بعضهم بعضا متوالين، ودعوتهم جميعا واحدة. (أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ) أي: يأمرونهم بالإخلاص لله، وينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم وكذبوهم.

□ ماهي الشبهة المتوارثه بين المكذبين بالرسل ؟

(قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأنزلَ مَلائِكَةً) أي: وأما أنتم فبشر مثلنا (فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين، [من الأمم] وهي من أوهى الشُّبَهِ، فإنه ليس من شرط الإرسال، أن يكون المرسل مَلَكًا، وإنما شرط الرسالة، أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فَلْيَقْدَحُوا، إن استطاعوا بصدقهم، بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

□ بماذا اغتر قوم عاد ؟ وبماذا عاقبهم الله ؟

(فَأَمَّا عَادٌ) فكانوا - مع كفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله- مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم. (وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) قال تعالى ردًا عليهم، بما يعرفه كل أحد: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظرًا صحيحًا، لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم الله عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها.

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) أي: ريحًا عظيمة، من قوتها وشدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف. فسخرها الله عليهم سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (نحسات) فدمرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. وقال هنا: (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الذي اختزوا به وافتضحوا بين الخليقة. (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ) أي: لا يمنعون من عذاب الله، ولا ينفعون أنفسهم.

□ ما نوع الهداية في قوله (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ)؟

أي: هداية بيان.

□ لماذا خص الله قوم ثمود بزيادة بيان ؟

وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى.

□ ما سنة الله في حلول العذاب على من كذب الرسل ؟

(وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) أي نجى الله صالحًا عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك، والمعاصي.

□ لماذا خصت هذه الأعضاء في قوله ((شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ)؟

شهد عليهم كل عضو من أعضائهم، فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا وكذا، يوم كذا وكذا. وخص هذه الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب، إنما تقع بها، أو بسببها.

□ ما موقف الكافرين من أعضائهم عندما تشهد عليهم ؟

فإذا شهدت عليهم عاتبوها، (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ) هذا دليل عل أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا: (لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) ونحن ندافع عنكن؟ (قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) فليس في إمكاننا، الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصي عن مشيئته أحد.

□ (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)لها معنيين ماهما ؟

فكما خلقكم بذواتكم، وأجسامكم، خلق أيضا صفاتكم، ومن ذلك، الإنطاق. (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) في الآخرة، فيجزيكم بما عملتم.

ويحتمل أن المراد بذلك، الاستدلال على البعث بالخلق الأول، كما هو طريقة القرآن.

□ ما نوع ظنهم وما عاقبته ؟

وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ) بإقدامكم على المعاصي (أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم ولهذا قال: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ) الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. (أَرْدَاكُمْ) أي: أهلككم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة.

□ هل ينفعهم صبرهم ؟

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) فلا جَلَدَ عليها، ولا صبر، وكل حالة قُدِّر إمكان الصبر عليها، فالنار لا يمكن الصبر عليها، وكيف الصبر على نار، قد اشتد حرها، وزادت على نار الدنيا، بسبعين ضعفًا، وعظم غليان حميمها، وزاد نتن صديدها، وتضاعف برد زمهريرها وعظمت سلاسلها وأغلالها، وكبرت مقامعها، وغلظ خُزَّانها، وزال ما في قلوبهم من رحمتهم.

□ هل يفيدهم العتب ؟

(وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا) أي: يطلبوا أن يزال عنهم العتب، ويرجعوا إلى الدنيا، ليستأنفوا العمل. (فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) لأنه ذهب وقته، وعمروا، ما يعمر فيه من تذكر وجاءهم النذير وانقطعت حجتهم، مع أن استعتابهم، كذب منهم وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

□ ماسبب تقيض القرناء المظليين للظالمين في قوله (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)؟

وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق.

□ ما موقف الكافرين من القرآن ؟

يخبر تعالى عن إعراض الكفار عن القرآن، وتواصيهم بذلك، فقال: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ) أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى من جاء به، فإن اتفق أنكم

سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه، فـ (الْغَوْا فِيهِ) أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا ـ مع قدرتكم- أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، (لَعَلَّكُمْ) إن فعلتم ذلك (تَغْلِبُونَ) [وهذه] شهادة من الأعداء، وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه.

□ ما جزاء أعداء الله ؟

النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينصرون، وذلك (جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) فإنها آيات واضحة، وأدلة قاطعة مفيدة لليقين، فأعظم الظلم وأكبر العناد، جحدها، والكفر بها.

لمسات بيانية:

<u>آية (١):</u>

***من سورة فصلت إلى سورة الأحقاف تبدأ بـ (حم) ثم تنزيل الكتاب من الله واختلفت الصفات (صفات الله سبحانه وتعالى) المرتبطة بتنزيل الكتاب فمرة تأتي الرحمن الرحيم ومرة العزيز الحكيم، فما دلالة هذا؟(د.فاضل السامرائى)**

هي ليست مختصة بـ (حم) فقط وإنما تبدأ من سورة البقرة (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) آل عمران (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزّل عليك الكتاب) الأعراف (ألمص كتاب أنزل إليك)، (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)، (يس والقرآن الحكيم) (ق والقرآن المجيد) (ص والقرآن ذي الذكر) فهي ليست مختصة بـ (حم) فقط وإنما في غالب الأحرف المقطعة. وأشهر ما قيل في ذلك أن هذا الكتاب الذي تحداكم به وأنزله رب العالمين هو من مفردات كلامكم فافعلوا مثله. يأتي من هذه المفردات بكلام معجز، هذا أشهر ما قيل في هذا. وقسم قال أنه يجمع بين الأحرف لكن أشهر ما قيل أنه من مفرداتكم لذلك عقّب في أغلبها بالكلام عن القرآن والذكر.

<u>آية (٦):</u>

***ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) فصلت) وبين قوله (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) التوبة) ؟(د.حسام النعيمى)**

هذا إستقام إلى الأمر كأنه كان بعيداً عنه، إستقام للأمر معناه قريب منه ولو نظرنا إلى الآيتين (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦)) إذن هم بعيدون

والمطلوب أن يستقيموا إلى الله، وقوله تعالى (وويل للمشركين) هم مشركون هم بعيدون. أما الآية الأخرى (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أنت تعاهد إنساناً أمامك، (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فيها قرب بينما الأولى فيها بُعد. فالنظام عام (إلى) غاية بعيدة واللام غاية قريبة.

<u>آية (٧):</u>

***ما دلالة تكرار (هم) في الآية (وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) فى بعض السور بينما في سورة الأعراف لم يكرر (هم) (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥))؟(د.فاضل السامرائى)**

نعرف الحكم النحوي لماذا التكرار؟ التكرار يفيد التوكيد. (هم كافرون) آكد من عدم ذِكر (هم). من أهم أغراض التكرار في اللغة التوكيد. إحدى الآيتين مؤكدة والأخرى ليست مؤكدة. نوضح المسألة أولاً في الأعراف (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)) من دون تكرار. لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله. نأخذ آية شبيهة بها في سورة هود (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩)) كرّر (هم). لو لاحظنا الآيتين: زاد على الأولى الإفتراء على الله الكذب (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا) أما في الأولى فما قال وإنما قال (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا). في سورة هود قال (الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) زاد على الأولى الإفتراء على الله الكذب وكذبوا على ربهم.

<u>آية (١١):</u>

***ما الفرق بين هذه الكلمات؟(د.فاضل السامرائى)**

<u>كُرهاً وكَرهاً:</u> كُرهاً بضم الكاف هو العمل مع المشقة أما كَرهاً بفتح الكاف فتفيد العمل بالإجبار من آخر. (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فصلت).

<u>طوعاً وطائعاً:</u> طوعاً تعني تلقائياً من النفس وطائعاً تعني طائعاً لإرادة الله سبحانه وتعالى.

<u>آية (١٤):</u>

***ما دلالة استخدام كلمة ربنا في السؤال والله في الجواب وكلمة أنزل في السؤال في الآية (إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فصلت)؟(د.فاضل السامرائى)**

الفرق بين الله والرب معروف: الله لفظ الجلالة إسم العلم مشتق من الإله كما يقال والرب هو المربي والموجه والمرشد لكن سبب الإختيار في الآية (لَوْ شَاء <u>رَبُّنَا</u> لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً) لو شاء ربنا دعوة الخلق وهدايتهم لأنزل

ملائكة لأن الرسل دعوهم إلى عبادة الله (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) قالوا (لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً) لو شاء هداية الخلق ودعوتهم كان أنزل ملائكة والرب هو الهادي والموجه والمرشد لذلك أنسب أن يقول ربنا ولذلك كثيراً ما يقترن الرب بالهداية (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦١) الأنعام) (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) الشعراء) كثيراً ما يقترن بالهداية، الله سبحانه وتعالى كل شيء بيده (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء (٥٦) القصص) لو شاء ربنا دعوة الخلق وهدايتهم فالمناسب مع الهداية الرب لأنه الهادي والمرشد والمربي، العبادة أقرب شيء لله (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) والرب تستعمل لغير الله وهي غير خاصة بالله فنقول مثلاً رب البيت، حتى في سورة يوسف (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ (٢٣) يوسف) (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ (٤٢) يوسف) لأن الرب هو القيم والمرشد والموجه فأنسب مع إنزال الملائكة وجعونة الخلق وهدايتهم كلمة الرب.

آية (١٦):

***ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟(د.فاضل السامرائى)**

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر كما في قوله تعالى في سورة فصّلت (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ {١٦}).
أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى في سورة الجاثية (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {٥}).
وفي سورة سبأ (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {١٢}) استعملت كلمة ريح مع سليمان لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر لأن الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

آية (٢٠):

***ما دلالة استخدام (ما) او حذفها في قوله تعالى (حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم) وقوله (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها)؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة فصلت (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٠}) وهذا من غرائب الأمور أن يشهد السمع والبصر والجلود على الناس ولذا اقتضى استخدام (ما) للتوكيد)، أما في سورة الزمر فقد جاءت الآية (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٧١}) وهنا الأمر عادي إذا جاءوا فُتحت الأبواب.

آية (٢١):

***ما دلالة سؤال الجلود فقط دون غيرها من الأعضاء التي شهدت عليهم في الآية (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا (٢١) فصلت)؟**

الجلود تحس العذاب وينالها العذاب وتدركه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ (٥٦) النساء)

***(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) يس) (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) فصلت) ما اللمسة البيانية في اختلاف ختام الآيتين؟ ولماذا قالوا لجلودهم وليس للسانهم مثلاً؟ ولماذا تشهد الجلود دون باقي الأعضاء؟(د.فاضل السامرائى)**

نقرأ الآيات (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) يس) وفي فصلت (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) فصلت)، ذكر في آي يس (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) لأنه ذكر الأيدي والأرجل وهما آيتي الكسب ربنا يقول (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ (٣٠) الشورى) (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا (٣٨) المائدة) (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) المسد) اليد والأرجل آية الكسب فناسب هنا الكسب بينما في سورة فصلت لم يذكر آية الكسب وإنما قال (سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) في يس ذكر آية الكسب الأيدي والأرجل (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (٤١) الروم) بينما في آية فصلت لم يذكر آلة الكسب. إذن (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ملائمة للأيدي والأرجل وهي أدوات الكسب ولما قال (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ذكر قبلها أدوات العلم (سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ).

(وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) لأن الجلود هي التي تُعذّب (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا (٥٦) النساء) كأنما يقولون فهمنا السمع والبصر لكن أنت يا جلود لِمَ شهدت علينا؟! هي التي ستُعذّب (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ (٥٦) النساء) المفروض في نظرهم ألا تشهد أنت حق عليك العذاب فلم شهدت علينا؟ وهي ليست كالسمع والبصر، يا جلود لم شهدت علينا؟ العذاب سينالك ألم تفكري في نفسك؟ الجلود هي فعلاً الأولى بالسؤال لأن العذاب سينال الجلود وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها فهي مدركة للعذاب وهي تحس بالألم فيتوجه السؤال لها منطقياً لأنها تشعر بالعذاب وتحس به وتألم به فكان السؤال منطقياً للجلود (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) لكن هذا لا ينفي أن السؤال موجه للسمع والأبصار فهي أي السمع والبصر شهدت عليهم أما مناط الشعور والإحساس بالعذاب هي الجلود والجلود شهدت فلهذا انتقدت الجلود بالسؤال فقالت(قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) ليس بأمرنا ولكن الله تعالى أنطقنا. يومئذ كل شيء يتكلم ولا نتكلم بالأفواه ولكن تشهد الأيدي والأرجل (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) يس).

***ما اللمسة البيانية في تقديم القول على الجار والمجرور في الآية (لقد حق القول على أكثرهم) مع أنه في موطن آخر عكس الترتيب قال (لقد حق عليهم القول)؟ (د.فاضل السامرائى)**

في آية سورة يس قدّم القول على الجار والمجرور (أكثرهم) وفي مواطن أخرى قدّم الجار والمجرور فقال (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ (٢٥) فصلت) (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٩٦) يونس) التقديم والتأخير كما هو مقرر في علم البلاغة حسب العناية، السياق، ما كانت العناية به أكثر هو مدار التقديم والتأخير عليه، يقدم ما كان مدار العناية إذا كان الاهتمام بالقول أكثر قدم القول وإذا كان الاهتمام بمن حق عليهم القول أكثر يقدم من حق عليهم القول (عليهم). إذن إذا كان الاهتمام بالقول يقدم القول وإذا كان الاهتمام بمن حق عليهم القول بالأشخاص، بالمجموعة يقدّم (عليهم).

الوصايا العملية:

- أعظم نعمة إنزال القرآن وهو طريق السعادة في الدارين .
- ثناء الله على هذا القرآن وهو تمام البيان باللغة الفصحى أكمل اللغات وأفضلها لقوم يعلمون .
- الجاهلون لا يزيدهم القرآن إلا عمى وضلالة سماع الكفار للقرآن سماع تقوم به عليهم الحجة لا يسمعون بقلوبهم .
- القدر موكل بالمنطق كم أنهم وصفوا أنفسهم أن قلوبهم مغطاة وآذانهم فيها صمم فأعرضوا عنه وأظهروا بغضه والرضا بما هم عليه فاستكبروا عن الحق وطبع على قلوبهم .
- استقم على الدين حتى يأتيك الموت .
- الاستقامة هي إخلاص العمل لله ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ألزمي الاستغفار من تقصير المأمور وفعل المحذور .
- لا تحزني إذا أذنبت لكن استغفري .
- أهل الجنة عملهم مستمر .
- المعرضين لهم عقوبة دنيوية وأخروية .
- الشبهة المتوارثة بين الأمم أنهم يقولون أنتم بشر مثلنا .
- الحذر من معصية الله والاستمرار عليها وعدم التوبة ففيه العار والخزي في الدنيا والآخرة .
- سنة الله في خلقه أنه ينجي المتقين الصالحين .
- لا تغتري عند خلوتك ساكتة ومستسلمة فهذا الأعضاء تعمل ما تريدين ويوم القيامة تشهد عليك .
- تذكري طاعة الخلوات أسباب الثبات ومعصية الخلوات أسباب الانتكاسات .
- المؤمن يحسن الظن بالله فيحسن العمل والكافر والمنافق أساء الظن فأساء العمل .
- بالموت تنقطع الأعمال فاستغلي وقتك الآن بما يفيدك يوم القيامة وخاصة الحسنات الجارية .
- استعيذي بالله من شياطين الأنس والجن واسألي الله النجاة منه .
- الشياطين تأز أهل المعاصي فينسون الله ويزينون لهم الدنيا .
- احذري من صد الناس عن الخير فهذا العمل يشبه عمل الكفار .

المقطع الثاني من الآية (٣٠) إلى الآية (٥٤) :

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٣٠ – ٣٦) قرناء المؤمنين (الملائكة) يعينونهم على تبليغ الدعوة. ذكر الله جل وعلا في الآيات السابقة ندم المشركين على اتباعهم دعاة الباطل وبين حقدهم على قرنائهم الذين أوردوهم النار. وفي هذه الآيات بين الله عز وجل أن للمؤمنين قرناء ولكن شتان بين قرناء المؤمنين وقرناء المشركين فقرناء المؤمنين ملائكة صالحون يهدوهم إلى ما يرضي الله ويعينوهم على الطاعة وفعل الخير فهم أولياؤهم وناصروهم يحبونهم ويرجون لهم كل خير فهم رفاقهم في الدنيا وفي الآخرة يبشرونم بمصيرهم السعيد.

الآيات (٣٧ – ٤٠) الاحتجاج بالسنن الكونية. في الآيات السابقة بين الله عز وجل مصير الذين جعلوا القرآن الكريم منهجاً لهم به استقاموا وبه نالوا سعادتهم في الدنيا والآخرة وبين أن المكانة العالية الرفيعة في هذه الحياة هي لدعاة الحق وبين الدليل على ذلك. وبعد هذه الأدلة على صدق الرسل وعلى سعادة أولياء الله يعرض جل وعلا للمشركين المقارنة فأيهم أحسن الفريقين الذين آمنوا وهذا مصيرهم أم الذين كفروا وهذا عذابهم؟

الآيات (٤١ – ٤٦) صفات القرآن الكريم. انتهت الآيات في المقطع الاسبق بقوله تعالى "إن الذين يلحدون في ءاياتنا" وهذه الآيات والدلائل كلها أوردها القرآن الكريم دليلاً على صحة توجهه وصواب دعواه جاء هذا الدستور العظيم الذي عجز البشر أن يعارضوه أو يجدوا فيه خللاً أو نقصاً أو خطأ.

الآيات (٤٧ – ٤٨) علم الله الذي لا يستطيعه غيره. تكلمت الآيات السابقة عن القرآن الكريم وحقيقته وهنا يبين الله عز وجل علة كون القرآن لا يكتنفه الخطأ أو النقص وهي أن منزله هو الله عز وجل الذي يرد إليه علم الساعة فلا يعلمها سواه فإذا كان من عند من أحاط بكل شيء فحتماً سيكون القرآن متحدياً للنقص والخلل.

الآيات (٤٩ – ٥١) تردد الإنسان نفسياً من الأحداث حوله. في الآيات السابقة قال تعالى "وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص" وفي هذا المقطع يقول تعالى "فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ" فينبئهم بما ضل عنهم، وهذه نتيجة حتمية لما لا يمكن أن يفر الإنسان منه ولا يستطيع أن يخلصه منه أحد من الذين أشركهم مع الله مما أعد الله جزاءً وفاقاً.

الآيات (٥٢ – ٥٤) تحقيق أن القرآن من الله جل وعلا. كأن هذه الآيات لها علاقة بجميع السورة لأنه في هذه الآيات يدعو إلى التفكر ثم يبين أن جميع ما في الكون يدل على أن القرآن الكريم من كلام الله فبعد أن ذكر صفاته وما احتواه من إشارة إلى السنن الكونية وغيرها، يقول "سنريهم ءاياتنا في الأفاق وفي أنفسهم" وبهذه الآيات سيعلمون أن القرآن حق وأن منزله هو الله عز وجل لأنه لا يستطيعه مخلوق.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر واجعل لنا سريرة بيننا وبينك لا يعلمها إلا أنت ، وارزقنا الحسنات الجاريات..
قال صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ،قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم .
قال: هم قوم تحابوا بروح الله غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
لأولياء الله فضائل في الدنيا والآخرة:
في الدنيا :(لهم البشرى في الحياة الدنيا)
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه،قال: تلك عاجل بشرى المؤمن)
وفي رواية : (ويحبه الناس عليه)وفي رواية:(ويحمده الناس)
أما البشارة في الدنيا :الثناء الحسن ،والمودة في قلوب المؤمنين ،والرؤيا الصالحة ،وما يراه العبد من لطف الله به ويسره لأحسن الأعمال والخلاق وصرفه عن مساوئ الأخلاق.
٢/يتقبل الله دعاءهم ويعيذهم من ما يستعيذون ،وبالله يبصرون وبالله يسمعون وبالله يبطشون وبالله يمشون ،أي النور يكون لهم في كل مكان.
في الحديث القدسي : يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ،وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ،فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ،ولئن سألني لأعطينه ،ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه)
٣/ يبعدهم الله عن المعاصي كل ما يتقربون إلى الله لأنهم يتقربون إلى الله بالطاعات والله يتقرب منهم بالتوفيق.
٤/يحارب الله من يؤذيهم ويحميهم كما جاء في الحديث القدسي.
٥/وعد الله لهم بالتمكين في الأرض بتطبيق دينهم .
٦/الكرامات مثل أصحاب الكهف وقصة مريم.
-عند الموت:
البشرى لهم عند الموت قال تعالى: (تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة)
-في الآخرة:
١/فتح جميع أبواب الجنة الثمانية لهم.
٢/ادخر الله لهم تسع وتسعين رحمة.
٣/ يأمنون من الفزع الأكبر يوم القيامة.
*كيف تكون من أولياء الله الصالحين:

-التقرب إلى الله بالطاعات وترك المعاصي والخوف من الله والعمل كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
-كثرة الدعاء
-يكونون أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم ،يقولون الحق ولو على أنفسهم.
وكان من دعاء الأنبياء أن يلحقوا بالصالحين فهذا إبراهيم عليه السلام يقول: (رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين)
وقول يوسف عليه السلام: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني ....أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)
ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم توفنا مسلمين، وأحيينا مسلمين ،وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين)
قال تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآيات في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ما حال أولياء الله ؟

يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

□ ما هي بشارتهم عند الموت ؟

(تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ) الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. (أَلا تَخَافُوا) على ما يستقبل من أمركم، (وَلا تَحْزَنُوا) على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولا.

□ ما هي ولايتهم في الدنيا والآخرة ؟

(نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط.
وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ .

□ ما جزائهم ؟
يدخلون عليهم من كل باب سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ .
ويقولون لهم أيضا: (وَلَكُمْ فِيهَا) أي: في الجنة (مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ) قد أعد وهيئ. (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

□ ما دلالة غفور رحيم ؟
نزلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزلٌ وضيافة (مِنْ غَفُورٍ) غفر لكم السيئات، (رَحِيمٍ) حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب.

□ من هو الأحسن كلاماً ؟
(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) .
هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة (مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها،والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

□ كيف تكون الدعوة إلى الله ؟
ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.
ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.
ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

□ منهم الصديقين ؟
(وَعَمِلَ صَالِحًا) أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يُرْضِي ربه. (وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي: المنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل، كما أن من أشر الناس، قولا من كان من دعاة الضالين السالكين لسبله.

□ هل يستوي المحسن والمسيء؟

لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ.

□ أمر الله بإحسان خاص ماهو ؟

أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطَيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام.

□ ما نتيجة الإحسان الخاص ؟

فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أي: كأنه قريب شفيق.

□ من الذي يوفق لهذه الخصلة الحميدة ؟

(وَمَا يُلَقَّاهَا) أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة (إلا الَّذِينَ صَبَرُوا) نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟

□ كيف يصل الإنسان إلى الإحسان ؟

فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

□ مالحكمة من أن ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؟

وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

□ بماذا يدفع به العدو الجني ؟

ما يدفع به العدو الجني، وهو الاستعاذة بالله، والاحتماء من شره فقال:

(وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ) أي: أي وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيله عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) أي: اسأله، مفتقرًا إليه، أن يعيذك ويعصمك منه، (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك واضطرارك إلى عصمته وحمايته.

□ ما الآيات الدالة على قدرة الله ؟
ذكر تعالى أن (مِنْ آيَاتِهِ) الدالة على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنه الله وحده لا شريك له (اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) هذا بمنفعة ضيائه، وتصرف العباد فيه، وهذا بمنفعه ظلمه، وسكون الخلق فيه. (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) اللذان لا تستقيم معايش العباد، ولا أبدانهم، ولا أبدان حيواناتهم، إلا بهما، وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده.
(لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ) فإنهما مدبران مسخران مخلوقان. (وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الذي خلقهن) أي: اعبدوه وحده، لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه، من المخلوقات، وإن كبر، جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه، تبارك وتعالى. (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له.
(فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا) عن عبادة الله تعالى، ولم ينقادوا لها، فإنهم لن يضروا الله شيئًا، والله غني عنهم، وله عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولهذا قال: (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) يعني: الملائكة المقربين (يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ) أي: لا يملون من عبادته، لقوتهم، وشدة الداعي القوي منهم إلى ذلك.
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) .
(وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على كمال قدرته، وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية، (أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً) أي: لا نبات فيها (فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ) أي: المطر (اهْتَزَّتْ) أي: تحركت بالنبات (وَرَبَتْ) ثم: أنبتت من كل زوج بهيج، فيحيي به العباد والبلاد.

□ ما دلالة ذكر إحياء الموتى ؟
(إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا) بعد موتها وهمودها، (لَمُحْيِي الْمَوْتَى) من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى.

□ ما هو الإلحاد في آيات الله ؟ وماذا توعد الله الملحدين ؟
الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها، ما أرادها الله منها.
فتوعَّد تعالى من ألحد فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على ظاهره وباطنه، وسيجازيه على إلحاده بما كان يعمل، ولهذا قال: (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) مثل الملحد بآيات الله (خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) من عذاب الله مستحقًا لثوابه؟ من المعلوم أن هذا خير.

□ ما دلالة تسمية القرآن بالذكر ؟
لأنه المذكر للعباد بجميع مصالحهم الدينية والدنيوية والأخروية.

□ كيف تكون عزة القرآن ؟
(لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.
تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ) في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه، وينزله منزله. (حَمِيدٌ) على ما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وعلى ما له من العدل والإفضال، فلهذا كان كتابه، مشتملا على تمام الحكمة، وعلى تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار، التي يحمد عليها.

□ مالحكمة من إنزال القرآن عربياً ؟
يخبر تعالى عن فضله وكرمه، حيث أنزل كتابا عربيًا، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم، وهذا مما يوجب لهم زيادة الاغتناء به، والتلقي له والتسليم، وأنه لو جعله قرآنا أعجميًا، بلغة غير العرب، لاعترض، المكذبون وقالوا: (لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) أي: هلا بينت آياته، ووضحت وفسرت. (أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) أي: كيف يكون محمد عربيًا، والكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون فنفى الله تعالى كل أمر، يكون فيه شبهة لأهل الباطل، عن كتابه، ووصفه بكل وصف، يوجب لهم الانقياد، ولكن المؤمنون الموفقون، انتفعوا به، وارتفعوا، وغيرهم بالعكس من أحوالهم.

ما معنى قوله (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) ؟

أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية، لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب وتشفي القلب.

□ ما حال الكفار مع القرآن؟

(وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) بالقرآن (فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ) أي: صمم عن استماعه وإعراض، (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) أي: لا يبصرون به رشدًا، ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالا فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، وغيًّا إلى غيَّهم.

□ بماذا وصف الله عدم إيمانهم ؟
(أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) أي: ينادون إلى الإيمان، ويدعون إليه، فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادي، وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيًا ولا يجيب مناديًا. والمقصود: أن الذين لا يؤمنون بالقرآن، لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيرًا، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم.

□ ذكرت الآيات اختصاص الله بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه في قوله (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) اذكريها ؟

□ هذا إخبار عن سعة علمه تعالى واختصاصه بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه

١/ (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) أي: جميع الخلق ترد علمهم إلى الله تعالى، ويقرون بالعجز عنه، الرسل، والملائكة، وغيرهم.

٢/(وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) أي: وعائها الذي تخرج منه، وهذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار، إلا وهو يعلمها علما تفصيليًا.

٣/(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) من بني آدم وغيرهم، من أنواع الحيوانات، إلا بعلمه (وَلا تَضَعُ) أنثى حملها (إِلا بِعِلْمِهِ) فكيف سوَّى المشركون به تعالى، من لا علم عنده ولا سمع ولا بصر؟.

□ ما حال المشركين يوم القيامة ؟

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) أي: المشركين به يوم القيامة توبيخًا وإظهارًا لكذبهم، فيقول لهم: (أَيْنَ شُرَكَائِيَ) الذين زعمتم أنهم شركائي، فعبدتموهم، وجادلتم على ذلك، وعاديتم الرسل لأجلهم؟ (قَالُوا) مقرين ببطلان إلهيتهم، وشركتهم مع الله: (آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) أي: أعلمناك يا ربنا، واشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم وشركتهم، فكلنا الآن قد رجعنا إلى بطلان عبادتها، وتبرأنا منها، ولهذا قال: (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ) من دون الله، أي: ذهبت عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله، وظنوا أنها تفيدهم، وتدفع عنهم العذاب، وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئًا (وَظَنُّوا) أي: أيقنوا في تلك الحال (مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث، ولا ملجأ، فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به.

□ ما هي طبيعة الإنسان في حال الخير والشر ؟

لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) .

هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال، فقال: (لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) أي: لا يمل دائمًا، من دعاء الله، في الغنى والمال والولد، وغير ذلك من مطالب الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل، ولا كثير منها، فلو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالبًا للزيادة.

(وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) أي: المكروه، كالمرض، والفقر، وأنواع البلايا (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) أي: ييأس من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب ويطلب.

 من المستثنى من تلك الطبيعة ؟
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة والمحاب، شكروا الله تعالى، وخافوا أن تكون نعم الله عليهم، استدراجًا وإمهالا وإن أصابتهم مصيبة، في أنفسهم وأموالهم، وأولادهم، صبروا، ورجوا فضل ربهم، فلم ييأسوا.

 ما أعظم الجرأة؟
(وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ) أي: الإنسان الذي يسأم من دعاء الخير، وإن مسه الشر فيئوس قنوط (رَحْمَةً مِنَّا) أي: بعد ذلك الشر الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من فقره، فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغى، ويطغى، ويقول: (هَذَا لِي) أي: أتاني لأني له أهل، وأنا مستحق له (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) وهذا إنكار منه للبعث، وكفر للنعمة والرحمة، التي أذاقها الله له. (وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) أي: على تقدير إتيان الساعة، وأني سأرجع إلى ربي، إن لي عنده، للحسنى، فكما حصلت لي النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل] لي [في الآخرة وهذا من أعظم الجراءة والقول على الله بلا علم، فلهذا توعده بقوله: (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) أي: شديد جدًا.

 ماذا أمر الله تعالى نبيه في قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤) .؟

أي (قُلْ) لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران (أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ) هذا القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) من غير شك ولا ارتياب، (ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) أي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذا تكونون أضل الناس وأظلمهم.
فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.
(وَفِي أَنْفُسِهِمْ) مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين. (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ) من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك (أَنَّهُ الْحَقُّ) وما اشتمل عليه حق.
وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء.
(أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، بشهادة الله تعالى، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده، ونصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية، عند من شك فيها.
(أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. (أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) علما وقدرة وعزة.

لمسات بيانية:

***قال تعالى في سورة فصلت (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)) وقال في سورة القدر (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤)) استخدم نفس الفعل المضارع لكن حذفت التاء في الآية الثانية (تنزّل) لماذا؟(د.فاضل السامرائى)**

الآية الأولى هي عند الموت تنزل الملائكة على الشخص المسستقيم تبشرّه بمآله إلى الجنة. أما الثانية فهي في ليلة القدر . التنزّل في الآية الأولى يحدث في كل لحظة لأنه في كل لحظة يموت مؤمن في هذه الأرض إذن الملائكة في مثل هذه الحالةتتنزّل في كل لحظة وكل وقت أما في الآية الثانية فهي في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر. لإذن التنزّل الأول أكثر استمرارية من التنزّل الثاني، ففي الحدث المستمر جاء الفعل كاملاً غير مقتطع (تتنزّل) أما في الثانية في الحدث المتقطع اقتطع الفعل (تنزّل).

نلاحظ في القرآن كله وليس فقط في هذه الآية الحذف كما جاء في القرآن مثل (تنزّل وتتنزّل، تبدّل وتتبدّل) وهذا الحذف في عموم القرآن وحيث ورد مثل هذا التعبير في القرآن سواء في الفعل أو غيره يكون لأحد أمرين:

١. للدلالة على أن الحدث أقلّ.

٢. أن يكون في مقام الإيجاز.

آية (٣٤):

*** ما دلالة استخدام كلمة الحسنة في قوله تعالى (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) ولماذا لم تستعمل كلمة الحسنى مثلاً؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة فُصّلت (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)).

الحُسنى لا تُقابل السيئة وإنما تُقابل السوأى (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)). والحسنى مؤنّث الأحسن وهي إسم تفضيل كالأصغر والصُغرى والأكبر والكُبرى والأسوأ والسوءى. فالسيئة إذن لا يقابلها الحسنى وإنما السوءى. أما الحسنة فهي التي تقابل السيئة، لو استعملت الحُسنى كما جاء في السؤال (لا تستوي الحسنى ولا السيئة) لكانت أعطت معنى أنه يمكن أن تستوي الحسنة والسيئة، الحسنى لا تستوي وما دونها يستوي. لكن في الآية الكريمة نفي القِلّة ونفي الأكثر من باب أولى.

آية (٣٨):

***ما دلالة تعريف الليل والنهار فى قوله تعالى (يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) فصلت)؟(د.فاضل السامرائى)**

المعرفة غالباً تفيد الدوام يعني لما تقول خرجت صباحاً يعني صباح يومٍ بعينه، لما تقول سأخرج صباحاً لا بد أن تأتي صباح يومٍ بعينه أما لما تقول سأخرج في الصباح يعني أيّ صباح ولذلك (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) فصلت) ليس هناك وقت محدد.

آية (٤٠):

***يقول تعالى (بما تعملون بصير) وفي آية أخرى يقول (بصير بما تعملون) فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟(د.فاضل السامرائى)**

التقديم والتأخير يأتي لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور. إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدّم صفته. من باب تقديم العمل على البصر: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) البقرة) بهذا العمل بصير، إذا كان السياق عن العمل يقدم العمل على البصر وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام على الله تعالى وصفاته يقدم صفته. (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) هود) الكلام على العمل فقدم العمل (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) سبأ) قدم العمل، (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) فصلت) هذا في القرآن كله إذا كان الكلام ليس على العمل أو على الله تعالى (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) البقرة) ليس فيها عمل، (وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) المائدة) لا يوجد عمل، (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) الحجرات) يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.

آية (٤٦):

***(إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (٧) الإسراء) ما دلالة استخدام لها مع أنه في القرآن يستعمل عليها (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا (٤٦) فصلت)؟(د.فاض السامرائى)**

هذه ليست في سياق الإثم وما يقع عليه هو وإنما إساءتكم راجعة إلينا. واحد يقول لقد أسأت لأبيك في هذا، أنت لم تحسن إليه، لم يقل أسأت عليه ليس المقصود لإثم يقع عليه يعني لقد أسأت إلى فلان يعني رجعت الإساءة له، تقول لقد أسأت إلى نفسك قبل أن تسيء إلى نفسك. تلك في مقام العقوبة والإثم وقوع الإثم عليه نأتي بـ(على) أما أحياناً نحن لا نستعمل هذا الشيء دائماً نقول لقد أسأت إلى نفسك لكن هذا ليس في سياق العقوبة. في سياق الإثم مثل سياق العقوبة (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (٧) الإسراء) وقال (فَإِذَا

جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ (٧) الإسراء). نلاحظ آيات أخرى على سبيل المثال (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) فصلت) معناه أنه سيوقع عليه عقوبة الإساءة لكن ليس بالذُلّ يعني رجعت الإساءة عليه وتحمل إثمها فربنا يعاقبه عليه وليس ظالماً له (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) الإثم عاد عليه، هذا في مقام حساب. وفي آية أخرى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) الجاثية) يعني سيحاسبكم على ما قدمتم من إساءة وإحسان. نحن نستعملها فنقول لقد أسأت إلى نفسك قبل أن تسيء إلى الآخرين، لقد أسأت إلى أبيك ما كان عليك أن تفعل هذا.

آية (٥٠):

***ما الفرق بين رحمة منا و رحمة من عندنا؟(د.فاضل السامرائى)**

في القرآن يستعمل رحمة من عندنا أخص من رحمة منا، لا يستعمل رحمة من عندنا إلا مع المؤمنين فقط أما رحمة منا فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر.

***ما الفرق بين الرد والرجوع (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) الكهف)و(وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى (٥٠) فصلت)؟(د.أحمد الكبيسى)**

الردّ أن تأتي مكرهاً وقلت واحد رُدّ فلان إلى بلده، وأُرجع فلان إلى بلده، أُرجع بشكل سهل وطبيعي وعلى رغبته بشكل طبيعي بعدما سافر رجع إلى بلاده وكان يعرف أنه سيرجع، أما رُد تعني أن هناك مشكلة إما أكرهوه على هذا أو غير مرغوب فيه أو هو لا يريد أن يأتي أو جابوه بالقوة هذا الردّ. هذا الذي قلناه أحد المستمعين في العراق إسمه سعد من الحويجة ربما لخص هذا تلخيصاً أكثر دقة منا، قال الرجوع (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى) هذا يؤمن باليوم الآخر فهو مؤمن أنه سيموت وأنه سيرجع إلى الله فيرحمه أما الذي يقول (ولئن رددت) هذا لا يؤمن باليوم الآخر وإنما يستهزئ (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) الكهف) ورأيت هذا منطقي جداً وأردت أن أنبّه عليه لأنه تفوق علينا من حيث أنه قال الرجوع لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ورُددت للذي لا يؤمن وإنما يقول لو حصل على فرض المستحيل.

الوصايا العملية:

- انتبهي من إيذاء أحد من المسلمين فقد يكون ولي من أولياء الله .
- إذا خاصمتي شخص فلا تفجري معه في الخصومة .
- المؤمنون عند الموت تبشرهم الملائكة وتطمئنهم ألا تخافوا ولا تحزنوا .
- لكي تكونين من أولياء الله تقربي إليه بالطاعات واتركي المعاصي وأحسني العبادة .
- أكثري من دعاء (اللهم أهدني في من هديت وتولني في من توليت) .
- إذا كنت من أولياء الله يصرف عنك كل شر في دينك ودنياك ويوفقك لكل خير من أمر دنياك وآخرتك .

- الافتخار والاعتزاز بالدين (في الستر والحجاب) .
- من صفات المؤمنين أنهم أذلة على المؤمنين يتواضعون لبعضهم ويخدمون أنفسهم وغيرهم .
- بعض المسلمين يتخذون أصدقاء من النصارى بحجة دعوتهم إلى الإسلام يجب الحذر منهم فليس لهم أمان فهم حاقدون ولا تشفع لهم أخلاقهم .
- الحذر من مصاحبة أهل الهوى فلا تعلم ما يعلق في قلبك منهم .
- قل الحق ولو على نفسك .
- أكثري من دعاء (ربنا أحيينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين) ومن دعاء إبراهيم (ربي هب لي حكم وألحقني بالصالحين) ومن دعاء يوسف (أنت وليي في الدنيا والآخرة وأحييني مسلما وألحقني بالصالحين) .
- استسلمي لله وحده مع إخلاص العمل .
- استقيمي على الصراط المستقيم علما وعمل فلك البشارة في الحياة الدنيا والآخرة .
- اسألي الله أن يرزقك الاستقامة كما قال الحسن (اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة) .
- كوني ممن مدحهم الله بقوله (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إني من المسلمين
- أأمري بالمعروف وانهي عن المنكر وعلمي الجاهل وعظي الغافل وادحضي المجادل .
- شجعي الناشئة على طلب العلم وكتاب الله وسنة رسوله فهو يدخل في الدعوة إلى الله .حثي الناشئة على مكارم الأخلاق وصلة الأرحام وبر الوالدين .
- انتهزي الفرص فكوني من يعظ الناس في المواقف والمواسم .
- لابد من الدعوة على الله مع العمل الصالح ليس له عذر من له مكان من منصب ومسئول أو داعية .
- فرغي نفسك لعبادة الله فهذا داوود عليه السلام نبي وملك وخصص وقت للعبادة .
- تيقني أن العبادة تزيدك ثبات وصبر ويقين .
- لتصلي لمرتبة الصديقيين ادعي إلى الله واعملي صالحا وكوني من المسلمين .
- من أسوء الناس الذي يضل الناس ويعمل السوء .
- الإحسان الخاص إذا أساء إليك مخلوق أن تحسني إليه وخاصة الأقارب وإن قطعوك وهجروك .
- لا تنال صلة الأرحام إلا بالصبر .
- تريدين تكريم الله وأجرك على الله اعفي واصفحي .
- قدمي رضا الله على رضا نفسك تنالين الرفعة في الدارين .
- استعيذي بالله عند نزغ الشيطان من وسوسة، تزيين الشر، صدك عن الخير، سوء ظن .
- أكثري من التسبيح .
- القرآن يعلي ذكر من اتبعه .
- لا يعطي الله حفظ القرآن والعمل به إلا من كان قلبه طاهر ليس فيه غل ولا حقد ولا حسد .
- الله حفظ القرآن من التحريف ومن شياطين الأنس والجن .
- إذا عرفت أن الله يغفر الذنوب فهذا يدعوك إلى المباشرة بالتوبة .
- انظر إلى من حولك من غير العربيين يجدون صعوبة في تعلمه ونطقه فمن باب أولى أن نعطيه قدره
- هذا ذكر وهو عزيز من يحبه الله يعطيه ويرزقه القرآن فأعطيه وقتك للحفظ والتدارس والتدبر .
- القرآن شفاء لقلوب وصدور المؤمنين يهديهم ويذهب عنهم الشكوك والريب .

- أكثري من تلاوة القرآن يجلي الذنوب ويذهب ران القلب .
- الله لا يعجل بالعقوبة على الكافرين لكن حلم الله يؤخرهم إلى أجل مسمى .
- إذا أخلصت عملك رفعك الله به وثبتك وأعانك على الشهادة فمن صدق الله صدق الله معه وسهل عليه نطق الشهادة عند الموت .
- أكثري من ذكر الله ففضله عظيم .
- أطلبي حوائجك من الله فهو القادر .
- اصبري على ما أصابك ولا تقنطي .
- احذري من الغفلة عند حصول نعمة أو فرح .
- ابتلاء السراء أشد من ابتلاء الضراء .
- اشكري الله على عموم نعمه .
- تفكري في نفسك أعضاءك جوارحك هذه نعم تحتاج إلى شكر بالقول والعمل .

تناسب فواتح سورة فصلت مع خواتيمها:

السورتان الحادية والأربعون والثانية والأربعون فصلت والشورى. قال في خاتمة فصلت (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)) الكلام على القرآن وقال في بداية الشورى (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)) القرآن. (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢)) - (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)) يؤكد أنه وحي من عند الله العزيز الحكيم (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)). (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)) أليس هذا هو العلي العظيم؟ بلى، ختم فصلت بقوله (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)) وهنا قال (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)) والكلام في الموضعين على القرآن الكريم.

| ● | نهاية سورة فصلت | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الشورى ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـــورة الشورى

بين يدي السورة:

- سميت سورة الشورى بهذا الاسم تنويهاً بمكانة الشورى في الإسلام، وتعليماً للمؤمنين أن يقيموا حياتهم على هذا المنهج الأمثل الأكمل منهج الشورى، لما له من أثر عظيم جليل في حياة الفرد والمجتمع.
- من فضائلها: أنها من السور المثاني.
- سورة مكية.
- محور السورة: (الوحي والرسالة) وهو الهدف الأساس للسورة الكريمة.

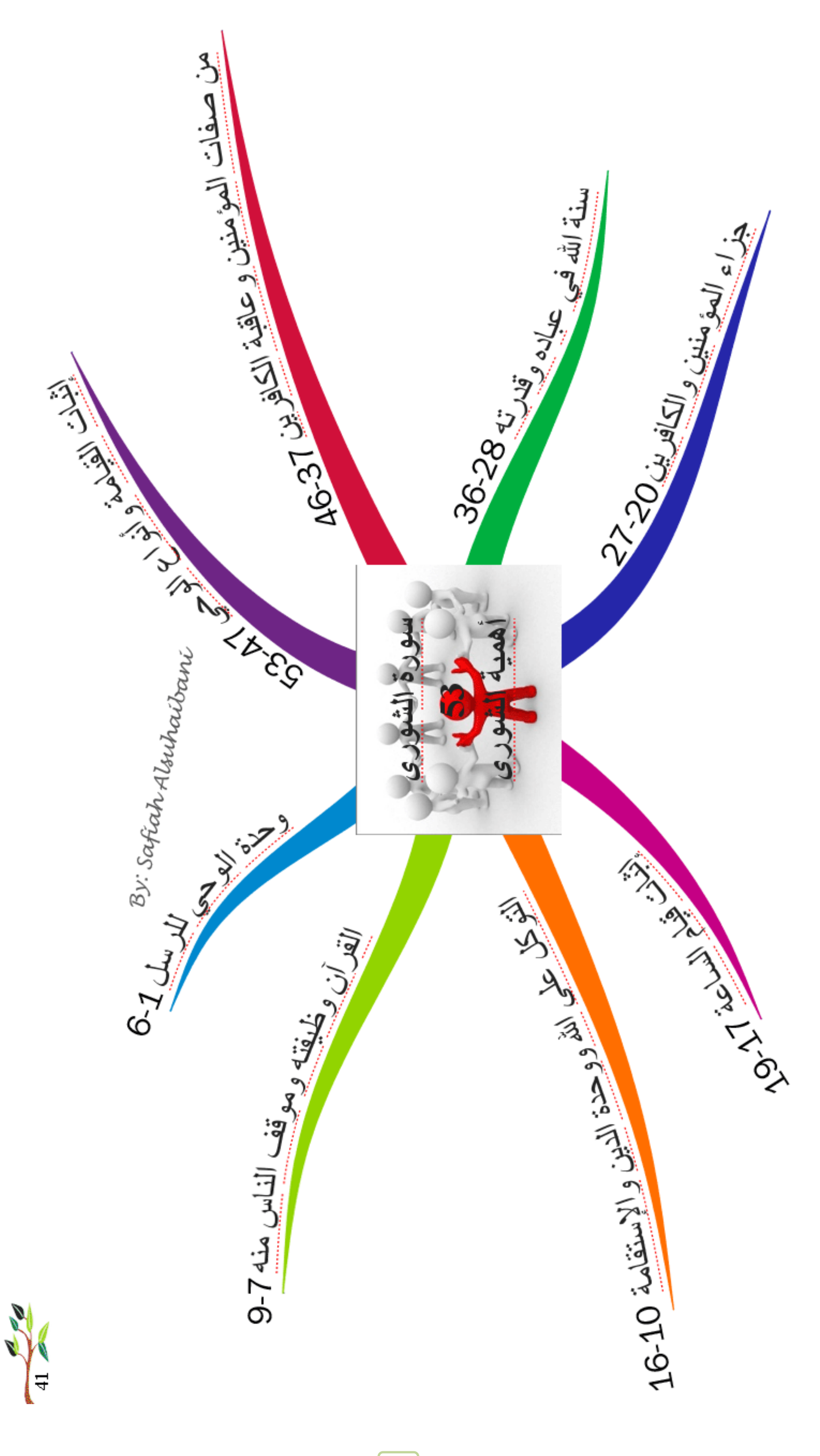
المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

في نهاية سورة فصلت حديث عن القرآن الكريم "قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد * سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" وجاء الحديث عن القرآن الكريم في افتتاحية سورة الشورى في قوله: حم * عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم" "وكذلك أوحينا إليك قرءاناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه".

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- في السورتين حديث عن القرآن الكريم؛ جاء ذلك في سورة فصلت في الآيات (١ إلى ٤) والآيات (٤١ إلى ٤٤) والآية ٥٢. وجاء الحديث عن القرآن الكريم في سورة الشورى في الآيات (١ إلى ٣) و الآية "وكذلك أوحينا إليك قرءاناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه".
- في السورتين حديث عن دلائل وحدانية الله تعالى وقدرته، ففي سورة فصلت الآيات (٩ – ١٢) والآيات (٣٧ – ٣٩)، وجاء الحديث عن دلائل وحدانية الله تعالى في سورة الشورى في الآيات (٤ – ٥) والآيات (٢٨ – ٣٥).
- في السورتين حديث عن جزاء المؤمنين ومصير الكافرين، جاء ذلك في سورة فصلت في الآيات (٢٦ – ٣٢). وجاء الحديث عن جزاء المؤمنين ومصير الكافرين في سورة الشورى في الآيات (٢١ – ٢٢).

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٢٢):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (١ – ٦) تنزيل الوحي وبيان جلال الله تعالى وعظمته. تبتدئ السورة الكريمة بتقرير مصدر الوحي، ومصدر الرسالة، فالله رب العالمين هو الذي أنزل الوحي على الأنبياء والمرسلين، وهو الذين اصطفى لرسالاته من شاء من عباده، ليخرجوا الإنسانية من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الهداية والإيمان.

الآيات (٧ – ١٢) مقاصد الوحي الإلهي. أي كما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك يا محمد قرآناً عربياً معجزاً. وفي الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يقاسيه من كفر قومه.

الآيات (١٣ – ١٤) وحدة الأديان في أصولها.

الآيات (١٥ – ١٩) الأمر بالدعوة والاستقامة، وإبطال حجج المعاندين.

الآيات (٢٠ – ٢٦) حتمية الجزاء للمؤمنين والظالمين، وقبول التوبة. لما بيّن سبحانه كونه لطيفاً بالعباد، كثير الإحسان إليهم، أشار إلى أن الإنسان ما دام في هذه الحياة فعليه أن يسعى في طلب الخيرات لأسباب السعادة فقال: "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه".

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات ..
هذا الكون كله خلقه خلق وسخر للإنسان تسخير تعريف وتسخير تكريم .
فالمرء قد يشرب الكأس من الماء فيروي العروق و يلتذ به الجسم ، ولكن هذا خلق لهدف أكبر من أن تشربه ،خلق لكي تعرف الله من خلاله فمن جعل الماء بلا لون ولا رائحة ولا طعم؟
ومن جعله يتبخر في درجة منخفضة جدا ومن جعله يحل المواد الكثيرة ومن جعله قوام الخلية الحية؟.......
فإذا عرفت الله من خلال الماء فقد حققت الهدف الأكبر من خلق الماء ، أما إذا شربت كاس الماء وارتويت به ثم أغلقت دون عقلك الأبواب فقد حققت الهدف الصغير.
لا بد أن تتعرف على الله من خلال ما حولنا فالكون مظهر لأسماء الله الحسنى.
الهواء الذي يحيط بنا من كل جانب نستنشقه ولو حركناه لشعرنا بوجوده ومع ذلك لا يرى الهواء وليس له صوت ،فهو موجود وكأنه غير موجود فلا يحجب الرؤية ،إذا فالهواء لطيف، قال تعالى: (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز)
اسم الله اللطيف له معان كثيرة:

وهو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه حيث لا يشعر وهذا من آثار علمه وكرمه ورحمته فلهذا كان معنى اللطيف نوعين:
١/أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار وبالبواطن والخبايا والخفايا ومكنونات الصدور ومغيبات الأمور وما لطف ودق من كل شيء.
٢/لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه ويشمله بكرمه ويرقيه إلى المنازل العالية فييسره لليسرى ويجنبه العسرى ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته مثل الأنبياء يوسف عليه السلام كيف ترقت به الأحوال ولطف الله به وله وبما قدره عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العقبى في الدنيا والآخرة .
كما يمتحن أولياءه بما يكرهونه لينيلهم ما يحبون ،فكم لله من لطف وكرم لا تدركه الأفهام..
وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من رئاسة أو سبب من الأسباب المحبوبة فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمة به لئلا تضره في دينه فيظل العبد حزينا من جهله وعدم معرفته بربه ،ولو علم ما ذخر له في الغيب وأريد إصلاحه فيه لحمد الله وشكره على ذلك فإن الله بعباده رؤوف رحيم لطيف بأوليائه (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز)
لطيف في أوامره وفي شرعه وبعباده.
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في تدارسنا..

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ما الحكمة من إخبار الله تعالى بأنه أوحى هذا القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم ؟

أخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم، كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء والمرسلين، ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، سابقا ولاحقا، وأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس ببدع من الرسل، وأن طريقته طريقة من قبله، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين. وما جاء به يشابه ما جاءوا به، لأن الجميع حق وصدق، وهو تنزيل من اتصف بالألوهية والعزة العظيمة والحكمة البالغة، وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي.

وأنه {الْعَلِيُّ} بذاته وقدره وقهره. {الْعَظِيمِ} الذي من عظمته

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ} على عظمها وكونها جمادا، {وَالْمَلَائِكَةِ} الكرام المقربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مذعنون بربوبيته. {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم} ويعظمونه عن كل نقص، ويصفونه بكل كمال، {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم وكبريائه، مع أنه تعالى هو {الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} الذي لولا مغفرته ورحمته، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة.

- ما دلالة وصف الله تعالى لذاته بهذه الأوصاف بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل عامة ومحمد صلى الله عليه وسلم خاصة؟

وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموما، وإلى محمد ـ صلى الله عليهم أجمعين خصوصا، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى.

- ما هو أكبر وأشنع الظلم؟

وإن من أكبر الظلم وأفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه، ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم.

ولهذا عقبه بقوله: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}

يتولونهم بالعبادة والطاعة، كما يعبدون الله ويطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، وليسوا بأولياء على الحقيقة. {اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِم} يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها وشرها. {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} فتسأل عن أعمالهم، وإنما أنت مبلغ أديت وظيفتك.

- بماذا أمتن الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

ثم ذكر منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل الله {قُرْآنًا عَرَبِيًّا} بين الألفاظ والمعاني {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى} وهي مكة المكرمة {وَمَنْ حَوْلَهَا} من قرى العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق. {وَتُنْذِرَ} الناس {يَوْمَ الْجَمْعِ} الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، وتخبرهم أنه {لَا رَيْبَ فِيهِ}. وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ} وهم الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين، {وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} وهم أصناف الكفرة المكذبين.

- ما الحكمة من عدم جعل الناس أمة واحدة ؟

هذا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ} لجعل الناس، أي: جعل الناس {أُمَّةً وَاحِدَةً} على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، ولكنه أراد أن يدخل في رحمته من شاء من خواص خلقه.

وأما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة، فـ {مَا لَهُم} من دون الله {مِنْ وَلِيٍّ} يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب {وَلَا نَصِيرٍ} يدفع عنهم المكروه.

والذين {اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط.

- كيف تكون ولاية العبد لله؟

فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات،

- كيف تكون ولاية الله لعباده؟

ويتولى عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم.

- بماذا أمر الله عباده في حالة الاختلاف في أي أمر كان؟

يقول تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ} من أصول دينكم وفروعه، مما لم تتفقوا عليه {فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} يرد إلى كتابه، وإلى سنة رسوله، فما حكما به فهو الحق، وما خالف ذلك فباطل. {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي} أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر، فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم.

- يفهم من الآية أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، كيف يكون ذلك؟

لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه، يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب الله وسنة رسوله.

- ما هما الأصلان اللذان يحصل بمجموعهما كمال العبد؟

وقوله: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار، واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك. {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته.

وهذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وقوله: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}.

- ما معنى فاطر السماوات والأرض؟

أي: خالقهما بقدرته ومشيئته وحكمته. {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} لتسكنوا إليها، وتنتشر منكم الذرية، ويحصل لكم من النفع ما يحصل.

- ما مدلول قوله تعالى " ومن الأنعام أزواجا"؟

أي: ومن جميع أصنافها نوعين، ذكرا وأنثى، لتبقى وتنمو لمنافعكم الكثيرة، ولهذا عداها باللام الدالة على التعليل، أي: جعل ذلك لأجلكم، ولأجل النعمة عليكم، ولهذا قال: {يذرؤكم فيه} أي: يبثكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم، وجعل لكم من الأنعام أزواجا.

- بماذا يستدل أهل السنة والجماعة على مذهبهم في أسماء الله وصفاته؟

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. {وَهُوَ السَّمِيعُ} لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. {الْبَصِيرُ} يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وعلى المعطلة في قوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

- ما معنى له مقاليد السماوات والأرض؟

وقوله: {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي: له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء.

والله تعالى هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}

ولهذا قال هنا: {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، {وَيَقْدِرُ} أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلهذا قال: {إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته وتقتضيه مشيئته.

- ما هي أكبر منة أنعم الله بها على عباده؟

أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله

لهم، لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب.

- بعد أن شرع الدين بماذا أمرهم؟

أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. {وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم.

- ما هي أنواع الاجتماع على الدين ؟

ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق.

- كيف تكون استجابة المشركين للدعوة؟

{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} أي: شق عليهم غاية المشقة، حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وقولهم: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}.

- كيف يختار الله خواص خلقه؟

{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ} أي يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها.

{وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}.

- ما الآية الدالة على أن قول الصحابة حجة ؟

وفي هذه الآية، أن الله {يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} مع قوله: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين.

- بعد الأمر بالاجتماع نهى الله عن موجب الفرقة ، ماهو؟

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم

أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

- بماذا أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ؟

١- {فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ} أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، {وَاسْتَقِمْ} بنفسك {كَمَا أُمِرْتَ} أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.

٢ ــ {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم} أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، ولم يقل: "ولا تتبع دينهم" لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهوا ولعبا.

٣ ــ {وَقُلْ} لهم عند جدالهم ومناظرتهم: {آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته وهيمنته على سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام، وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها، وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته.

وأما مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم.

- كيف يكون جدال أهل الكتاب؟

وقوله: {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} أي: في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل، {اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُم} أي: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا. {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُم} من خير وشر {لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وإنما المراد ما ذكرنا.

{اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} يوم القيامة، فيجزي كلا بعمله، ويتبين حينئذ الصادق من الكاذب.

- ما تقرير قوله تعالى " لا حجة بيننا وبينكم"؟

{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}

وهذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا وبينكم، فأخبر هنا أن {الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ} بالحجج الباطلة، والشبه المتناقضة {مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ} أي: من بعد ما استجاب لله أولو الألباب والعقول، لما بين لهم من الآيات القاطعة، والبراهين الساطعة، فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين {حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ} أي: باطلة مدفوعة {عِنْدَ رَبِّهِم} لأنها مشتملة على رد الحق وكل ما خالف الحق، فهو باطل.

{وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ} لعصيانهم وإعراضهم عن حجج الله وبيناته وتكذيبها. {وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل.

- ما هي حجج الله تعالى وماهي أصولها؟

ذكر تعالى أن حججه واضحة بينة، بحيث استجاب لها كل من فيه خير، ذكر أصلها وقاعدتها، بل جميع الحجج التي أوصلها إلى العباد، فقال: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل.

وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر

به وأخبرت رسله، مما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب والميزان مما قيل إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك من خبر المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاقه وخلافه سيان.

- من الذين يستعجلون بالساعة؟ وبماذا خوفهم الله تعالى؟

ثم قال تعالى مخوفا للمستعجلين لقيام الساعة المنكرين لها، فقال: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} أي: ليس بمعلوم بعدها، ولا متى تقوم، فهي في كل وقت متوقع وقوعها، مخوف وجبتها.

{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا} عنادا وتكذيبا، وتعجيزا لربهم. {وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا} أي: خائفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفتهم بربهم، أن لا تكون أعمالهم منجية لهم ولا مسعدة، ولهذا قال: {وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه {أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ} أي: بعد ما امتروا فيها، ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها فهم في شقاق بعيد، أي: معاندة ومخاصمة غير قريبة من الصواب، بل في غاية البعد عن الحق، وأيُّ بعد أبعد ممن كذب بالدار التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمد، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة إليها، كراكب قال في ظل شجرة ثم رحل وتركها، وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار.

فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولا، وأغزرهم علما، وأعظمهم فطنة وفهما.

- كيف يكون لطف الله بعباده؟

يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده ـ وخصوصا المؤمنين ـ إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

١ـ فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

٢ ـ ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

٣ ــ ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: {يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ} بحسب اقتضاء حكمته ولطفه {وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء.

- أهداف الناس تختلف منهم من همه الدنيا ومنهم من همه الآخرة وقد بين الله ما لكل من الفريقين ؟

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ} أي: أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق، وسعى لها سعيها {نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ} بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافا كثيرة، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه.

{وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا} بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. {نُؤْتِهِ مِنْهَا} نصيبه الذي قسم له، {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها.

- بماذا أخبر الله تعالى عن المشركين ؟

يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر {شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئا ما جاء عن الله وعن رسوله، فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم وأباؤهم على الكفر.

{وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} أي: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلا بين الطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه، لقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم.

وفي ذلك اليوم {تَرَى الظَّالِمِينَ} أنفسهم بالكفر والمعاصي {مُشْفِقِينَ} أي: خائفين وجلين {مِمَّا كَسَبُوا} أن يعاقبوا عليه.

ولما كان الخائف قد يقع به ما أشفق منه وخافه، وقد لا يقع، أخبر أنه {وَاقِعٌ بِهِمْ} العقاب الذي خافوه، لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب، من غير معارض، من توبة ولا غيرها، ووصلوا موضعا فات فيه الإنظار والإمهال.

- بعد إخباره سبحانه عن خبر المشركين ذكر حال المؤمنين لأن القرآن مثاني تثنى فيه الأمور ويذكر كل شئ ومايقابله؟

{وَالَّذِينَ آمَنُوا} بقلوبهم بالله وبكتبه ورسله وما جاءوا به، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يشمل كل عمل صالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فهؤلاء {فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ} أي: الروضات المضافة إلى الجنات، والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهارالمتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذ من المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدى إلا حسنا وبهاء، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقا إلى لذاتها ووددا، {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ} فيها، أي: في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. {ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} وهل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى، والتنعم بقربه في دار كرامته.

لمسات بيانية:

آية (١١):

***(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (١١) الشورى) ما دلالة الكاف في هذه الآية الكريمة؟(د.فاضل السامرائى)**

(ليس كمثله شيء) نفي المشابه ولو من وجه بعيد، لا يتبادر إلى الذهن أدنى شبه ولو من بعيد فجاء بأداتين ليس هناك شبه قريب فجاء بالكاف. لو قال خارج القرآن ليس مثله شيء تكون أقرب وليس فيها هذه الدلالة للتأكيد على نفي المثلية.

آية (١٣):

***ما الفرق بين استعمال (ما) و(الذي) في الآية (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) الشورى)؟ (د.فاضل السامرائى)**

(الذي) أعرف من (ما) مع أن كلاهما معرفة لكن المختص أعرف. إذن الأسماء الموصولة كالضمائر بعضها أعرف من بعض. إذن (الذي) أعرف من (ما)، نقرأ الآية (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) الذي أوحينا إليك هو معروف لمحمد كل ما جاء يعرفه، وهو القرآن الكريم أما ما وصى به نوحاً فهو غير معروف، (وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) ما وصينا به إبراهيم وموسى غير معروف والتوراة ليست موجودة وكانت محرفة حتى في زمن الرسول ولا يعلم كل ما وصى به من كلمات فالقرآن أعرف مما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى ونوحاً، هذا تفسير عام وليس تحديداً نقول لا إله إلا الله كلمة عامة لكن دقائق الأمور والأحكام التي جاء بها إبراهيم موسى وعيسى ونوح لا يعرفها الرسول

صلى الله عليه وسلم فـ (الذي أوحينا) أعرف فجاء بما هو أعرف لما هو أعرف وجاء لمن دونه في المعرفة بما هو دونه بالمعرفة (ما وصى به) وكل كلمة في مكانها بحسب القاعدة.

الفرق بين الوحي والوصايا: الشريعة قد يكون فيها وحي وقد يكون فيها وصايا، مع نوح وعيسى وموسى وإبراهيم قال (ما وصى) ومع الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل (أوحينا إليك) لهذا استخدم الذي وما.

***ما الفرق بين تفرقوا وتتفرقوا فى القرآن الكريم؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الشورى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)) وقال في سورة آل عمران (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)) في الآية الأولى الوصية خالدة من زمن سيدنا نوح إلى خاتم الأنبياء فجاء الفعل (تتفرقوا) أما في الآية الثانية فهي خاصة بالمسلمين لذا جاء الفعل (تفرّقوا). السبب واضح لأن الأمة المحمدية هي جزء من الأمم الاسلامية المذكورة في الآية الأولى وآية آل عمران هي جزء والأمة المخاطبة فيها جزء من الأمم المخاطبة في آية سورة الشورى. وكذلك فالحدث ممتد في الأولى قال (تتفرقوا) والحدث محدد في الثانية فقال (تفرقوا). والملاحظ في الآية فالأولى وصية خالدة لأمة الإسلام على مدى الأزمان من زمن نزح إلى خاتم الأنبياء (ولا تتفرقوا فيه) لأن هذا هو المأتى الذي يدخل إليه أعداء الإسلام فيتفرقون به لذا جاءت الوصية خالدة مستمرة فنهاهم عن التفرّق، ونلاحظ أنه تعالى وصّى الأمم مرة ووصّى الأمة الإسلامية مرتين. والآية الأولى أشد تحذيراً للأمة الإسلامية (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك) لم يكتف بـ(شَرَع لكم) بل زاد (والذي أوحينا إليك). شرعه لنا في الوصية العامة لنوح وخصّ بالذي أوحينا إليك ثم خصّ الأمة الإسلامية في الآية الثانية.

الوصايا العملية:

- بتدبرك للقرآن ومعرفتك لأسماء الله وصفاته يمتلئ قلبك تعظيما لله فيقربك منه فتحبينه وهذا يجعلك تخلصين العمل له سبحانه .
- إن أكبر المزالق على إحباط العمل هو الرياء النابع من الشيطان فجاهدي .
- لا يقبل الله إلا الخالص من العمل .
- ألجئي إلى الله عند حوائجك كلها .
- لا تذلين نفسك لأحد لكي يجلب المنفعة .
- الله يحفظ الأعمال ويجازي عليها .
- الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة وعدم التسويف .

- لا يدخل الله في رحمته إلا الخواص من خلقه كالأنبياء ومن تبعهم .
- ادعي ب (اللهم أدخلني في رحمتك) .
- الظالمون محرومون من رحمة الله مالهم من ولي ولا نصير .
- الله يتولى عباده الصالحين ويحفظهم ويجلب لهم المصالح ويصرف عنهم ما يضرهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور.
- إذا اختلف في أصول الدين وفروعه فيرد إلى كتاب الله وسنة رسوله .
- لا تجتمع أمة محمد على ضلاله .
- التوكل عبادة قلبية لا تصرف إلا لله .
- وجهي قلبك وبدنك لله وبحصولها يحصل كمال العبد .
- بحصول التوكل والإنابة يحصل كمال العبد وبفواتهما يفوت الكمال أو فوات أحدهما .
- كلما حصلت على نعمة أو اندفع عنك نقمة أو شر فمن الله فاشكريه .
- لكي تنالين السعادة والرفعة تمسكي بدينك .
- أقيمي الدين بنفسك واجتهدي على إقامة غيرك .
- الحذر من الفرقة والاختلاف .
- اسألي الله الثبات حتى الممات ،
- اسألي الله أن ينجيك من الفتن ما ظهر منها وما بطن .
- اشكري الله على أن أخرجك من الظلمات إلى النور.
- إذا سألت الله الهداية وصدقت معه سهل لك سبلها .
- من كان في قلبه خلل يخشى عليه من الانتكاسة حتى لو أكثر من العبادة .
- طهري قلبك من كل ما يبغضه الله .
- تحصل الألفة والاجتماع بإقامة الدين وتطبيق ما جاء به .
- تحصل الفرقة والاختلاف بعدم تطبيق وإقامة ما جاء به .
- الاستقامة لا تفريط ولا إفراط فكملي نفسك بها .
- ادعي غيرك وكملي غيرك بالدعوة إلى الله .
- أأمري بالمعروف وانهي عن المنكر ولا تأخذك في الله لومة لائم .ادعي في أي مكان .
- الحذر من إتباع الهوى .
- من نواقض الإيمان : الإيمان ببعض الكتب .
- الأعمال المضاعفة : الذكر ،قضاء حوائج الناس ، تربية ، الجلوس على السجادة بعد الصلاة ظ، الولد الصالح ، الموت في الرباط .
- الذي يجادل في الحق بالباطل عليه غضب من الله وعذاب شديد .
- الله لطيف بعباده هداهم للخير ومن لطفه يأمر الملائكة يثبتونهم على الخير ويلقون في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعي لإتباعه .

- ومن لطفه بهم أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم ويحصل منهم لتنافس على الخير والرغبة فيه وإقتداء بعضهم لبعض .
- ومن لطفه بهم أن قيض لعباده المؤمنين كل سبب يعوقهم ويحول بينهم وبين المعاصي حتى أنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة مما يتنافس عليه أهل الدنيا تقطعهم عن عبادته أو تحملهم على الغفلة أو على معصيته صرفها عنهم وقدر عليهم رزقهم .
- من خاف في الدنيا عمل وأمن في الآخرة والعكس .
- لا يجتمع في القلب خوفان وآمنان .
- اسألي الله التوبة النصوح .
- غلبي الرجاء عند فعل الطاعات وغلبي الخوف عند فعل المعصية .
- اسألي الله تجديد الإيمان في قلبك .

المقطع الثاني من الآية (٢٣) إلى الآية (٥٣):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٢٠ – ٢٦) حتمية الجزاء للمؤمنين والظالمين، وقبول التوبة. لما بيّن سبحانه كونه لطيفاً بالعباد، كثير الإحسان إليهم، أشار إلى أن الإنسان ما دام في هذه الحياة فعليه أن يسعى في طلب الخيرات لأسباب السعادة فقال: "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه".

الآيات (٢٧ – ٣٥) مظاهر حكمة الله وآياته الدالة على قدرته.

الآيات (٣٦ – ٤٣) صفات المؤمنين المستقيمين. لما عُلم أن جميع النعم من الغيث وأثاره، ومن نشر الدواب براً وبحراً بمعرض من الزوال وهو عظيم التقلبات هائل الأحوال سبب عنه قوله محقراً لدنياهم وما فيها من الزهرة بسرعة الذبول والزوال، والأفول والارتحال، وبأنهم لا قدرة لهم على شيء منها، وليس لهم من أنفسهم إلا العجز، فلو عقلوا لعلموا، ولو علموا لعملوا عمل العبيد، وأطاعوا القوى الشديدة.

الآيات (٤٤ – ٤٦) مشهد يصور حال أهل النار. بعد هذا الحديث عن المؤمنين وعن صفاتهم الكريمة، وعما أعده سبحانه لهم من ثواب، جاء الحديث عن الظالمين وما أعد لهم من عقاب، وأمرهم سبحانه بالاستجابة لدعوة الحق من قبل أن يأتي يوم الحساب، الذي لا ينفعهم فيه شفيع أو نصير.

الآيات (٤٧ – ٥٠) الأمر بالاستجابة لله والاستسلام لحكمته.

الآيات (٥١ – ٥٣) الوحي وأقسامه. تختم السورة الكريمة بالحديث عن الوحي وعن القرآن كما بدأت به في مطلع السورة ليتناسق الكلام في البدء والختام.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر واجعل لنا سريرة بيننا وبينك لا يعلمها إلا أنت ، وارزقنا الحسنات الجاريات..
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)
عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به)صححه الألباني
ولما خاض مسطح بن أثاثة فيما خاض فيه من حادثة الإفك وأنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح لقرابته وفقره قال أبو بكر رضي الله عنه (والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى

والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)قال أبو بكر:بلى والله إني أحب أن يغفر لي الله.
فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: (والله لا أنزعها منه أبدا)رواه البخاري
ولا شك مثل هذا الخلق الكريم لا يخص الله به إلا الأصفياء النجباء من خلقه .
فعلى المسلم أن يكون له القدوة في الصالحين وأي شيء هو أشر على النفس من قريب فقير تنفق عليه وتحسن إليه وهو يتكلم في عرضك بما يشينه؟ مع ذلك رد أبو بكر رضي الله عنه النفقة وحلف ألا يقطعها عنه أبدا ولا يكون ذلك إلا بصفاء القلب ومحبته للإحسان والعفو والمسامحة .
إن الله تعالى يعامل العبد بمثل ما يعامل به العبد الناس فاعف يعفو الله عنك وأحسن يحسن الله إليك واغفر يغفر الله لك وارحم يرحمك الله فالجزاء من جنس العمل .
وما انتقم أحد لنفسه إلا ذل ،وما انتقم أحد لنفسه إلا خاف،وما انتقم أحد لنفسه إلا ندم.
أشار ابن القيم رحمه الله إلا إن من آذاك حقه أن تعتذر إليه لا تعاقبه وتنتقم منه لأنه ما آذاك وتسلط عليك إلا بسبب ذنب أحدثته(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)فقدر الله أن تكون عقوبتك على يديه فأنت السبب في معصيته فيك.
قال ابن العباس رضي الله عنه:من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو (فأجره على الله)أي أن الله يأجره على ذلك .
قال مقاتل: فكان العفو من الأعمال الصالحة قال تعالى:_(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)
ذكر الله في هذه الآية مراتب العقوبات وأنها ثلاث مراتب :عدل،وفضل،وظلم.
فمرتبة العدل/(جزاء سيئة سيئة مثلها)لا زيادة ولا نقص فالنفس بالنفس وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها .
ومرتبة الفضل/العفو والإصلاح عن المسيء ولهذا قال: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)يجزيه أجرا عظيما وثوابا كثيرا .
وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به فإن الجزاء من جنس العمل .
وأما مرتبة الظلم/(إنه لا يحب الظالمين) الذين يجنون على غيرهم ابتداء أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته فالزيادة ظلم(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- ماهي أكبر البشائر على الإطلاق؟

{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي: هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق، بشر بها الرحيم الرحمن، على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان والعمل الصالح، فهي أجل الغايات، والوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل.

- ما معنى قوله تعالى " إلا المودة في القربى"؟

<u>يحتمل أن المراد:</u> لا أسألكم عليه أجرا إلا أجرا واحدا هو لكم، وعائد نفعه إليكم، وهو أن تودوني وتحبوني في القرابة، أي: لأجل القرابة. ويكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان، فإن مودة الإيمان بالرسول، وتقديم محبته على جميع المحاب بعد محبة الله، فرض على كل مسلم، وهؤلاء طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل القرابة، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد باشر بدعوته أقرب الناس إليه، حتى إنه قيل: إنه ليس في بطون قريش أحد، إلا ولرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه قرابة.

<u>ويحتمل أن المراد</u>: إلا مودة الله تعالى الصادقة، وهي التي يصحبها التقرب إلى الله، والتوسل بطاعته الدالة على صحتها وصدقها، ولهذا قال: {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} أي: في التقرب إلى الله، وعلى كلا القولين، فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجرا بالكلية، إلا أن يكون شيئا يعود نفعه إليهم، فهذا ليس من الأجر في شيء، بل هو من الأجر منه لهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كقوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} وقولهم: "ما لفلان ذنب عندك، إلا أنه محسن إليك"

- كيف تكون زيادة الحسنى لمن أحسن العمل؟

بأن يشرح الله صدره، وييسر أمره، وتكون سببا للتوفيق لعمل آخر، ويزداد بها عمل المؤمن، ويرتفع عند الله وعند خلقه، ويحصل له الثواب العاجل والآجل.

- ما دلالة اجتماع اسمي الله الغفور الشكور؟

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} يغفر الذنوب العظيمة ولو بلغت ما بلغت عند التوبة منها، ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير، فبمغفرته يغفر الذنوب ويستر العيوب، وبشكره يتقبل الحسنات ويضاعفها أضعافا كثيرة.

- {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}

يعني أم يقول المكذبون للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرأة منهم وكذبا: {افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} فرموك بأشنع الأمور وأقبحها، وهو الافتراء على الله بادعاء النبوة والنسبة إلى الله ما هو بريء منه، وهم يعلمون صدقك وأمانتك، فكيف يتجرأون على هذا الكذب الصراح؟

بل تجرأوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله، حيث مكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة ـ على موجب زعمهم ـ أكبر الفساد في الأرض، حيث مكنه الله من التصريح بالدعوة، ثم بنسبتها إليه، ثم يؤيده بالمعجزات الظاهرات، والأدلة القاهرات، والنصر المبين، والاستيلاء على من خالفه، وهو

تعالى قادر على حسم هذه الدعوة من أصلها ومادتها، وهو أن يختم على قلب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يعي شيئا ولا يدخل إليه خير، وإذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله وانقطع.

- ما هو الدليل القاطع على صحة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم؟

فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته، وسنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات، فإن عاقبته الاضمحلال.

- كيف يكون إحقاق الله للحق؟

{وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} الكونية، التي لا تغير ولا تبدل، ووعده الصادق، وكلماته الدينية التي تحقق ما شرعه من الحق، وتثبته في القلوب، وتبصر أولي الألباب، حتى إن من جملة إحقاقه تعالى الحق، أن يُقَيِّضَ له الباطل ليقاومه، فإذا قاومه، صال عليه الحق ببراهينه وبيناته، فظهر من نوره وهداه ما به يضمحل الباطل وينقمع، ويتبين بطلانه لكل أحد، ويظهر الحق كل الظهور لكل أحد.

{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي: بما فيها، وما اتصفت به من خير وشر، وما أكنته ولم تبده.

- ما مدلول كمال كرم الله على عباده؟

بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوبهم ويندمون عليها، ويعزمون على أن لا يعاودوها، إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعد ما انعقدت سببا للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية.

{وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريما، كأنه ما عمل سوءا قط، ويحبه ويوفقه لما يقر به إليه.

ولما كانت التوبة من الأعمال العظيمة، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: {وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير.

- إلى كم قسم انقسم الناس من حيث الاستجابة؟

فانقسموا ـ بحسب الاستجابة لهـ إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}

أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له ويلبون دعوته، لأن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، وهو الغفور الشكور.

وزادهم من فضله توفيقا ونشاطا على العمل، وزادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب والفوز العظيم.

وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به وبرسله، فـ {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الدنيا والآخرة.

- ما الحكمة من عدم بسط الله الرزق لعباده؟

ثم ذكر أن من لطفه بعباده، أنه لا يوسع عليهم الدنيا سعة، تضر بأديانهم فقال: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ}

أي: لغفلوا عن طاعة الله، وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهيه نفوسهم، ولو كان معصية وظلما.

{وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ} بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته {إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: "إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خبير بصير "

{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ} أي: المطر الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، {مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا} وانقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالا، فينزل الله الغيث {وَيَنْشُرُ} به {رَحْمَتَهُ} من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعا عظيما، ويستبشرون بذلك ويفرحون.

س ـ ما دلالة اسمي الله تعالى " الولي الحميد"؟

{وَهُوَ الْوَلِيُّ} الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم. {الْحَمِيدُ} في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال.

[٢٩] {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ}

أي: ومن أدلة قدرته العظيمة، وأنه سيحيي الموتى بعد موتهم، {خَلْقُ} هذه {السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} على عظمهما وسعتهما، الدال على قدرته وسعة سلطانه، وما فيهما من الإتقان والإحكام دال على

حكمته وما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، وذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها، وأن إلهية ما سواه باطلة.

{وَمَا بَثَّ فِيهِمَا} أي: نشر في السماوات والأرض من أصناف الدواب التي جعلها اللّه مصالح ومنافع لعباده. {وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ} أي: جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة {إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} فقدرته ومشيئته صالحان لذلك، ويتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق، وقد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين وكتبهم بوقوعه.

- كيف يكون شؤم المعصية على صاحبها؟

يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو اللّه عنه أكثر، فإن اللّه لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} وليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزا.

- {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} أي: معجزين قدرة اللّه عليكم، بل أنتم عاجزون في الأرض، ليس عندكم امتناع عما ينفذه اللّه فيكم. {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ} يتولاكم، فيحصل لكم المنافع {وَلَا نَصِيرٍ} يدفع عنكم المضار.

- ما هي أدلة رحمته وعنايته بعباده؟

ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده {الْجَوَار فِي الْبَحْرِ} من السفن، والمراكب النارية والشراعية، التي من عظمها {كَالْأَعْلَامِ} وهي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، وحفظها من التطام الأمواج، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك.

ثم نبه على هذه الأسباب بقوله: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ} التي جعلها الله سببا لمشيها، {فَيَظْلَلْنَ} أي: الجوار {رَوَاكِدَ} على ظهر البحر، لا تتقدم ولا تتأخر، ولا ينتقض هذا بالمراكب النارية، فإن من شرط مشيها وجود الريح.

وإن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها، أي: أغرقها في البحر وأتلفها، ولكنه يحلم ويعفو عن كثير.

- من ينتفع بهذه الآيات؟

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط، {شَكُورٍ} في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بآيات الله.

وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نعم الله، فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات.

- كيف زهد الله عباده في الدنيا؟

فقال: {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ} من ملك ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية بدنية. {فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} لذة منغصة منقطعة. {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ} من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، والنعيم المقيم {خَيْرٌ} من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما {وَأَبْقَى} لأنه نعيم لا منغص فيه ولا كدر، ولا انتقال.

- لمن يكون هذا الثواب؟

ثم ذكر لمن هذا الثواب فقال: {لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: جمعوا بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة والباطنة، وبين التوكل الذي هو الآلة لكل عمل، فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام، وهو الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد، ودفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى.

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ} والفرق بين الكبائر والفواحش ـ مع أن جميعهما كبائر ـ أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع إفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه.

{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}

{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِم} أي: انقادوا لطاعته، ولبَّوْا دعوته، وصار قصدهم رضوانه، وغايتهم الفوز بقربه.

ومن الاستجابة لله، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، الدال على شرفه وفضله فقال: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} أي: ظاهرها وباطنها، فرضها ونفلها. {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} من النفقات الواجبة، كالزكاة والنفقة على الأقارب ونحوهم، والمستحبة، كالصدقات على عموم الخلق.

{وَأَمْرُهُم} الديني والدنيوي {شُورَى بَيْنَهُم} أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعا عن اجتماعهم وتوالفهم وتوادهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموما، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ} أي: وصل إليهم من أعدائهم {هُمْ يَنْتَصِرُونَ} لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار.

فوصفهم بالإيمان، وعلى الله، واجتناب الكبائر والفواحش الذي تكفر به الصغائر، والانقياد التام، والاستجابة لربهم، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، ويلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، وانتفاء ضدها.

- ما هي مراتب العقوبات؟

{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}

ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم.

فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.

ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} يجزيه أجرا عظيما، وثوابا كثيرا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به.

وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم.

{وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ} أي: انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه {فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} أي: لا حرج عليهم في ذلك.

- على ماذا دل قوله تعالى " والذين إذا أصابهم البغي"؟

ودل قوله: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ} وقوله: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ} أنه لا بد من إصابة البغي والظلم ووقوعه.

وأما إرادة البغي على الغير، وإرادة ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدب تأديبا يردعه عن قول أو فعل صدر منه.

- على من تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية؟

إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية {عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وهذا شامل للظلم والبغي على الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: موجع للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم.

- ما جزاء من صبر على البغي والظلم؟

{وَلَمَنْ صَبَرَ} على ما يناله من أذى الخلق {وَغَفَرَ} لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم، {إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} أي: لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر.

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه.

- كيف يكون حال الظالمين إذا رأوا العذاب؟

وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} مرأى ومنظرا فظيعا، صعبا شنيعا، يظهرون الندم العظيم، والحزن على ما سلف منهم، و {يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل، وهذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن.

{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} أي: على النار {خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ} أي: ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم، {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} أي: ينظرون إلى النار مسارقة وشزرا، من هيبتها وخوفها.

{وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا} حيث ظهرت عواقب الخلق، وتبين أهل الصدق من غيرهم: {إِنَّ الْخَاسِرِينَ} على الحقيقة {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} حيث فوتوا أنفسهم جزيل الثواب، وحصلوا على أليم العقاب وفرق بينهم وبين أهليهم، فلم يجتمعوا بهم، آخر ما عليهم. {أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ} أنفسهم بالكفر والمعاصي {فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ} أي: في سوائه ووسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبدا، ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

{وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} كما كانوا في الدنيا يمنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم ولغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت، وأنه حين جاءهم عذاب الله لم يدفع عنهم. {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ} تحصل به هدايته، فهؤلاء ضلوا حين زعموا في شركائهم النفع ودفع الضر، فتبين حينئذ ضلالهم.

- هل الأمل أمر ممدوح ومرغوب؟

يأمر تعالى عباده بالاستجابة له، بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت، وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت ربه، ويهرب منه. وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات.

- كيف يكون حال الإنسان عند حلول النعم؟

ثم ذكر تعالى حالة الإنسان، وأنه إذا أذاقه الله رحمة، من صحة بدن، ورزق رغد، وجاه ونحوه {فَرِحَ بِهَا} أي: فرح فرحا مقصورا عليها، لا يتعداها، ويلزم من ذلك طمأنينته بها، وإعراضه عن المنعم.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أي: مرض أو فقر، أو نحوهما {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} أي: طبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة.

- {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}

هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره تعالى، من عمومه، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء.

فمن الخلق من يهب له إناثا، ومنهم من يهب له ذكورا، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورا وإناثا، ومنهم من يجعله عقيما لا يولد له.

{إِنَّهُ عَلِيمٌ} بكل شيء {قَدِيرٌ} على كل شيء، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته.

- كيف رد الله على الكافرين الذين قالوا لولا يكلمنا الله ؟

لما قال المكذبون لرسل الله، الكافرون بالله: {لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} من كبرهم وتجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، وأن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه الأوجه.

إما أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ وَحْيًا بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها.

{أَو} يكلمه منه شفاها، لكن {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن.

{أَو} يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فـ {يُرْسِلَ رَسُولًا} كجبريل أو غيره من الملائكة.

{فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ} أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه، {إِنَّهُ} تعالى علي الذات، علي الأوصاف، عظيمها، علي الأفعال، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات. حكيم في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات والشرائع.

- لماذا سمى الله القرآن روح ؟

هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير.

وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: {مَا كُنْتَ تَدْرِي} أي: قبل نزوله عليك {مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان

وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب الذي {جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم.

{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي: تبينه لهم وتوضحه، وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه، ثم فسر الصراط المستقيم فقال: {صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} أي: ترجع جميع أمور الخير والشر، فيجازي كُلًّا بحسب عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

لمسات بيانية:

آية (٢٤):

***ما دلالة تنكير الكذب أو تعريفه؟(د.فاضل السامرائى)**

نكّر الكذب ليشمل كل كذب عام لأن المعرفة ما دلّ على شيء معين. الكذب يقصد شيئاً معيناً بأمر معين هنالك أمر في السياق يقصده فذكر الكذب، فلما يقول الكذب فهو كذب عن أمر معين بالذات مذكور في السياق أما عندما يقول كذب فيشمل كل كذب مثل قوله تعالى (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِـلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) آل عمران) الكلام عن الطعام، أمر معين، هو حرّم على نفسه وكذب على الله وقال حرّم كذا قال فاتوا بالتوراة في هذه المسألة مسألة الطعام فقال (فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ) لأن الكذب في مسألة معينة محددة. هذا التعريف.

***ما اللمسة البيانية في استخدام حروف الجر في القرآن (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (٢٥) الشورى) ولم يقل من عباده؟(د.فاضل السامرائى)**

ربنا تعالى مرة استعمل (عن) ومرة استعمل (من)، (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (٢٥) الشورى) (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (١٠٤) التوبة) ومرة قال (تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ (٩٢) النساء) إذن مرة استعمل عن ومرة استعمل من. لما يقترن بالعباد يعني التوبة الصادرة عن عباد وهو يتجاوز عنهم ويعفو عنهم لذلك قال بعضهم هو نوع من التجاوز يعني يتجاوز عن عباده ويعفو عنهم، يقبل التوبة عنهم أي يعفو عنهم بهذا المعنى وقسم قال الصادرة عن عباده. أو التوبة عن عباده أي يعفو عنه من باب التضمين تاب عنه أي عفا عنه هذا من باب التضمين تضمين فعل دلالة فعل آخر. (من) مع الجهة التي تتوب أي مع الله هو الذي يتوب، توبة من الله أي هو التائب، عن العباد هم يتوبون وهذه (من الله) هو الذي يتوب الجهة التي تقبل التوبة،

يستعمل من مع الجهة التي تقبل التوبة فيقول (تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ (٩٢) النساء) يتوب عنهم أي يعفو عنهم والتوبة من الله.

آية (٢٩):

***(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ (٢٩) الشورى) كلمة فيهما هل تدل على أن هناك دواب في السموات أو الكون ؟(د.فاضل السامرائى)**

نعم . القدامى قالوا أن هذه الآية تدل على ذلك، قالوا تدل على وجود دواب والدابة هو كل حيوان له حركة وقسم فسرها على أنها الملائكة وقالوا أن هناك فعلاً في مكان ما في السموات فيه دواب وهكذا نص القرآن والدابة هو كل حيوان له دبيب وحركة، يجوز أن يكون هناك مخلوقات في السموات والأرض والآية تدل على ذلك والقدامى فهموا ذلك ولا ندري إذا كان هناك حيوانات في مكان آخر في السموات.

آية (٣٠):

***في الحديد قال تعالى(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ) وفي الشورى (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ (٣٠))ما الفرق بينهما؟(د.فاضل السامرائى)**

(أصاب) مطلق لم يقيدها بمصاب معين، (ما أصاب) لا قيّدها في مكان ولا في شخص، بينما (ما أصابكم) هناك مخاطبين لا تتعلق بالأرض فهي للمخاطبين تحديداً لأنه قال (فبما كسبت أيديكم) لما قال فبما كسبت أيديكم خصصها فذكر المصائب التي تصيبنا بما كسبت أيدينا، لما قال ما أصابكم عندما خصص قال بما كسبتم أيديكم لما خصص خصص وفي الثانية أطلق فقال أصاب لم يقل بما كسبت أيديكم (ما أصاب) وعندنا في آية أخرى في التغابن (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (١١)). (ما أصابكم) خاصة و(ما أصاب) عامة مطلقة.

آية (٣١):

*** ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة السماء في آية سورة العنكبوت وعدم استخدامها في آية سورة الشورى؟(د.فاضل السامرائى)**

الكلام في سورة هود متعلق بالآخرة وبمحاسبة أهل الأرض أما السياق في سورة الشورى ففي الكلام على نعم الله تعالى في الأرض وفي شؤون أهل الأرض (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩)) أما السياق في سورة العنكبوت ففي الدعوة إلى النظر والتدبر في العلم والبحث (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩)) وهذا هو الذي يوصل إلى السماء، سيكون البحث والنظر والتدبر للعلم .

***متى تستعمل (مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (١٢٠) البقرة) ومتى (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) الشورى)؟ (د.فاضل السامرائى)**

(من دون الله) يعني من غير الله، أما من الله أي ليس لكم ولي من الله ينصركم، لم يهيء أحداً ينصركم ليس هنالك نصير من الله ينصركم، نصير من الله لم يهيء لكم نصيراً أولياً ينصركم من الملائكة أو من غير الملائكة لكن يهيئه الله تعالى من جهته. أما من دون الله فتعني من غير الله، إذن المعنى مختلف تماماً. ليس لكم من الله وليّ يعني ليس لكم من جهته وليّ، لم يهيء لكم وليّ.

آية (٤٣):

***ما الفرق بين قوله تعالى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) الشورى) و (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) لقمان)؟**

د.فاضل السامرائى :

في لقمان قال (إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وفي الشورى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) زاد المغفرة على الصبر. أيها الأصعب على الإنسان أن يصبر أو يصبر يغفر إذا أُوذي؟ أن يصبر ويغفر أصعب لذلك أكّد (إن ذلك لمن عزم الأمور) لما زاد الثقل على الإنسان أكّد وقال (إن ذلك لمن عزم الأمور) أما في لقمان كان صبراً فقط. لما صبر وغفر أكّد باثنين (إنّ واللام) وفي لقمان صبر واحد فأكّد بواحد (إنّ).

لو لاحظنا الآيات قبل هذه لوجدنا أن في سورة لقمان جاءت الآية (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) سورة لقمان أما في سورة الشورى (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) آية ٤٣ وهنا ورد ذكر أمرين الصبر والغفران وهما أشدّ من الصبر وحده التي وردت في سورة لقمان فكانت الحاجة لتوكيد الأمر باستخدام لام التوكيد والقسم في كلمة (لمن) لأنه أشقّ على النفس. فالصبر قد يقدر عليه كثير من الناس لمن أن يصبر ويغفر هذا بالطبع لا يقدر عليه الكثيرون ويحتاج إلى مشقة أكبر لذا اقتضى توكيد الأمر بأنه من عزم الأمور مؤكداً بخلاف الصبر وحده الذي ورد في سورة لقمان.

آية (٤٨):

***ما الفرق بين (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا (٥٠) فصلت) و(وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً (٤٨) الشورى) وما دلالة استعمال (لئن) و(إذا)؟ (د.فاضل السامرائى)**

نعرف الفرق بين (إذا) و(إن). إذا تستعمل فيما هو كثير وفيما هو واجب و(إن) لما هو أقلّ عموم الشرط وقد يكون آكد وقد يكون مستحيل وقد يكون قليل، هذه القاعدة. الكثير نستعمل له (إذا) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ (٦) المائدة) الجُنُب أقل، (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ (٢٥) النساء) كل البنات محصنات .(إذا) إما للمقطوع به أو كثير الوقوع (وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ

مِنْهَا (٨٦) النساء) (إن) تستعمل لما هو أقل أولما هو نادر أو لما ليس له وجود أصلاً. (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ (٢١) يونس) عموم الناس قد تصبهم رحمة. رحمة الله تعالى تصيب عموم الناس، وإذا مس الناس الضر دعوا ربهم، إذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها، هذا كثير. (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) هذا واحد، (ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ) هذه حالة أقل من الأولى، هذه حالة تربية (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ) هذه فردية وليس فقط فردية وإنما يذيقه رحمة وينزعها منه. (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ (٥٠) فصلت) (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) هود) هذه حالة فردية أما تلك فحالات عامة. في الحالة الفردية يستعمل (إن) وفي الحالة المطلقة يستعمل (إذا). حتى لما يذكر الصفات قال (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) هود) تصبهم عام، ولئن أذقنا الإنسان هذه أقل. فالحالات الفردية القليلة يستعمل لها (إن) وفي الحالات العامة يستعمل (إذا).

***ما الفرق بين بما قدمت أيديكم وبما كسبت أيديكم ؟(د.فاضل السامرائى)**

التقديم أن تعطي وتقدم مما عندك أما الكسب فأن تجمع وتأخذ بنفسك. ننظر كيف يستعمل القرآن قدمت وكسبت: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) الروم) قبلها ذكر كسباً غير مشروع (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) الروم) هذا كسب فقال بما كسبت أيديكم كسب وليس تقديم. آية الشورى (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)) قبلها ذكر كسب وسوء تصرف (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)) هذا كسب فقال كسبت. آيات التقديم ليست في سياق الكسب مثال (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) الروم) قبلها قال (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)) ليس فيها كسب. (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) الشورى) ليس فيها كسب، (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) آل عمران) كأن هذا الكلام مقدم من قِبَلهم، (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١) الأنفال) التقديم لما فعلتم وقدمتم لآخراكم لكن الكسب يكون في نطاق الكسب والاستحواذ.

***ما الفرق بين الرأفة والرحمة ؟(د.فاضل السامرائى)**

الرأفة أخصّ من الرحمة والرحمة عامة. الرأفة مخصوصة بدفع المكروه وإزالة الضرر والرحمة عامة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) الأنبياء)، (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا (٦٥) الكهف) ليست مخصوصة بدفع مكروه. تقول أنا أرأف به عندما يكون متوقعاً أن يقع عليه شيء. الرحمة عامة (وَإِنَّا

إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا (٤٨) الشورى) فالرحمة أعمّ من الرأفة. عندما نقول في الدعاء يا رحمن ارحمنا هذه عامة أي ينزل علينا من الخير ما يشاء ويرفع عنا من الضر ما يشاء وييسر لنا سبل الخير عامة.

***ما الفرق بين المسّ والإذاقة في القرآن؟(د.فاضل السامرائى)**

الذوق هو إدراك الطعم والمسّ هو أي إتصال و يأتي مع الشر و يأتي مع الرحمة أيضاً (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) المعارج) (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ (١٢٠) آل عمران) (وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ (١٧) الأنعام) وكذلك الإذاقة تأتي مع العذاب ومع الرحمة (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) السجدة) (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا (٤٨) الشورى) (وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩) الفرقان) ليس هنالك تقييد في الاستعمال.

آية (٤٩-٥٠):

***قال تعالى (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) الشورى) لماذا إناثاً نكرة والذكور معرفة ولماذا استعمال ذكراناً وليس ذكوراً؟ (د.فاضل السامرائى)**

القرآن يستعمل كلمة ذُكران فيما هو أقل من الذكور من حيث العدد كما يستعمل العميان أقل من حيث العدد من العُمي (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ (١٨) البقرة) هذا عموم الكافرين بينما العميان هو قالها في وصف المؤمنين (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) الفرقان) لأن المؤمنين هم أقل من الكافرين (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) يوسف) فلما ذكر المؤمنين قال عمياناً ولما يذكر الكافرين يقول عمي. هنا قال يهب لمن يشاء إناثاً وحدهم أو يهب لمن يشاء الذكور وحدهم أو يخلطهم (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا). أيها الأكثر أن تلد المرأة ذكوراً وحدهم أو ذكوراً وحدهم من حيث عدد الذكور؟ أن تلد ذكوراً فقط أو ذكور وإناث؟ ذكور فقط فلما أفردهم قال ذكور (وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ) ولما يخلطهم يصبح العدد أقل فقال ذكراناً (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) يخلطهم بنين وبنات فيكون البنين أقل. يبقى التنكير والتعريف العرب تحاول أن تستر حتى أعلام الإناث لا تذكرها بينما تذكر الذكور. حتى عندما تسأل أحدهم تقول له كيف أحمد؟ كيف فلان؟ لكن لما تسأله كيف ليلى؟ لا يقبلها، تسأله عن أبيه لكن لما تسأله عن اسم أمه يغضب. إذن العرب تذكر الذكور ولا تكاد تذكر الإناث لذلك عرّف الذكور ولم يعرف الإناث حتى المرأة في الغرب تُنسب لزوجها ولا تُنسب لأمها.

***ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (إناثاً) منكّرة ومقدمة على كلمة (الذكور) في سورة الشورى؟(د.فاضل السامرائى)**

قال تعالى في سورة الشورى (لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ {٤٩} أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ {٥٠}). سورة الشورى عموماً هي في مستكرهات الأمور أي فيما يشاؤه الله تعالى لا ما يشاؤه الإنسان (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ {٣٠}) وقوله تعالى: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {٤٣}) وكذلك

قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ {٤٨}) (فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٣٦}). وعند العرب الإناث مما يُستكره من الأمور كما في قوله تعالى (وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى) وقوله تعالى (ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون). إذن تنكير الإناث وتقديمهم على الذكور جاء للأسباب التالية:

١. الله سبحانه يهب ما يشاء هو لا ما يشاء الناس.
٢. التقديم فيه أمر آخر وهو أن الإحسان إليهن ستر من النار.
٣. التقديم له دلالة أخرى وهي أن الإناث ألصق بالأبّ من الذكور، فالذكر تنتهي رعايته عند البلوغ إنما البنت فلا بد من وجود قيّم عليها من الذكور (أبوها أو أخوها هي في بيت أهلها ثم زوجها بعد أن تتزوج).
٤. تعريف الذكور تنكير الإناث: هناك قاعدة عامة عند العرب سجّلها أهل اللغة مفادها أن العرب لا يذكرون أسماء الإناث وينكّرونها عن التحدث فنسأل (كيف الأهل؟ ولا نقول كيف أختك فلانة أو ابنتك فلانة) أي لا يُصرّح باسم الإناث. لأن العرب يصونون بناتهم وإناثهم عن الذكر بخلاف الذكور حتى في الغرب ينسبون المرأة إلى زوجها.
٥. والذكور من المعارف وإناث من التنكير (جاري بحسب طبيعة العرب صوناً للإناث) وليس من باب الحظوة أو تفضيل الذكور على الإنسان كما يفهمها البعض.

الوصايا العملية:

- أعظم بشارة لأهل الإيمان والعمل الصالح قوله تعالى (ذلك الذي يبشر عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات .
- تقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع المحاب بعد محبة الله فرض على كل مسلم .
- مودة العبد لله الصادقة هي التي يصاحبها التقرب إلى الله والتوسل بطاعته الدالة على صحتها وصدقها .
- الحسنات سبب زيادة الإيمان الوضوء فالصلاة فقراءة القرآن.
- الحسنة تقول أختي أختي فأكثري من الحسنات .
- الله يشكر على العمل القليل بالأجر الكثير .
- أحذري السيئات فجزاء سيئة عمل سيئة بعدها .
- من سنة الله أن يمحو الباطل وإن كان له صولة وجولة ويحق الحق بكلماته .
- الله يوفق العبد للتوبة فيتوب ويقبل توبته وهذا من رحمته .
- التائب من الذنب كريم عند الله .
- التوبة عمل عظيم إذا كانت كاملة الإخلاص وصادقة فيها فاسألي الله العفو من الذنوب
- إذا كان العمل صالح وخالص فتح الله لك الخير وزاد البركة .

- أعظم الذنوب الكذب والافتراء على الله .
- أحسني الظن بالله فكان السلف يغطون زرعهم من حسن ظنهم بالله أن المطر سينزل .
- احمدي الله على ما يقدر لك .
- ما أصاب مصيبة في المال والولد والبدن وغيرها إلا بما كسبت الأيدي .
- لا تفرحي بما عندك مال ، حسب ، نسب فهو زائل .
- تذكري أي لذة في الدنيا تنسينها : سياحة ، نزهة ، اجتماع ،فأما لذة الطاعة فلا تنسى حج ، عمرة ، صلة رحم .
- كل عمل لا يصحبه توكل فهو ناقص .
- بالتوكل على الله يعينك على الطاعة والطاعة ويجلب لك المنفعة .
- إذا كظمت غيظك وحلمت سهل عليك العفو .ما زاد الله عبدا عفوا إلا عزا .جاهدي نفسك على العفو
- استجيبي لله بإقامة الصلاة والإكثار من النفقات الواجبة والمستحبة .
- لا تكوني مستبدة في رأيك اجتمعوا وتشاوروا .
- اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة .
- كل من آلم الناس فله جزاء من جنس العمل عذاب أليم .
- الصفح عن الخلق والصبر على أذاهم لا يوفق لها إلا ذو الهمم وذوا الألباب والبصائر فإن ترك الانتصار للنفس بالقول والفعل من أشق شيء على النفس فإذا ذاق العبد حلاوته ووجد آثاره تلقى بصدر رحب .
- لا ينفع الظالم تحسره يوم القيامة .
- يتحسر المؤمن يوم القيامة على فوات بعض العبادات مثل : ترديد الآذان ، دعاء يوم الجمعة .
- لا ينفع الإنسان يوم القيامة إلا إخلاصه .
- بادري باغتنام أوقات الفراغ بالعمل الصالح قبل الانشغال أو المرض أو الكبر أو الموت .
- ذم الأمل والتسويف فهو الذي يفوت الطاعة .
- كوني منتزهه للفرص من صدقة نصيحة ، ركعة ، آية .
- بلغي الدعوة استجابوا أم أعرضوا فالله يحصيها وأجرك عليه .
- إذا لم ترزقين بأولاد فالله عليم يعلم ما يناسبك فادعي الله فلا يعجزه شيء .
- لا يقذف الله القرآن إلا في قلوب عباده المؤمنين وخاصة خلقه .
- الدين هو الصراط الذي يوصلك لدار جنته .
- حملة القرآن هم أهل الله وخاصته .
- التقديم لنفسك نعمة أعطاك الله إياها .
- الكسب هو الذي تجمعينه فاحرصي على جمع ما يرضي الله .

تناسب فواتح سورة الشورى مع خواتيمها:

قال في بداية سورة الشورى (حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)) هذه بدايتها، وقال فى آخرها (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)) ثم يقول (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)). نلاحظ في البداية قال (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)) وفي النهاية (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) بدأت بالوحي وانتهت بالوحي. (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) وفي آخرها (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)) في الأول قال (له ما في السموات وما في الأرض) وفي آخرها (الذي له ما في السموات وما في الأرض). خاتمة الآية الثانية (وهو العلي العظيم) وفي النهاية (ألا إلى الله تصير الأمور)، العلي العظيم إليه تصير الأمور، إذن مرتبطة في الوحي وله ما في السموات وما في الأرض وفي صفات الله سبحانه وتعالى.

|●| نهاية سورة الشورى |●|

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الزخرف ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـورة الزخرف

بين يدي السورة:

سميت سورة الزخرف بهذا الاسم لما فيها من التمثيل الرائع لمتاع الدنيا الزائل وبريقها الخادع.

فضلها: هذه السورة الكريمة من المثاني.

سورة مكية.

محور السورة: بما أنها سورة مكية فقد تناولت أسس العقيدة الإسلامية وأصول الإيمان: (الإيمان بالله وحده، وبالرسالة، وبالبعث والجزاء).

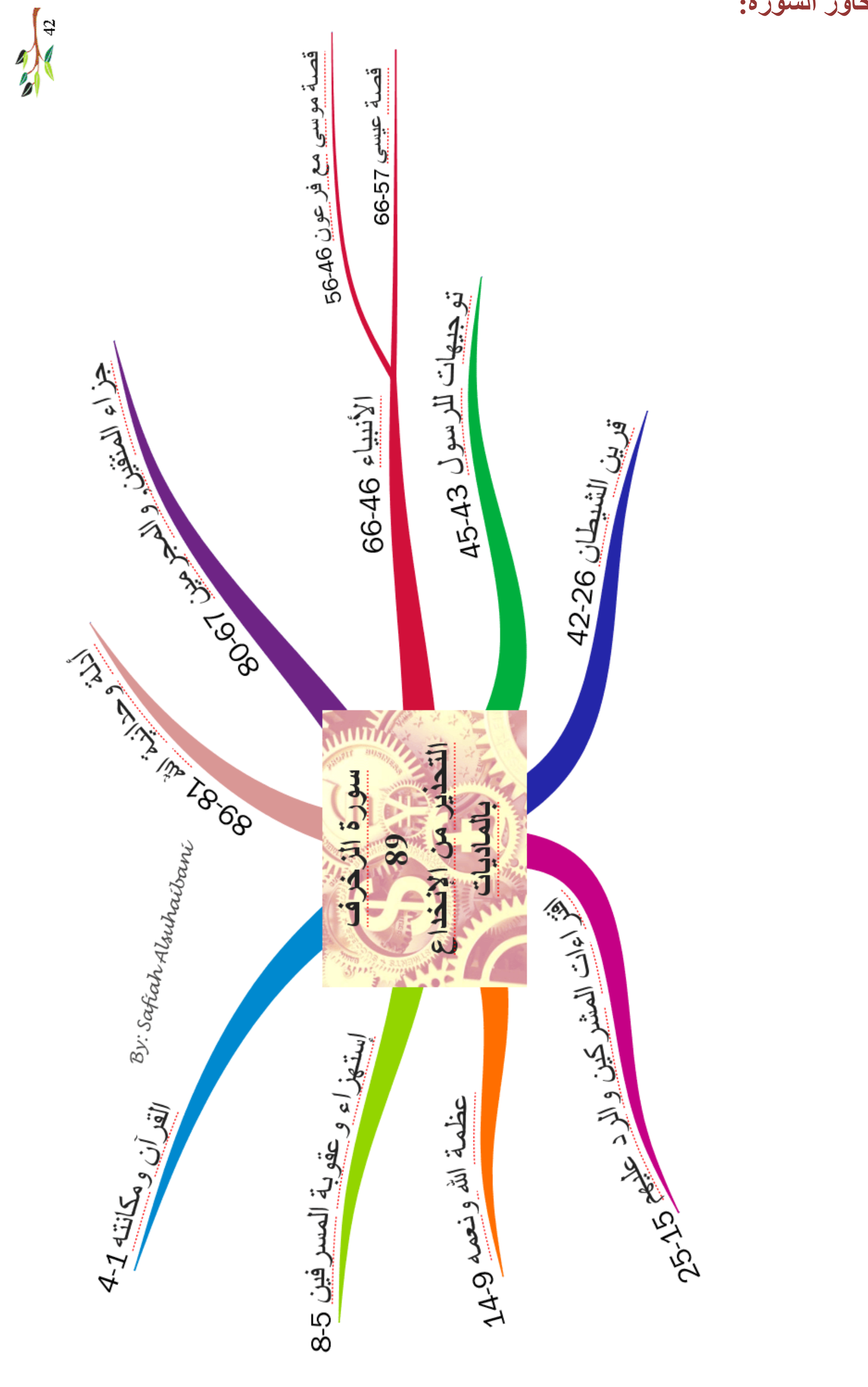
المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

الصلة قوية وواضحة بين مطلع سورة الزخرف وخاتمة السورة التي قبلها (الشورى) ففي نهاية سورة الشورى حديث عن القرآن الكريم "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم" وفي مطلع سورة الزخرف حديث عن القرآن أيضاً "حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون * وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم".

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- في سورة الزخرف والشورى حديث عن القرآن الكريم.
- في السورتين حديث عن جزاء المؤمنين ومصير الكافرين.
- في السورتين حديث عن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته.

محاور السورة:



المقطع الأول من الآية (١) إلى الآية (٣٣):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (١ – ٨) مكانة القرآن الكريم، وعاقبة المستهزئين بالمرسلين. افتتحت السورة بالحديث عن إثبات مصدر الوحي، وصدق هذا القرآن الذي أنزله الله على النبيّ الأمي بأفصح لسان، ليكون معجزة واضحة للنبي العربي.

الآيات (٩ – ١٤) إقرار المشركين بربوبية الله. لما كان التقدير: ولئن سألتهم عمن سمعوا بخبره ممن ذكرناهم من الأولين المهلكين ليعترفن بما سمعوا من خبرهم، عطف عليه هذا الكلام مبيناً لجهلهم بوقوعهم في التناقض مؤكداً له، لما في اعترافهم به من العجب المنافي لحالهم؛ فقال: ولئن سألتهم أيضاً عما هو أكبر من ذلك وأدل على القدرة وجميع صفات الكمال فقلت لهم: "من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم".

الآيات (١٥ – ٢٥) ضلال المشركين في عبادتهم وتصورهم. لما ذكر تعالى اعتراف المشركين بأن خالق السماوات والأرض هو رب العالمين، ذكر بعده ما يدل على سفههم وجهلهم في عبادة غير الله.

الآيات (٢٦ – ٣٥) حكمة الله في اختيار رسله، وتقسيم رزقه. لما حكى القرآن الكريم عن المشركين تقليدهم الأعمى للآباء، ذكر هنا إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام، الذي يفتخر به العرب وينتسبون إليه، وتبرأه من قومه ومن عبادة الأوثان، وذلك للمقارنة بين الهدى والضلال، وبين منطق العقل السديد ومنطق الهوى والتقليد.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات ..
طبيعة المرأة منذ أول نشأتها في عهد الطفولة حتى تبلغ وتصبح مسئوله عن أسرة إذ تظل طبيعتها كما هي لا تتغير ولا تتبدل تنعم بالترف والرفاهية تغريها الحلية والزينة مهما بلغت من العفة ومهما بلغت من التقوى لله تحب الزينة والحلية والترف والتنعيم لأنهن لسن رجالا ،فالرجال أقوياء أشداء يقومون بالمهام الصعبة بينما المرأة تلك القارورة التي إذا حملت بما لا تطيق انكسرت ،كما أشار لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (رفقا بالقوارير)
لا شك أن الطبيعة الخاصة للمرأة تتلاءم مع وظيفتها التي خلقها الله لها.
فالمرأة لها دور أساسي في تعمير هذا الكون ولكن هذا الدور غير مباشر .
وأيضا لها دور في تكوين المجتمع ومسئولة عن بيتها ولها بنيتها وطبيعتها وخلقتها تناسب دورها في المجتمع.
فهي تختلف عن الرجل في طبيعتها ،فلكل منهما دوره المناسب له في المجتمع.

وبما أن المرأة مجبولة على حب الزينة لكن ينبغي لها أن لا تكون شغلها الشاغل ،فمن النساء من تتعمق في عالم التجميل وتعرف الدقيق من أسراره وتضيع الوقت الطويل في هذا المجال ولو سئلت عن أمور دينها فهي لا تفقه شيئا ،مقصرة في أمور دينها.
بل ربما تخوض في أمور محرمة في التجميل فلتتق الله وتحرص على طاعة ربها ،فهذا ليس معناه أن لا تتجمل بل تعتدل وتتوسط وتجمع بين الزينة الظاهرية والباطنية ،ندعوها أن تكون جميلة بأخلاقها ،جميلة بحجابها ،جميلة بطاعة ربها.
قال تعالى: (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)
سنتدارس هذه الآية اليوم بإذن الله في تدارسنا.

-تمهيد آخر:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..
اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا هدى و تقى وعلما ..
اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات ..
طبيعة الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت في مواهب الأفراد ،وهذا التفاوت ضروري لتنوع الأدوار المطلوبة للخلافة في هذه الأرض .
ولو كان جميع الناس نسخا مكررة ما أمكن أن تقوم الحياة في هذه الأرض بهذه الصورة ،ولبقيت أعمال كثيرة جدا لا تجد لها مقابل من الكفايات ،والذي خلق الحياة وأراد لها البقاء والنمو خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة تفاوت الأدوار المطلوبة ،وعن هذا التفاوت في الأدوار يتفاوت الرزق ،هناك طبيب وهناك ممرض،وهناك معلم ثانوي،وهناك معلم وأستاذ في الجامعة، فالدنيا مراتب قال تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض سخريا)
فحتى مراتب الدنيا بمقياس البشر هي بقسمة الله عز وجل .
السُخرية من السُخرة ،فهناك من له وسامة وهناك من له ذكاء ،وآخر من عنده ذاكرة قوية وإنسان مهاراته حركية وآخر مهاراته عقلية ،فهناك تنوع وليس معنى هذا أن الأقل هو الأقل عند الله أبدا،قال تعالى: (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)كي تنتظم الحياة ،لو أن الناس جميعا في مستوى عقلي واحد ما خدم أحد آخر فالمرأة لو كانت بعقل الرجل لما رضيت أن تكون زوجة له ،لكن طبيعتها وعقليتها ونفسيتها وبيئتها مهيأة لتكون زوجة .
مثل عامل النظافة ....
فهذه مراتب الدنيا فكيف بمراتب الآخرة ،قال تعالى: (ورحمة ربك خير مما يجمعون)
مهما جمعنا من الأموال سنموت ونتركها وننقلب إلى الله عز وجل صفر اليدين إلا من عمل صالحا .
إذا فالدنيا لها مراتب والآخرة لها مراتب فمراتب الآخرة بحسب طاعة الله والإخلاص له والتوحيد والحب له .
أما مراتب الدنيا فقوامها المال والقوة والوسامة والذكاء والنسب والحسب والشكل والهندام والبيت ،والزوجة متاع الحياة الدنيا .
فالقوي يموت والضعيف يموت والوسيم يموت والذميم يموت والمريض يموت والصحيح يموت كلهم إلى الموت ولا يبقى إلا ذو الجلال والإكرام .
فالدنيا زائلة والعبرة أن يكون لك عند الله منزلة وأن تكون في ظل الله تعالى وأن تكون في رعاية الله ،والعاقبة للمتقين .

قال تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)
سنتدارس بإذن الله هذه الآية في تدارسنا اليوم .

فوائد وأسئلة تدبرية:

[١- ٥] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ * أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ}

- س – ما نوع القسم ؟

هذا قسم بالقرآن على القرآن.

- س – ما دلالة إطلاق وصف المبين ؟

فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة.

- ما هو المقسم عليه ؟

{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} هذا المقسم عليه، أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه.

- س- ما الحكمة من جعل القران عربيا ؟

وذكر الحكمة في ذلك فقال: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان.

- س- ما منزلة القران في الملأ الأعلى ؟

{وَإِنَّهُ} أي: هذا الكتاب {لَدَيْنَا} في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها

- س – ما دلالة {لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} ؟

أي: لعلي في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان.

- س – ما سنة الله وحكمته في خلقه ؟

ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله يقتضي أن لا يترك عباده هملا، لا يرسل إليهم رسولا، ولا ينزل عليهم كتابا، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال:

- س - هل من الحكمة ترك المعرض بدون إنزال الكتب ؟

{أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا} أي: أفنعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم، ونضرب عنكم صفحا، لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم له؟ بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم، فهو من توفيقكم، وإلا قامت عليكم الحجة، وكنتم على بينة من أمركم.

[٦ـ ٨] {وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ}

- س – سنة الله في الخلق ؟

يقول تعالى: إن هذه سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملا، فكم {أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ} يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ولم يزل التكذيب موجودا في الأمم.

- س – ما موقف الأمة من الرسل ؟

{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} جحدا لما جاء به، وتكبرا على الحق.

- س – ما عاقبة المكذبين ؟

{فَأَهْلَكْنَا أَشَدّ} من هؤلاء {بَطْشًا} أي: قوة وأفعالا وآثارا في الأرض، {وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ} أي: مضت أمثالهم وأخبارهم، وبينا لكم منها ما فيه عبرة ومزدجر عن التكذيب والإنكار.

[٩ـ ١٤] {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}

- س – هل يؤمن المشركين بتوحيد الربوبية ؟

يخبر تعالى عن المشركين، أنك لو {سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ} الله وحده لا شريك له، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وأوائلها وأواخرها، فإذا كانوا مقرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد والصاحبة والشريك؟! وكيف يشركون به من لا يخلق ولا يرزق، ولا يميت ولا يحيي؟!

- س – ما الآيات التي تدل على وجوب توحيد الله ؟

ثم ذكر أيضا من الأدلة الدالة على كمال نعمته واقتداره، بما خلقه لعباده من الأرض التي مهدها وجعلها قرارا للعباد، يتمكنون فيها من كل ما يريدون.

- {وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا} أي: جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة، تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار. {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} في السير في الطرق ولا تضيعون، ولعلكم تهتدون أيضا في الاعتبار بذلك والادكار فيه.

- س – كيف يكون مقدار إنزال المطر ؟

- {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ} لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضا بمقدار الحاجة، لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر العباد والبلاد، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، ولهذا قال: {فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا} أي: أحييناها بعد موتها، {كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} أي: فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم.

- {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} أي: الأصناف جميعها، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحر وبرد، وذكر وأنثى، وغير ذلك.

- {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ} أي: السفن البحرية، الشراعية والنارية، مَا تَرْكَبُونَ {و} من {الأنعام ما تركبون لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ}

وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، أي: لتستقروا عليها، {ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك،

- س – ما دعاء ركوب الدابة ؟

ولهذا قال: {وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذللها ويسر أسبابها.

- ما الهدف من ذكر هذه النعم ؟

والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد.

[١٥ـ ٢٥] {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي

قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}

- س – ما موقف المشركين من آيات الله تعالى ؟

يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، و

- ما الأوجه التي تدل على بطلان قول المشركين ؟

إن ذلك باطل من عدة أوجه:

- منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

- ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بأن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

- ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

- ومنها: أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك {إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا} من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

- س – ما طبيعة الأنثى ؟

- ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ} أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ {وَهُوَ فِي الْخِصَامِ} أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، {غَيْرُ مُبِينٍ} أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

- ومنها: أنهم جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الله إِنَاثًا، فتجرأوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

- ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

- س – ما حجتهم في عبادة الملائكة ؟ هل حجتهم صحيحة ؟

وقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم} فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلا وشرعا.

- س – ما بطلان حجتهم الشرعية والعقلية ؟

- عقلا فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

- وأما شرعا، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا، ولهذا قال هنا: {مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} أي: يتخرصون تخرصا لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء.

ثم قال: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ} يخبرهم بصحة أفعالهم، وصدق أقوالهم؟ ليس الأمر كذلك، فإن الله أرسل محمدا نذيرا إليهم، وهم لم يأتهم نذير غيره، أي: فلا عقل ولا نقل، وإذا انتفى الأمران، فلا ثَمَّ إلا الباطل.

- س - هل للكافرين شبهة على عدم إيمانهم ؟

نعم، لهم شبهة من أوهى الشُّبَه، وهي تقليد آبائهم الضالين، الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل، ولهذا قال هنا: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} أي: على دين وملة {وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} أي: فلا نتبع ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

- س – من الذي يتصدر الأعراض وإنكار الرسل ؟ وهل إنكارهم لإظهار الحق ؟

- {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا} أي: منعموها، وملأها الذين أطغتهم الدنيا، وغرتهم الأموال، واستكبروا على الحق. {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} أي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، وليسوا بأول من قال هذه المقالة.

- وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل.

ولهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: {أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُم} أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟ {قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الباطل والهوى.

- س – ما عاقبة تكذيبهم ؟

{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُم} بتكذيبهم الحق، وردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة. {فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم ما أصابهم.

[٢٦ـ ٣٢] {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}

يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ} الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم:

- س – ما الخصلة الحميدة التي بينها إبراهيم عليه السلام لقومه ؟

{إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} أي: مبغض له، مجتنب معاد لأهله، {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، فـ {سَيَهْدِينِ} لما يصلح ديني وآخرتي.

{وَجَعَلَهَا} أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبرِّي من عبادة ما سواه.

- س – ما المقصود بقوله "عَقِبِهِ"؟

{كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} أي: ذريته {لَعَلَّهُمْ} إليها {يَرْجِعُونَ} لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، وتوصية بعض بنيه ـ كإسحاق ويعقوبـ لبعض، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} إلى آخر الآيات.

فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطغيان.

فقال تعالى: {بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُم} بأنواع الشهوات، حتى صارت هي غايتهم ونهاية مقصودهم، فلم تزل يتربى حبها في قلوبهم، حتى صارت صفات راسخة، وعقائد متأصلة. {حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ} الذي لا شك فيه ولا مرية ولا اشتباه. {وَرَسُولٌ مُبِينٌ} أي: بين الرسالة، قامت أدلة رسالته قياما باهرا، بأخلاقه ومعجزاته، وبما جاء به، وبما صدق به المرسلين، وبنفس دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

- س – بماذا وصف الكافرين الحق لما جاءهم ؟

{وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} الذي يوجب على من له أدنى دين ومعقول أن يقبله وينقاد له. {قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ} وهذا من أعظم المعاندة والمشاقة، فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه، بل ولا جحده، فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحا شنيعا، وجعلوه بمنزلة السحر الباطل، الذي لا يأتي به إلا أخبث الخلق وأعظمهم افتراء، والذي حملهم على ذلك، طغيانهم بما متعهم الله به وآباءهم.

- س – ماذا كان اقتراح الكافرين على الله ؟

{وَقَالُوا} مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة: {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} أي: معظم عندهم، مبجل من أهل مكة، أو أهل الطائف، كالوليد بن المغيرة ونحوه، ممن هو عندهم عظيم.

- س – بماذا رد الله عليهم ؟

قال الله ردا لاقتراحهم: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} أي: أهم الخزان لرحمة الله، وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاءون، ويمنعونها ممن يشاءون؟

{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} أي: في الحياة الدنيا، والحال أن رَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من الدنيا.

فإذا كانت معايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى، وهو الذي يقسمها بين عباده، فيبسط الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء، بحسب حكمته، فرحمته الدينية، التي أعلاها النبوة والرسالة، أولى وأحرى أن تكون بيد الله تعالى، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

فعلم أن اقتراحهم ساقط لاغ، وأن التدبير للأمور كلها، دينيها ودنيويها، بيد الله وحده. هذا إقناع لهم، من جهة غلطهم في الاقتراح، الذي ليس في أيديهم منه شيء، إن هو إلا ظلم منهم ورد للحق.

- س – هل تفضيل المشركين لغير الرسول صلى الله عليه وسلم في الرسالة صحيح ؟ولماذا ؟

وقولهم: {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} لو عرفوا حقائق الرجال، والصفات التي بها يعرف علو قدر الرجل، وعظم منزلته عند الله وعند خلقه، لعلموا أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أعظم الرجال قدرا، وأعلاهم فخرا، وأكملهم عقلا، وأغزرهم علما، وأجلهم رأيا وعزما وحزما، وأ كملهم خلقا، وأوسعهم رحمة، وأشدهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم.

وهو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يفضل عليه المشركون من لم يشم مثقال ذرة من كماله؟!، ومن جرمه ومنتهى حمقه أن جعل إلهه الذي يعبده ويدعوه ويتقرب إليه صنما، أو شجرا، أو حجرا، لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، وهو كل على مولاه، يحتاج لمن يقوم بمصالحه، فهل هذا إلا من فعل السفهاء والمجانين؟

فكيف يجعل مثل هذا عظيما؟ أم كيف يفضل على خاتم الرسل وسيد ولد آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ ولكن الذين كفروا لا يعقلون.

- س – ما الحكمة في تفضيل بعض العباد على بعض ؟

وفي هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} أي: ليسخر بعضهم بعضا، في الأعمال والحرف والصنائع.

فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم.

وفيها دليل على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية الأخرى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}

لمسات بيانية:

آية (٣):

***ما الفرق بين أنزلناه (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) يوسف) وجعلناه (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) الزخرف)؟**

د.فاضل السامرائى :

في سورة يوسف ذكر ما يتعلق بالإنزال، قال (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)) هذا إنزال، (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) أنزل هذا الخبر، أنزل هذه القصة لأنها كانت مجهولة عند العرب أصلاً لذلك رب العالمين عقّب عليها (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ (١٠٢) وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) ما كان معلوماً وقد أُثير سؤال (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧)) وكان سؤال اليهود: ما الذي أحلّ بني إسرائيل مصر؟ هذا سؤالهم للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اختبار وهم يعلمون أنه عليه الصلاة والسلام أميّ ليس عنده علم بالتوراة فسألوه وهو في مكة لكن بعثوا من يسأله من باب التحدي "ما الذي أحلّ بني إسرائيل مصر؟" فتنزل سورة كاملة للإجابة على التحدي فيبيّن لليهود أنه عليه الصلاة والسلام يعلم دقائق الأمور وفصّلها أوفى مما في التوراة. ليس هذا فقط وإنما اختار عبارات إعجازية ليست في التوراة وحتى لو كان مطلعاً على التوراة وحفظها لكان ما ذكره في القرآن أوفى. التوراة لم تذكر العزيز أبداً وإنما تذكر رئيس الشُرَط أو تذكر اسمه. القرآن سماه العزيز.

(جعلناه): لم يذكر أموراً تتعلق بالإنزال، قال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) الزخرف) (أُمّ الكتاب) أين؟ في السماء، (لدينا) أين؟ عند الله عز وجل، (لعلي حكيم) أين؟ في العلو، إذن هذا ليس إنزالاً.

آية (٦):

***لم قال تعالى فى سورة يس (من رسول) وقال في الزخرف (من نبي)؟(د.فاضل السامرائى)**

كل لفظة ناسبت الموطن الذي وردت فيه ففي سورة الإنسان قال تعالى (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وقال في الزخرف (وكم أرسلنا من نبي في الأولين (٦) وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون (٧)) فقوله (كم أرسلنا) يفيد التكثير فإن (كم) هذه خبرية وهي تفيد التكثير والأنبياء أكثر من الرسل فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً فناسب كلمة نبي كمّ الخبرية. جاء في ملاك التأويل: "لما تقدم في آية

الزخرف لفظ (كم) الخبرية وهي للتكثير ناسب ذلك كله من يوحى إليه من نبي مرسل أو نبي غير مرسل فورد هنا ما يعم الصنفين عليهم السلام".

آية (٣٢):

***ما الفرق بين سِخرياً وسُخرياً؟**

د.فاضل السامرائى :

(سِخرياً) بكسر السين هي من الإستهزاء والسخرية أما(سُخرياً) بضم السين فهي من باب الإستغلال والتسخير.

الوصايا العملية:

- أخذ العظة والعبرة بما حل بالأمم السابقة .
- توحيد الإلوهية والربوبية متلازمان .
- تفكر في مخلوقات الله حيث جعل لنا بين الجبال طرق نسير فيها فهذا يوجب شكره بتوحيد الإلوهية
- أهمية الوحي في هداية الناس فهو بمنزلة الروح في الجسد .
- الهداية المسندة للرسول صلى الله عليه وسلم هي هداية الإرشاد لا هداية التوفيق .
- ما عند المشركين من توحيد الربوبية لا ينفعهم يوم القيامة .
- من عظمة الله أن كمية المطر لا تزيد ولا تنقص في كل سنة فقط يختلف التوزيع .
- احرصي على دعاء ركوب الدابة .
- حب المرأة للزينة مجبولة عليها لكن المبالغة يعد نقص .
- كل نعمة تقتضي شكرا .
- جور المشركين في تصوراتهم عن ربهم حيث نسبوا الإناث إليه وكرهوهن لأنفسهم .
- بطلان الاحتجاج على المعاصي بالقدر .
- المشاهدة أحد الأسس لإثبات الحقائق .
- خطر التقليد الأعمى .
- التقليد من أسبابا ضلال الأمم السابقة .
- احذري التعصب للقبيلة والفخذ حتى لا يخرجك عن الحق .
- البراءة من الكفر والكافرين لازمة .
- بقاء التوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام .
- تبرئي من كل ما يغضب الله وابغضيه واسألي الله الهداية للعلم والعمل .

- احذري من الدنيا والانشغال بها عن الآخرة .
- انتبهي من الاعتراض على الأقدار لم هذا رزق بأموال ولم أعطي هذا فإن الرزاق هو الله .
- رحمة الله خير مما يجمعون الإنسان يموت ويترك ما وراءه ومقسم الأرزاق في الدنيا هو الأولى الذي يعطي الرسالة لمن يريد .
- النبوة تكريم إلهي ولا علاقة له بالموازين البشرية .
- الدنيا ليست مقياس يعطيها الله لمن يحب ومن لا يحب .
- تقسيم الأرزاق خاضع لحكمة الله .
- حقارة الدنيا عند الله فلو كانت تزن عنده جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء .
- محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو أعظم الرجال قدرا وأعلاهم فخرا وأكملهم عقلا وأغزرهم علما وأجلهم رأيا وعزما وجزما وأكملهم خلقا وأوسعهم رحمة وأشدهم شفقة وأهداهم وأتقاهم .

المقطع الثاني من الآية (٣٤) إلى الآية (٨٩):

التفسير الموضوعي للمقطع:

الآيات (٣٦ – ٤٥) حال المعرض عن ذكر الله، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم. لما بينت الآيات الكريمة السابقة زهادة الحياة الدنيا وهوانها على الله؛ وأن ما يعطاه الفجار منها لا يدل على كرامة لهم عند الله، وأن الآخرة عند ربك للمتقين، استطرد يبين مصير أولئك الذين قد ينالون تلك الأعراض، وهم عمي عن ذكر الله، منصرفون عن الطاعات التي تؤهلهم لرزق الآخرة المعد للمتقين.

الآيات (٤٦ – ٥٦) العبرة من قصة موسى عليه السلام مع فرعون. لما طعنت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر النبوة، بسبب أنه فقير عديم المال والجاه؛ ذكر تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ليشير إلى أن منطق العناد والطغيان واحد، فقد سبقهم فرعون إلى التجبر بماله وسلطانه، ورفض قبول دعوة الحق بحجة أنه أكثر مالا وجاها من موسى؛ فردت الآيات الكريمة هذه الشبهة السقيمة بالحجة والبرهان.

الآيات (٥٧ – ٦٦) العبرة من قصة عيسى عليه السلام.

الآيات (٦٧ – ٧٣) نِعَمُ الله على عباده المؤمنين يوم القيامة. لما قال سبحانه: "هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة" ذكر عقيبه بعض ما يتعلق بأحوال القيامة، فأولها قوله تعالى: "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين".

الآيات (٧٤ – ٨٠) حال الأشقياء الفجار يوم القيامة. لما ذكر سبحانه حال السعداء الأبرار أعقبه بذكر حال الأشقياء الفجار؛ للمقابلة بين الصورتين، والمقارنة بين الحالتين.

الآيات (٨١ – ٨٩) تنزيه الله تعالى عن الولد والشريك.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا أعمال السرائر واجعل لنا سريرة بيننا وبينك لا يعلمها إلا أنت ، وارزقنا الحسنات الجاريات..
قال صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي ،وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا)رواه مسلم .
ما الفرق بين الصحبة والخلة ؟
الخليل مشتق من الخلة وهي المودة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه وهي كمال المحبة وخالص المحبة .
الصاحب مشتق من المصاحبة في شيء والمعاشرة يقال صحبه وصاحبه أي عاشره والصاحب المعاشر فالخليل أعمق صداقة وحبا .
قال ثعلب : إنما سمي الخليل خليلا لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته .
قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)
الخلة هي الصداقة الحميمة ،والصداقة الحميمة أو الخلة تبنى على دعامتين:
إما على طاعة الله وإما على معصية الله.
فإذا بنيت على معصية الله فأساسها أمران :إما المصالح وإما الشهوات ،وعلى كل فأية خلة وأية صداقة وأية علاقة تبنى على معصية أو على مصلحة كل منهما يلقي اللوم على الطرف الآخر ويظن أن الطرف الآخر هو السبب في هذا الشقاء الذي أوصله.
أما خلة المؤمنين بينهم مودة ومحبة ،هذه المودة والمحبة تتنامى حتى أن هذا النماء يتطور إلى الدار الآخرة من بعض ما يسعد المؤمن في الجنة أن يلقى مع أخيه المؤمن ،والمودة التي بينهما .
فخلة المؤمنين ربح في الدنيا والآخرة .
ربح الدنيا تعينك على طاعة الله وتقومك عند الخلل وتنصح لك عند الزلل وإذا رأيته يذكرك بالله ويدلك لما فيه خير لك.
أما ربح الآخرة فهو خليلك وتزداد المودة ولا يتبرأ منك بل يشفع لصاحبه إن كان من أهل النار يشفع له ليدخل الجنة ،وإن كان في منزلة أقل في الجنة من منزلته يرفعه الله لمنزلة صاحبه وهكذا .
والله سبحانه وتعالى يسأل العبد عن صحبة ساعة ،فليس هناك علاقة في الأرض أشرف من العلاقة بين مؤمنين
وما من علاقة أدوم من علاقة بين مؤمنين ،وما من علاقة أكثر نماء من علاقة بين مؤمنين ،والأيام لا تزيد هذه العلاقات إلا متانة ،ولا تزيد الصلات بين المؤمنين إلا وثوقا ومحبة .
على كل إنسان أن يختار إخوانه وأصدقائه بعناية فائقة ،لأن الصاحب ساحب ،والإنسان يعرف من قرينه.
وقيل لا تصاحب من لا ينهض بك إلا الله حاله، ولا يدلك على الله مقاله.
يجب أن تختار الصاحب بحيث إذا تكلم تزداد علما من كلامه .
فالأخوة الإيمانية ثمينة جدا ،أكثري من الرفقة الصالحة ونوعيها فهي غنيمة في الدنيا والآخرة ،لأن جميع العلاقات والصداقات تكون عداوة وحسرة وندامة إلا صحبة الأخيار الصالحين فهي ربح وفوز وشفاعة .
قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)
سنتدارس بإذن الله هذه الآية في تدارسنا اليوم.

فوائد وأسئلة تدبرية:

[٣٣- ٣٥] {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ *وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}

- س – على ماذا يدل هذا المثل الذي ضربه الله تعالى لرسوله ؟

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئا، لوسَّع الدنيا على الذين كفروا توسيعا عظيما، ولجعل {لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ} أي: درجا من فضة {عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} على سطوحهم.

{وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ} من فضة، ولجعل لهم {زخرفا}

أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفا عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدرة، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين".

[٣٦- ٣٩] {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}

- س – ما هي عقوبة من أعرض عن ذكر الله ؟

يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: {وَمَنْ يَعْشُ} أي: يعرض ويصد {عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وقيَّض له الرحمن شيطانا مريدا، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزا،

{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} أي: الصراط المستقيم، والدين القويم. {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا.

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟

قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

- س – ما حال المعرض في الدنيا والآخرة؟

ـ فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغيّ، وانقلاب الحقائق.

ـ وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، وهو: إظهار الندم والتحسر، والحزن الذي لا يجبر مصابه، والتبرِّي من قرينه، ولهذا قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}

كما في قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}

- س – هل ينفع اشتراك الظالمين في العذاب يوم القيامة ويخفف عنهم ؟

وقوله تعالى: {وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم وقرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه وعذابه.

ولن ينفعكم أيضًا، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، وتسلَّى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك.

[٤٠ـ ٤٥] {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ * وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}

- س – سلى الله رسول صلى الله عليه وسلم عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له بأمور اذكرها ؟

يقول تعالى لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسليا له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له،

ـ وأنهم لا خير فيهم، ولا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ} أي: الذين لا يسمعون {أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ} الذين لا يبصرون،

أو تهدي {مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} أي: بَيِّنٌ واضح، لعلمه بضلاله، ورضاه به.

ـ فكما أن الأصم لا يسمع الأصوات، والأعمى لا يبصر، والضال ضلالا مبينا لا يهتدي، فهؤلاء قد فسدت فطرهم وعقولهم، بإعراضهم عن الذكر، واستحدثوا عقائد فاسدة، وصفات خبيثة، تمنعهم وتحول بينهم وبين الهدى، وتوجب لهم الازدياد من الردى، فهؤلاء لم يبق إلا عذابهم ونكالهم، إما في الدنيا، أو في الآخرة، ولهذا قال تعالى

- {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم العذاب، فاعلم بخبرنا الصادق أنا منهم منتقمون.

- {أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُم} من العذاب {فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ} ولكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيره، فهذه حالك وحال هؤلاء المكذبين.

- س – بماذا وصى الله نبيه محمد صلى الله عليه ؟

وأما أنت {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} فعلا واتصافًا، بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصا على تنفيذه في نفسك وفي غيرك. {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق، تكون بانيا على أصل أصيل، إذا بنى غيرك على الشكوك والأوهام، والظلم والجور.

{وَإِنَّهُ} أي: هذا القرآن الكريم {لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} أي: فخر لكم، ومنقبة جليلة، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه، ويذكركم الشر ويرهبكم عنه،

{وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم، وكفرا منكم بهذه النعمة؟

- س – إلى أي شيء كانت دعوة الرسل السابقين ؟

{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} حتى يكون للمشركين نوع حجة، يتبعون فيها أحدا من الرسل، فإنك لو سألتهم واستخبرتهم عن أحوالهم، لم تجد أحدا منهم يدعو إلى اتخاذ إله آخر مع الله مع أن كل الرسل، من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} وكل رسول بعثه الله، يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فدل هذا أن المشركين ليس لهم مستند في شركهم، لا من عقل صحيح، ولا نقل عن الرسل.

- س – اذكر بعض الأمثلة على أن دعوة الرسل إلى الله وحده دون غيره ؟

١ - [٤٦- ٥٦] {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} إلى آخر القصة.

لما قال تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} بين تعالى حال موسى ودعوته، التي هي أشهر ما يكون من دعوات الرسل، ولأن اللّه تعالى أكثر من ذكرها في كتابه، فذكر حاله مع فرعون، فقال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به، كالعصا، والحية، وإرسال الجراد، والقمل، إلى آخر الآيات.

{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فدعاهم إلى الإقرار بربهم، ونهاهم عن عبادة ما سواه.

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ} أي: ردوها وأنكروها، واستهزأوا بها، ظلما وعلوا، فلم يكن لقصور بالآيات، وعدم وضوح فيها، ولهذا قال: {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا}

أي: الآية المتأخرة أعظم من السابقة، {وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ} كالجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات. {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إلى الإسلام، ويذعنون له، ليزول شركهم وشرهم.

- س – من المقصود بقولهم (يأيها الساحر) ولماذا سموه بهذا الاسم ؟

- {وَقَالُوا} عندما نزل عليهم العذاب: {يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ} يعنون موسى عليه السلام،

- وهذا، إما من باب التهكم به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحا، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماؤهم، وهم السحرة، فقالوا: {يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} أي: بما خصك الله به، وفضلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنا العذاب {إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ} إن كشف الله عنا ذلك.

- س – هل امتثل بني إسرائيل بما وعدوا به موسى عليه السلام ؟

{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} أي: لم يفوا بما قالوا، بل غدروا، واستمروا على كفرهم.

- س – بماذا عاقبهم الله ؟

وهذا كقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالس ـ دَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ}

- س – بماذا كان افتخار فرعون على قومه وهل له حق في ذلك ؟

{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ} مستعليا بباطله، قد غره ملكه، وأطغاه ماله وجنوده: {يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} أي: ألست المالك لذلك، المتصرف فيه، {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} أي: الأنهار المنسحبة من النيل، في وسط القصور والبساتين. {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} هذا الملك الطويل العريض، وهذا من جهله البليغ، حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته، ولم يفخر بأوصاف حميدة، ولا أفعال سديدة.

- س – من الذي يقصد فرعون بقوله ({أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} ؟

يعني ـ قبحه الله ـ بالمهين، موسى بن عمران، كليم الرحمن، الوجيه عند الله، أي: أنا العزيز، وهو الذليل المهان المحتقر، فأينا خير؟ {و} مع هذا فـ {لا يَكَادُ يُبِينُ} عما في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح اللسان، وهذا ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو كان ثقيلا عليه الكلام.

- س – بماذا حجة وشبهة فرعون على موسى عليه السلام ؟

ثم قال فرعون: {فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ} أي: فهلا كان موسى بهذه الحالة، أن يكون مزينا مجملا بالحلي والأساور؟ {أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} يعاونونه على دعوته، ويؤيدونه على قوله.

- س – هل صدق بني إسرائيل شبهة فرعون ؟

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} أي: استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلا على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول.

فأي دليل يدل على أن فرعون محق، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟

وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية الله له، ولكنه لقي ملأ لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حق وباطل.

- س – ما دلالة قوله {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}؟

فبسبب فسقهم، قيض لهم فرعون، يزين لهم الشرك والشر.

{فَلَمَّا آسَفُونَا} أي: أغضبونا بأفعالهم {انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ} ليعتبر بهم المعتبرون، ويتعظ بأحوالهم المتعظون.

[٥٧- ٦٥] {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ}

- س- ضرب الله لقريش مثلا لما هم عليه من عبادة الأصنام فما هو ؟

يقول تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا} أي: نهي عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. {إِذَا قَوْمُكَ} المكذبون لك {مِنْهُ} أي: من أجل هذا المثل المضروب، {يَصِدُّونَ} أي: يستلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلجوا.

- س – ما هي الشبه التي تمسك بها المشركين من قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}

{وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ} يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على من عبدهم، ونزل أيضا قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}

ووجه حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض.

ولم قلت: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة [الذي] فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتباشرون.

وهي ـ ولله الحمدـ من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأي شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقربا عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ}

بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، {وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

وأما قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوله: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أن {ما} اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه.

الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناما وأوثانا ولا يعبدون المسيح.

الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية.

- س – لماذا لم يجعل الله الرسل من الملائكة ؟

ثم قال تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} أي: لجعلنا بدلكم ملائكة يخلفونكم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم، وأما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة، فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلا من جنسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم.

- س – من المقصود بالضمير في قوله {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} ؟

أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة {فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} أي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر.

- س- بماذا أمر الله عباده خلاف للمشركين ؟

{وَاتَّبِعُونِ} بامتثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} موصل إلى الله عز وجل،

{وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} عما أمركم الله به، فإن الشيطان {لَكُمْ عَدُوٌّ} حريص على إغوائكم، باذل جهده في ذلك.

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ} الدالة على صدق نبوته وصحة ما جاءهم به، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك من الآيات. {قَالَ} لبني إسرائيل: {قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ} النبوة والعلم، بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. {وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ} أي: أبين لكم صوابه وجوابه، فيزول عنكم بذلك اللبس، فجاء عليه السلام مكملا ومتمما لشريعة موسى عليه السلام، ولأحكام التوراة. وأتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له، وقبول ما جاءهم به. {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وآمنوا بي وصدقوني وأطيعون.

- س – ما التوحيد الذي تدل عليه هذه الآية ؟

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}

- ففيه الإقرار بتوحيد الربوبية، بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة والباطنة،

- والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسى عليه السلام أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: "إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة" والإخبار بأن هذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته.

- س – كيف كان بني إسرائيل بعدما جاءهم عيسى ؟

فلما جاءهم عيسى عليه السلام بهذا {اخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ} المتحزبون على التكذيب {مِنْ بَيْنِهِمْ} كل قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة، ورد ما جاء به، إلا من هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله ورسوله.

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا من عذاب يوم أليم} أي: ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في ذلك اليوم".

[٦٦- ٧٣] {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ} .

- س – ماذا ينتظر المشركين بعد هذه الحجج ؟

يقول تعالى: ما ينتظر المكذبون، وهل يتوقعون {إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} أي: فإذا جاءت، فلا تسأل عن أحوال من كذب بها، واستهزأ بمن جاء بها.

- س – ما حال الإخلاء يوم القيامة ومن المستثنى منهم ؟

وإن الأخلاء يومئذ، أي: يوم القيامة، المتخالين على الكفر والتكذيب ومعصية الله، {بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} لأن خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة. {إِلَّا الْمُتَّقِينَ} للشرك والمعاصي، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله.

- س – ما هو ثواب المتقين يوم القيامة ؟

ثم ذكر ثواب المتقين، وأن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم، ويذهب عنهم كل آفة وشر، فيقول: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}

أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها، وإذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب.

{الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وكانوا مسلمين} أي: وصفهم الإيمان بآيات الله، وذلك ليشمل التصديق بها، وما لا يتم التصديق إلا به، من العلم بمعناها والعمل بمقتضاها. {وَكَانُوا مُسْلِمِينَ} لله منقادين له في جميع أحوالهم، فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر والباطن.

{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} التي هي دار القرار {أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُم} أي: من كان على مثل عملكم، من كل مقارن لكم، من زوجة، وولد، وصاحب، وغيرهم. {تُحْبَرُونَ} أي: تنعمون وتكرمون، ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات، ما لا تعبر الألسن عن وصفه.

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ} أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم، بألطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير.

{وَفِيهَا} أي: الجنة {مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مونقة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى: {لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} {وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه.

{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ} الموصوفة بأكمل الصفات، هي {الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أي: أورثكم الله إياها بأعمالكم، وجعلها من فضله جزاء لها، وأودع فيها من رحمته ما أودع.

[{لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ} كما في الآية الأخرى: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} {مِنْهَا تَأْكُلُونَ} أي: مما تتخيرون من تلك الفواكه الشهية، والثمار اللذيذة تأكلون]

- س – بعد ذكر ثواب المتقين وصف ثواب المجرمين فما عقابهم ؟

ولما ذكر نعيم الجنة، عقبه بذكر عذاب جهنم، فقال:

[٧٤ـ ٧٨] {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ} الذين أجرموا بكفرهم وتكذيبهم {فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ} أي: منغمرون فيه، محيط بهم العذاب من كل جانب، {خَالِدُونَ} فيه، لا يخرجون منه أبدا

و{لَا يُفَتَّرُ عَنْهُم} العذاب ساعة، بإزالته، ولا بتهوين عذابه، {وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} أي: آيسون من كل خير، غير راجين للفرج، وذلك أنهم ينادون ربهم فيقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} وهذا العذاب العظيم، بما قدمت أيديهم، وبما ظلموا به أنفسهم.والله لم يظلمهم ولم يعاقبهم بلا ذنب ولا جرم.

- س – لماذا ينادى المجرمين مالك خازن النار ؟

{وَنَادَوْا} وهم في النار، لعلهم يحصل لهم استراحة، {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} أي: ليمتنا فنستريح، فإننا في غم شديد، وعذاب غليظ، لا صبر لنا عليه ولا جلد.

- س – بماذا رد عليهم ؟

فـ {قَالَ} لهم مالك خازن النار ـ حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضي عليهم ـ : {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} أي: مقيمون فيها، لا تخرجون عنها أبدا، فلم يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهم بنقيض قصدهم، وزادهم غما إلى غمهم.

ثم وبخهم بما فعلوا فقال: {لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ} الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه، لفزتم وسعدتم، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} فلذلك شقيتم شقاوة لا سعادة بعدها.

[٧٩ـ ٨٠] {أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}

يقول تعالى: أم أبرم المكذبون بالحق المعاندون له {أَمْرًا} أي: كادوا كيدا، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليدحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، {فَإِنَّا مُبْرِمُونَ} أي: محكمون أمرا، ومدبرون تدبيرا

يعلو تدبيرهم، وينقضه ويبطله، وهو ما قيضه الله من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ}

{أَمْ يَحْسَبُونَ} بجهلهم وظلمهم {أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ} الذي لم يتكلموا به، بل هو سر في قلوبهم {وَنَجْوَاهُمْ} أي: كلامهم الخفي الذي يتناجون به، أي: فلذلك أقدموا على المعاصي، وظنوا أنها لا تبعة لها ولا مجازاة على ما خفي منها.

فرد الله عليهم بقوله: {بَلَى} أي: إنا نعلم سرهم ونجواهم، {وَرُسُلُنَا} الملائكة الكرام، {لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} كل ما عملوه، وسيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة، فيجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا.

- س – بماذا أمر الله رسوله أن يقول للمجرمين ؟ ولماذا ؟

[٨١- ٨٣] {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}

- أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولدا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد.

- {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} لذلك الولد، لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقيادا للأمور المحبوبة لله، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشدهم له نفيا، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهم أول الناس سبقا إليه وتكميلا له، وكل شر فهم أول الناس تركا له وإنكارا له وبعدا منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون.

- ويحتمل أن معنى الآية: لو كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين لله، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقا، لكنت أول مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلا ونقلا.

{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} من الشريك والظهير، والعوين، والولد، وغير ذلك، مما نسبه إليه المشركون.

{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا} أي: يخوضوا بالباطل، ويلعبوا بالمحال، فعلومهم ضارة غير نافعة، وهي الخوض والبحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق وما جاءت به الرسل، وأعمالهم لعب وسفاهة، لا تزكي النفوس، ولا تثمر المعارف.

ولهذا توعدهم بما أمامهم من يوم القيامة فقال: {حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} فسيعلمون فيه ماذا حصلوا، وما حصلوا عليه من الشقاء الدائم، والعذاب المستمر.

[٨٤- ٨٩] {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ

بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}

يخبر تعالى، أنه وحده المألوه المعبود في السماوات والأرض فأهل السماوات كلهم، والمؤمنون من أهل الأرض، يعبدونه، ويعظمونه، ويخضعون لجلاله، ويفتقرون لكماله.

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا}

فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: {وهو الله في السماوات وفي الأرض} أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فهو فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله،

- س – ما دلالة قوله (الحكيم العليم) ؟

{وَهُوَ الْحَكِيمُ} الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئا إلا لحكمة، ولا شرع شيئا إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة. {الْعَلِيمُ} بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر.

- س – ما الذي يفيد قوله {وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} ؟

تبارك بمعنى تعالى وتعاظم، وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعظم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم كثير من الغيوب، التي لم يطلع عليها أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب،

- س – لماذا قدم ظرف (عنده)في قوله : {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} ؟

قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل،

- س – ما هي شروط الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى ؟

ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئًا، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه.

{وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ} أي: كل من دعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يشفعون إلا بإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاءوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه.

- س – ما الذي يلزم من إقرار المشركين بتوحيد الربوبية في قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهم لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}؟

أي: ولئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية، ومن هو الخالق، لأقروا أنه الله وحده لا شريك له.

{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} أي: فكيف يصرفون عن عبادة الله والإخلاص له وحده؟!

فإقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك.

- س – على ماذا عطف قوله {وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ} ؟

هذا معطوف على قوله: {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} أي: وعنده علم قيله، أي: الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شاكيًا لربه تكذيب قومه، متحزنا على ذلك، متحسرا على عدم إيمانهم، فاللّه تعالى عالم بهذه الحال، قادر على معاجلتهم بالعقوبة،

- س – ما الدليل على أن الله يمهل العباد ولا يهملهم ؟

ولكنه تعالى حليم، يمهل العباد ويستأني بهم، لعلهم يتوبون ويرجعون، ولهذا قال: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أذيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب والبصائر الجاهلين، كما قال تعالى عن عباده الصالحين: {وإذا خاطبهم الجاهلون} أي: خطابا بمقتضى جهلهم {قالوا سلاما} فامتثل ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من قومه وغيرهم من الأذى، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب الجميل.

فصلوات اللّه وسلامه على من خصه اللّه بالخلق العظيم، الذي فضل به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء.

وقوله: {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} أي: غِبَّ ذنوبهم، وعاقبة جرمهم.

لمسات بيانية:

آية (٥٧):

*** ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟(د.فاضل السامرائى)**

لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

- المسيح: ويدخل فيها المسيح ، المسيح عيسى ابن مريم، المسيح ابن مريم (لقبه).
- عيسى ويدخل فيها: عيسى ابن مريم وعيسى (إسمه).

 ابن مريم (كُنيته).

حيث ورد المسيح في كل السور سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً ولم ترد في التكليف وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة. (٤٥) آل عمران- (١٥٧) النساء- (١٧) المائدة- (٣١) التوبة.

وكذلك ابن مريم لم تأتي مطلقاً بالتكليف (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) المؤمنون) (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) الزخرف).

أما عيسى في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام (٤٦) المائدة- (٣٤) مريم ولا نجد في القرآن كله آتيناه البينات إلا مع لفظ (عيسى) (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) الزخرف) ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح. إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أوالثناء أيضاً وكلمة عيسى عامة ((١١٢) المائدة) فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب وعيسى اسم أي يسوع وابن مريم كنيته واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى) وليس بلقبه ولا كُنيته.

<u>آية (٦٤):</u>

*** ما اللمسة البيانية في زيادة هو في آية سورة الزخرف (إِنَّ اللَّهَ <u>هُوَ</u> رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)) عن آية سورة مريم (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦))؟**

<u>د.فاضل السامرائي :</u>

هو: احتمال أن يكون ضمير منفصل يفيد التوكيد والحصر. يبقى السياق في الزخرف <u>جاء في مقام عبادة عيسى واتخاذه إلهاً</u> (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨)) فهو أنكر هذا (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) حصراً بينما في سورة مريم فالآية جاءت بعد الولادة وليست في مقام اتخاذ إله لا تزال المسألة طفل تحمله أمه في المهد. أما سورة الزخرف ففي مقام اتخاذ عيسى إلهاً فنفى الله تعالى على لسان عيسى ذلك وقال حصراً (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ).

<u>آية (٧١):</u>

***لماذا الإختلاف بين الإستعمال للفضة في آية سورة الإنسان والذهب في آية سورة الزخرف؟(د.فاضل السامرائى)**

إذا استعرضنا الآيات في سورة الزخرف (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ {٧٠} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٧١} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {٧٢} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ {٧٣}) وفى سورة الإنسان(وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن

فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا {١٥} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً {١٦}) لو لاحظنا الآيات في سورة الإنسان والزخرف نلاحظ أنه:

١. في سورة الزخرف ذكر أنهم المتقون (الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ {٦٧}) ثم أضافهم إلى نفسه تعالى وهذا أشرف فخاطبهم (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ {٦٨}) ثم طمأنهم من الخوف مخاطباً إياهم مباشرة (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) وهذه مرتبة أعلى مما جاء في آيات في سورة الإنسان حيث جاء فيها (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً {١١}) .
٢. وجاء في الزخرف أنهم جمعوا بين الإيمان والإسلام (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ {٦٩}) والإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الإنقياد في العمل كما تذكر الآيات في القرآن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وأحياناً يُقصد بالمؤمن المسلم. أما ما ورد في آيات سورة الإنسان فهي جزء من صفات المتقين التي جاءت في الزخرف لأن فيها العمل فقط (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨}) والإيمان يدخل فيه عموم العمل الصالح .
٣. في الزخرف ناداهم الله تعالى مخاطباً إياهم مباشرة (ادخلوا الجنة) أما في الإنسان فجاء قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) وما جاء في الزخرف هو أعلى مكانة ولم يكتف بهذا بل إنه تعالى في الزخرف أدخلهم هم وأزواجهم (أنتم وأزواجكم) وهذا لم يرد في سورة الإنسان وهذا يدل على زيادة الإكرام في سورة الزخرف.
٤. وقال في الزخرف (تُحبرون) وفي الإنسان (نضرة وسرورا) والحبور أعمّ وهو يشمل السعادة والسرور والبهاء والجمال والنعمة والإكرام المبالغ فيه وسِعة العيش أما ما في سورة الإنسان فهو جزء مما ذُكر في سورة الزخرف. ففي الزخرف إذن شمل ما جاء في سورة الإنسان وزيادة.
٥. وقال تعالى أيضاً في سورة الزخرف (وفيها ما تشتهيه الأنفس) ولم يذكر ذلك في سورة الإنسان ثم قال (فيها خالدون) ولم ترد في سورة الإنسان وكلها تدل على الزيادات في النعيم.
٦. ثم ذكر في سورة الزخرف (فيها فاكهة كثيرة) ولم يذكرها في سورة الإنسان لذا ناسب أن يأتي بصحاف من ذهب في الأولى وقوارير من فضة في الثانية .
٧. والأمر الآخر أنه في سورة الزخرف لم يذكر الفضة أبداً وجو السورة شاع فيها ذكر الذهب والتنعّم والزخرف ففيها جاء قوله تعالى (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ {٣٣}) فإذا كان هذا للذين كفروا بالرحمن في الدنيا فكيف يكون جزاء المتقين في الآخرة أقل مما كان للكافر في الدنيا (سقف من فضة وعليها معارج) ؟ وسقف الفضة والمعارج هي أكثر من قوارير من فضة فكأنها تدل على أن الجنة جزاؤها أقل من الدنيا فلا يسمح جو السورة في الزخرف باستخدام قوارير من فضة فيها لأنه لا يناسب أن يعطي الله تعالى الكافر في الدنيا أكثر مما يعطي المتقين في الجنة. إذن ينبغي أن يكون للمتقين في الآخرة جزاء أعظم لذا جاء بصحاف الذهب جزاء المتقين في سورة الزخرف.
٨. وفي سورة الزخرف ذكر تعالى أيضاً أن فرعون استكبر في نفسه وثم استخفّ بموسى كما في قوله تعالى على لسان فرعون مخاطباً قومه (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ {٥٣}) فكيف يناسب ذكر الفضة في السورة إذا كان فرعون المتكبر العالي في الأرض يستعمل الذهب؟ فالأفضل أن جاء تعالى بالفضة والذهب كل في مكانها الذي ناسب جو السورة ووضع كل تعبير في مكانه يناسب سياق الآيات في كلتا السورتين.

آية (٧٢):

***قال تعالى في سورة المؤمنون (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)) وقال في سورة الزخرف (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)) ذكر الواو في الأولى (ومنها) وحذف الواو في الثانية (منها) لماذا؟(د.فاضل السامرائى)**

في سورة المؤمنون السياق في الكلام عن الدنيا وأهل الدنيا وتعداد النعم قال (ومنها تأكلون) فالفاكهة في الدنيا ليست للأكل فقط فمنها ما هو للإدخار والبيع والمربّيات والعصائر فكأنه تعالى يقصد بالآية : ومنها تدّخرون، ومنها تعصرون ومنها تأكلون وهذا ما يُسمّى عطف على محذوف. أما في سورة الزخرف فالسياق في الكلام عن الجنة والفاكهة في الجنة كلها للأكل ولا يُصنع منها أشياء أخرى.

آية (٨٤):

***(إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) و (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ما الفرق بينهما؟(د.فاضل السامرائى)**

إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدم العلم وإلا يقدم الحكمة، إذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة وإذا كان في العلم يقدم العلم.

***ما اللمسة البيانية في تكرار كلمة إله في قوله تعالى (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)؟ (د.فاضل السامرائى)**

قد يصح لغوياً القول (وهو الذي في السماء وفي الأرض إله) لكن لو جاءت هكذا في القرآن لدلت على أنه في السماء (موجود في السماء)، وفي الأرض إله (إله في الأرض) وهذا الإحتمال غير مراد أصلاً في الآية لأنه سبحانه إله في السماء وإله في الأرض أيضاً. كذلك يمكن القول من ناحية اللغة (وهو الذي في السماء والأرض إله) لكن هذا يؤدي إلى أنه إله مشترك فيهم وقد تعني أنه قد يكون هناك آلهة غيره وهذا لا يكون ولا يصح لأنه سبحانه هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله حصراً لا إله غيره في السماء ولا في الأرض. (إله) في الآية هي خبر عن مبتدأ محذوف تقديره هو أي بمعنى (هو الذي في السماء هو إله) لذا كان التكرار لمقتضى المعنى المراد.

الوصايا العملية:

- رحمة الله بمن يمنع عنهم بعض أمور الدنيا منعا خاصا أو عاما فهو خير بهم .
- يمنع الله الكفار من الدنيا لعلهم يتوبون ويرجعون .
- كل ما في الدنيا متاع .
- الدار الآخرة لعباده المتقين وفيها ما تشتهي الأنفس .
- من يعرض عن ذكر الله وأفضله القرآن يقيض له شيطان يقارنه ويحثه على المعاصي ويتولاه .
- عند الغضب استعيذي من الشيطان وغيري وضعك وتوضئي .

- الإعجاز النبوي في الاضطجاع عند الغضب حيث أن الغدة الكظرية بها هرمون ينشط عند الغضب ويهدأ بسرعة فائقة عند الاضطجاع ، إنه لا ينطق عن الهوى .
- لا تتكلمي وأنتي غاضبة حتى لا تندمي .
- ينشط الشيطان وقت الغضب والفرح فاحذري وحصني نفسك .
- الإهمال بأذكار الصباح والمساء في وقتها سبب للإصابة بالحسد والعين والسحر .
- الشيطان يزين لأوليائه الباطل ويحسبون أنهم مهتدون .
- مصائب الدنيا إذا اشتركوا فيها تهون لكن مصيبة الآخرة لا يخفف عن صاحبها .
- المشركين فسدت عقولهم وفطرتهم بالشرك .
- إذا استمسكت بالصراط أوصلك للجنة .
- القرآن فخر فهو يعلي المنزلة والشرف ففي شهداء أحد قدموا في القبر أكثرهم حفظا وفي الإمامة يقدم صاحب القرآن .
- جميع الرسل تدعوا إلى عبادة الله .
- كفر الكفار ليس قصور في الآيات لكن ظلما وعلو .
- اخشي أن تكوني إمعة تتابعين الموضة حتى وإن خالفت الشرع والعقل .
- خطر الإعراض عن القرآن .
- وجوب التمسك بم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الوحي .
- السخرية من الحق من صفات الكفر .
- نكث العهود من صفات الكفار .
- الفاسقين يقيض لهم من يزين لهم الشرك والشر كفرعون .
- غضب الله يوجب الخسران .
- أهل الضلال يسعون إلى تحريف دلالات النص القرآني حسب أهوائهم .
- نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى .
- احذري من الشيطان فهو حريص على إغواء بني آدم .
- أحد الصحابة تعثرت به دابته فسب الشيطان فعند سبه يتعاظم وإذا قلنا بسم الله صغر حتى يكون كالذبابة .
- طهر لسانك وطيبه من الأخلاق السيئة .
- الترفع عن الرد على من أساء .
- استسلمي لله طاعة وقياد .
- كراهة الحق خطر عظيم .
- مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين .
- كلمة تبارك الله لا تقال إلا لله والقول الصحيح بارك الله .
- اختصاص الله بوقت علو الساعة .
- احرصي على الأخلاء الصالحين ينفون في الدنيا والآخرة .

- دخول الجنة برحمة الله ولكن الأعمال الصالحة سبب لدخولها وسببا للتفاضل في الدرجات.
- أكثري من الاستعاذة من النار .

تناسب فواتح سورة الزخرف مع خواتيمها:

في أولها قال (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)) هذا أولها، قال في آخرها (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣)). نلاحظ: ما يأيتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون كأنها متتمة للآية الأولى. الإسراف في الآية أي في أعمالهم لا يرعوون بدون ضوابط يسرفون في المعاصي ويجاوزون الحدود (الإسراف مجاوزة الحد) ثم ذكر الاستهزاء (كانوا به يستهزئون) ثم قال (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣)). قال في أولها أيضاً (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)) وفي أواخرها (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)) كأنها استكمال للآية الأولى من خلق السموات والأرض؟ من خلقكم؟.

<u>سؤال:</u> ما دلالة اختيار صفتي العزيز العليم؟

اختار صفتي العزيز العليم في الآية، هو الله بلا شك (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)) (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)) يؤفكون بمعنى يُصرَفون عن الحق. هو كأنه هو استكمال سؤال ثم ترقى للسؤال عن أنفسهم، كأنما هو سؤال آخر في موطن واحد في سياق واحد.

| ● | نهاية سورة الزخرف | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الدخان ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـــورة الدخان

بين يدي السورة:

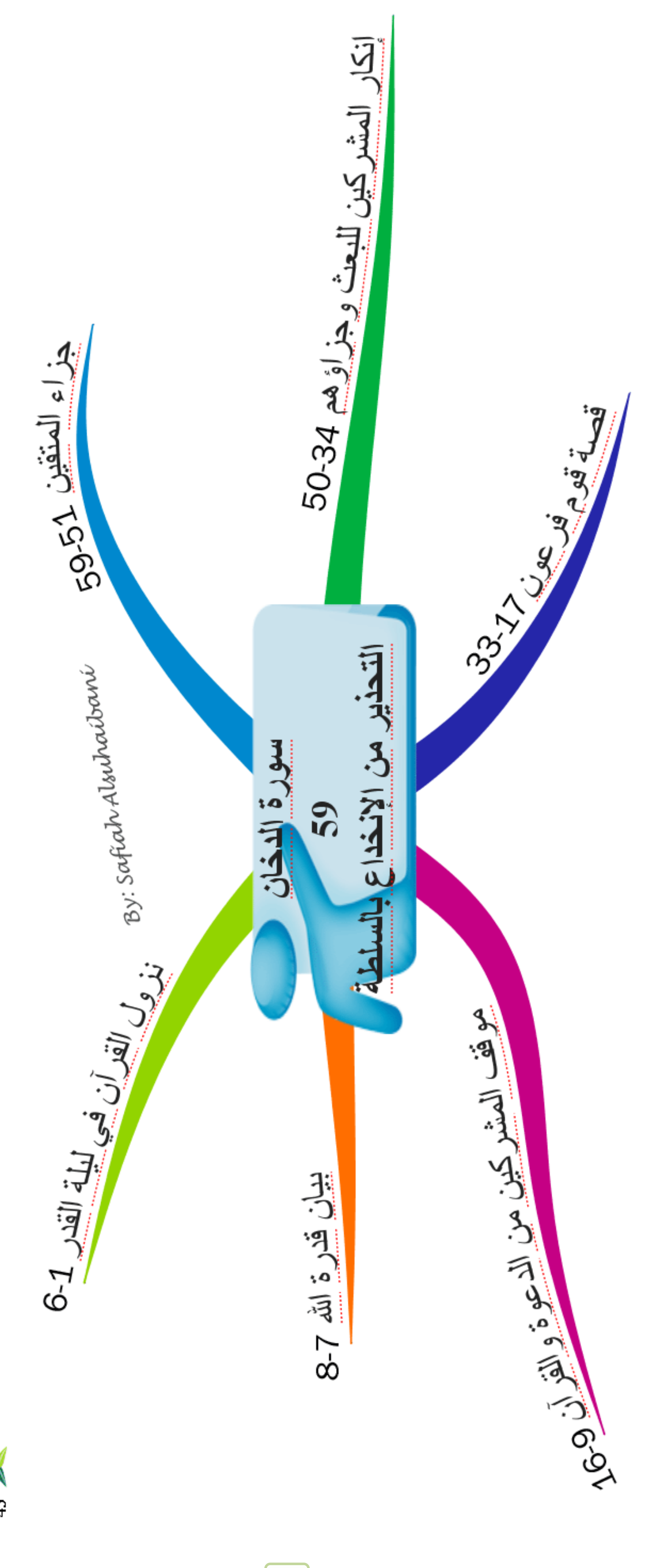
- تسمى سورة الدخان وسميت بهاذ الاسم في أكثر المصاحف وعند أكثر المفسرين والمحدثين لأن الله تعالى جعل الدخان آية لتخويف الكفار حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم فبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكوا ثم نجاهم بعد ذلك ببركه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم أن اسم السورة (حم الدخان).
- أهدافها: التوحيد، النبوة، الرسالة، البعث وهو نفس أهداف السورة المكية بصفة عامة لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان.
- محور السورة: حقيقة الإيمان، والحديث عن التوحيد والبعث، والرسالة.

مناسبة السورة لما قبلها:

إن الله سبحانه ختم سورة الزخرف قبلها بالوعيد والتهديد "فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون" أي فسوف يعلمون عاقبة إجرامهم وتكذيبهم، وهو وعيد من الله لهم وتهديد فناسب افتتاح هذه السورة بشيء من الإنذار الشديد "إنا كنا منذرين".

وتعلق الكلام بعد هذا بعضهم ببعض إلى آخر السورة، افتتح الله تعالى سورة الدخان بما يكمل الغرض وهو التعريف بوقت إنزاله إلى سماء الدنيا فقال تعالى "إنا أنزلناه في ليلة مباركة" ثم ذكر من فضائلها فقال "فيها يفرق كل أمر حكيم".

محاور السورة:



تدارس السورة كاملة :

التفسير الموضوعي للسورة:

الآيات (١ – ٩) إعجاز القرآن وإنزاله في ليلة مباركة.

الآيات (١٠ – ١٦) تهديد المشركين بالعذاب. بعد أن ذكر الله تعالى في المقطع الأول وصف المشركين، وأنهم في شك من التوحيد والبعث وقدرة الله، التفت في هذا المقطع إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لينتظر عذابهم يوم تأتي السماء بدخان كثيف واضح بين.

الآيات (١٧ – ٣٣) تذكيرهم بقوم فرعون. بين الله تعالى في المقطع السابق إصرار المشركين على كفرهم وتكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم في هذا المقطع أن كثيراً من المتقدمين كانوا مثلهم كذبوا رسله فأهلكهم الله.

الآيات (٣٤ – ٣٩) إنكار المشركين البعث. لما تحدثت الآيات في المقطع السابق عن قصة فرعون وملأه مع موسى ليتعظ المشركون من كفار قريش؛ بيّن في هذا المقطع إنكار المشركين للبعث والنشور صراحة.

الآيات (٤٠ – ٥٠) الترهيب من مصير الفجار والمنكرين.

الآيات (٥١ – ٥٩) الترغيب بما يلقاه المؤمنون. ذكر الله في المقطع السابق حال الكفار الأشقياء وما أعده لهم من عذاب؛ فم أتبعه في هذا المقطع بحال المؤمنين الأبرار وما أعده لهم من النعيم.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا البركة والإخلاص والقبول والصدق ..
اللهم ارزقنا أعمال السرائر والحسنات الجاريات ..
أنواع القدر التي يكتبها الله عز وجل للإنسان:
١/مقادير أزلية
٢/مقادير سنوية .
٣/مقادير يومية.
تستطيع تغيير قضاءك اليومي أو السنوي بالدعاء .
مثال :إذا كتب الله لك قدر سيئ للسنة القادمة (وفاة ابن،فشل في زواج....)وصرت تدعو بإخلاص في ليلة القدر فإن الله يأمر الملائكة أن يمسحوا الصحيفة التي كتب فيها الشقاء ويكتبون لك السعادة .(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

ليلة القدر:
سميت بهذا لأن فيها تنزل المقادير من السماء إلى الأرض وسميت بذلك نسبة إلى التقدير ،والعبادة فيها عن ٨٤ سنة
مثال:
إذا قلت فيها استغفر الله كأنك تستغفر منذ ولادتك إلى أن صار عمرك ٨٤.
فيها تضيق الأرض بعدد الملائكة فإن الملائكة تنزل في هذه الليلة ويكون عددها أكثر من حبات الحصى لتؤمن على دعائنا.
في ليلة القدر تمر الملائكة من عند العبد فتعزيه لأن كتب له الموت ،أو تمر من عنده فتبارك له بقبول عمله وعتقه من النار.
الساعة في ليلة القدر تساوي ٨سنوات ،والدقيقة تساوي ٥٠ يوما فأين المشمرون.
وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها عندما سألته ماذا تقول إن رأت ليلة القدر فقال قولي: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)
وفي ليلة القدر نزل القرآن الكريم أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام .
ووصفها الله تعالى بأنها مباركة ،قال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين *فيها يفرق كل أمر حكيم)
هذه الليلة المباركة أي كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فأنزل الله فيها أفضل الكلام .
وفي هذه الليلة يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به ويقدر فيها ما يكون في السنة من تقدير وكل هذا من تمام علمه وكماله وحكمته وإتقان حفظه واعتنائه بخلقه .
سنتدارس اليوم بإذن الله هذه الآية في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

- بما أقسم الله تعالى وما هو جواب القسم؟

هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله {فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام لينذر به قوما عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا من هداه ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الأخروي.

ما المقصود بقوله تعالى " فيها يفرق كل أمر حكيم"؟

في تلك الليل الفاضلة التي نزل فيها القرآن {يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به.

- ما أنواع الكتب القدرية ؟

وهذه الكتابة والفرقان، الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا وكل به كراما كاتبين يكتبون ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتنائه تعالى بخلقه.

- ما هو الأمر الذي قال عنه تعالى أمرا من عندنا؟

{أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا} أي: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا.

{إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} للرسل ومنزلين للكتب والرسل تبلغ أوامر المرسل وتخبر بأقداره، {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} أي: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب التي أفضلها القرآن رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب والرسل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه، {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} أي: يسمع جميع الأصوات ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه فرحمهم بذلك ومن عليهم فله تعالى الحمد والمنة والإحسان.

- ما موجبات اليقين بالله؟

{رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شاء. {إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} أي: عالمين بذلك علما مفيدا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق ولهذا قال: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} أي: لا معبود إلا وجهه، {يُحْيِي وَيُمِيتُ} أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم بعد موتكم فيجزيكم بعملكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم الدافع عنهم النقم.

- ما موقف الكافرين بعد تقرير الله سبحانه لربوبيته وألوهيته؟

فلما قرر تعالى ربوبيته وألوهيته بما يوجب العلم التام ويدفع الشك أخبر أن الكافرين مع هذا البيان {فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ} أي: منغمرون في الشكوك والشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا باللعب الباطل، الذي لا يجدي عليهم إلا الضرر.

- بماذا توعدهم الله عز وجل؟

فَارْتَقِبِ} أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب وآن أوانه، {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ} أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: {هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

- ما المراد بالدخان؟

واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

ويؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

ويؤيده أيضا أنه قال في هذه الآية: {أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ} وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: (اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف) فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع.

فيكون ـ على هذا ـ قوله: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ} أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة.

ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوقع وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر.

وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ} أن هذا كله يكون يوم القيامة.

وأن قوله تعالى: {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم. وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك.

بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم.

- لماذا أورد الله تعالى قصة قوم فرعون في هذا الموضع؟

{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ} إلى آخر القصة لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر أن لهم سلفا من المكذبين، فذكر قصتهم مع موسى وما أحل الله بهم ليرتدع هؤلاء المكذبون عن ما هم عليه فقال: {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ} أي: ابتليناهم واختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم الرسول الكريم الذي فيه من الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره.

{أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ} أي: قال لفرعون وملئه: أدوا إلي عباد الله، يعني بهم: بني إسرائيل أي: أرسلوهم وأطلقوهم من عذابكم وسومكم إياهم سوء العذاب فإنهم عشيرتي وأفضل العالمين في زمانهم.

وأنتم قد ظلمتموهم واستعبدتموهم بغير حق فأرسلوهم ليعبدوا ربهم، {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} أي: رسول من رب العالمين أمين على ما أرسلني به لا أكتمكم منه شيئا ولا أزيد فيه ولا أنقص وهذا يوجب تمام الانقياد له.

{وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ} بالاستكبار عن عبادته والعلو على عباد الله، {إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} أي: بحجة بينة ظاهرة وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات والأدلة القاهرات، فكذبوه وهموا بقتله فلجأ بالله من شرهم فقال: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ} أي: تقتلوني أشر القتلات بالرجم بالحجارة.

- ما هي مراتب التخيير التي اقترحها موسى عليه السلام على قومه؟

{ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ} أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي وهو مقصودي منكم فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة فاعتزلوني لا علي ولا لي، فاكفوني شركم. فلم تحصل منهم المرتبة الأولى ولا الثانية بل لم يزالو متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عليه السلام غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل.

- كيف نصر الله نبيه موسى عليه السلام؟

{فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ} أي: قد أجرموا جرما يوجب تعجيل العقوبة.فأخبر عليه السلام بحالهم وهذا دعاء بالحال التي هي أبلغ من المقال، كما قال عن نفسه عليه السلام {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} فأمره الله أن يسري بعباده ليلا وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه. {وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا} أي: بحاله وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم

فرعون فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه فصار اثنى عشر طريقا وصار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة فسلكه موسى وقومه.

فلما خرجوا منه أمره الله أن يتركه رهوا أي: بحاله ليسلكه فرعون وجنوده {إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ} فلما تكامل قوم موسى خارجين منه وقوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا وأورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ولهذا قال: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا} أي: هذة النعمة المذكورة {قَوْمًا آخَرِينَ} وفي الآية الأخرى: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ}.

- كيف يكون بكاء السماء والأرض على من مات من الخلق؟

لما أتلفهم الله وأهلكهم لم تبك عليهم السماء والأرض أي: لم يحزن عليهم ولم يؤس على فراقهم، بل كل استبشر بهلاكهم وتلفهم حتى السماء والأرض لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين.{وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} أي: ممهلين عن العقوبة بل اصطلمتهم في الحال.

- بماذا امتن الله تعالى على من نجا من قوم موسى عليه السلام ؟

ثم امتن تعالى على بني إسرائيل فقال: {وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ} الذي كانوا فيه {مِنْ فِرْعَوْنَ} إذ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم. {إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا} أي: مستكبرا في الأرض بغير الحق {مِنَ الْمُسْرِفِينَ} المتجاوزين لحدود الله المتجرئين على محارمه.

{وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُم} أي: اصطفيناهم وانتقيناهم {عَلَى عِلْمٍ} منا بهم وباستحقاقهم لذلك الفضل {عَلَى الْعَالَمِينَ} أي: عالمي زمانهم ومن قبلهم وبعدهم حتى أتى الله بأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففضلوا العالمين كلهم وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس وامتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم.{وَآتَيْنَاهُم} أي: بني إسرائيل {مِنَ الْآيَاتِ} الباهرة والمعجزات الظاهرة. {مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ} أي: إحسان كثير ظاهر منا عليهم وحجة عليهم على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى عليه السلام.

- ماذا قال المكذبين استبعادا للبعث؟

يخبر تعالى {إِنَّ هَؤُلَاءِ} المكذبين يقولون مستبعدين للبعث والنشور: {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ} أي: ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار. ثم قالوا ـ متجرئين على ربهم معجزين لهـ : {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} وهذا من اقتراح الجهلة المعاندين في مكان سحيق، فأي ملازمة بين صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟ فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به وتواترت تواترا عظيما من كل وجه.

قال تعالى: {أَهُمْ خَيْرٌ} أي: هؤلاء المخاطبون {أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} فإنهم ليسوا خيرا منهم وقد اشتركوا في الإجرام فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين.

- ما علامات كمال قدرة الله وحكمته؟

يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمام حكمته وأنه ما خلق السماوات والأرض لعبا ولا لهوا أو سدى من غير فائدة وأنه ما خلقهما إلا بالحق أي: نفس خلقهما بالحق وخلقهما مشتمل على الحق، وأنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم. {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض.

- بماذا توعد الله من لم يتعظ ويتفكر بما حوله؟

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ} وهو يوم القيامة الذي يفصل الله به بين الأولين والآخرين وبين كل مختلفين {مِيقَاتُهُمْ} أي: الخلائق {أَجْمَعِينَ}

كلهم سيجمعهم الله فيه ويحضرهم ويحضر أعمالهم ويكون الجزاء عليها ولا ينفع مولى عن مولى شيئا لا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه، {وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} أي: يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحدا من الخلق لا يملك من الأمر شيئا.

{إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها وسعى لها سعيها في الدنيا.

- إلى كم قسم ينقسم الخلق يوم الفصل؟

لما ذكر يوم القيامة وأنه يفصل بين عباده فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي وأن طعامهم {شَجَرَةَ الزَّقُّومِ} شر الأشجار وأفظعها وأن طعمها {كَالْمُهْلِ} أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم {كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} ويقال للمعذب: {ذُقْ} هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله وأنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس. {إِنَّ هَذَا} العذاب العظيم {مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ} أي: تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين.

[٥١- ٥٩] {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ}

هذا جزاء المتقين لله الذين اتقوا سخطه وعذابه بتركهم المعاصي وفعلهم الطاعات، فلما انتفى السخط عنهم والعذاب ثبت لهم الرضا من الله والثواب العظيم في ظل ظليل من كثرة الأشجار والفواكه وعيون سارحة تجري من تحتهم الأنهار يفجرونها تفجيرا في جنات النعيم.

- ما دلالة إضافة وصف النعيم للجنات؟

فأضاف الجنات إلى النعيم لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم وسرور، كامل من كل وجه ما فيه منغص ولا مكدر بوجه من الوجوه.

ولباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق أي: غليظ الحرير ورقيقه مما تشتهيه أنفسهم. {مُتَقَابِلِينَ} في قلوبهم ووجوههم في كمال الراحة والطمأنينة والمحبة والعشرة الحسنة والآداب المستحسنة.

{كَذَلِكَ} النعيم التام والسرور الكامل {وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عين} أي: نساء جميلات من جمالهن وحسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن وينبهر العقل بجمالهن وينخلب اللب لكمالهن {عَيْنٍ} أي: ضخام الأعين حسانها.

{يَدْعُونَ فِيهَا} أي: الجنة {بِكُلِّ فَاكِهَةٍ} مما له اسم في الدنيا ومما لا يوجد له اسم ولا نظير في الدنيا، فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة وأجناسها أحضر لهم في الحال من غير تعب ولا كلفة، {آمِنِينَ} من انقطاع ذلك وآمنين من مضرته وآمنين من كل مكدر، وآمنين من الخروج منها والموت ولهذا قال: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} أي: ليس فيها موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى لم يستثن الموتة الأولى التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب، {وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ} أي: حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم وكرمه فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة التي بها نالوا خير الآخرة وأعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم، {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وأي فوز أعظم من نيل رضوان الله وجنته والسلامة من عذابه وسخطه.

- كيف يسر الله القرآن؟

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ} أي: القرآن {بِلِسَانِكَ} أي: سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها فتيسر به لفظه وتيسر معناه. {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} ما فيه نفعهم فيفعلونه وما فيه ضررهم فيتركونه.

{فَارْتَقِب} أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر} إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ما يحل بهم من العذاب وفرق بين الارتقابين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدينا والآخرة، وضدهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة.

لمسات بيانية:

آية (٢٣):

***(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) الشعراء) وفي الدخان (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣)) المعروف أن السرى يكون ليلاً فلماذا قال ليلاً ولماذا لم يقل ليلاً في آية سورة الشعراء؟(د.فاضل السامرائى)**

لما أقول أُخرج ليلاً يعني هذا اليوم الذي أكلمك الآن فيه، ليلاً وصباحاً ومساءً هذه مقررة، إذا أردت مساء ليلتك أو مساء يوم بعينه أو ليل يومك أو ليلة بعينها هذا كله يدخل فيه. إذن عندنا أمرين: أسر ليلاً يعني الليلة هذه، (أسر بعبادي) ليس فيها وقت محدد. قال في الشعراء (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥)) إذن فيها متسع حتى يجمع فرعون جماعته ويرسل في المدائن. وفي الدخان قال (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) هذا أمر وقع هذا أسرع، هذا تصوير للحادثة في ليلة حدوثها عندما قال اليوم يعني اليوم تخرد وكأن سورة الشعراء وحيٌ من الله ليجهز نفسه حتى يأتي الأمر، بينما الكلام قبلها على السحرة (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ (٤٩)) كلام عام ووراءها قال (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥)) تكلم كلاماً آخر وليس فيها الأمر بالخروج هذه الليلة والآن فرعون عنده متسع في الكلام وإرسال في المدائن. (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) الدخان) فإذن ليلاً الآن تخرج هذه الليلة والسياق واضح.

آية (٢٧):

***ما الفرق بين النَعمة والنِعمة (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) الدخان) (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) المزمل) ؟(د.فاضل السامرائى)**

النعمة تفضل الله تعالى على عباده وهي متعددة العافية والقوة والإيمان هذه كلها نِعم (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا (٣٤) إبراهيم) أما النَعمة فهي الرفاهية والتنعم ولين العيش والرخاء من النعيم والنعيم أحد النِعم. الله تعالى ذكر السمع والبصر والدين نعمة (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) الضحى) هذه كلها نِعم والنَعمة الرخاء والرفاهية ولم ترد في القرآن إلا في الذمّ (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) المزمل) (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) الدخان) لم ترد كلمة النَعمة في الخير أما النِعمة فكلها خير.

آية (٤٩):

***ما دلالة ذكر وحذف (من) في قوله تعالى (يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم)فى سورة الحج و(ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ)فى سورة الدخان؟ (د.فاضل السامرائى)**

ذكر (من) تفيد الإبتداء أي ابتداء الغاية وليس هناك فاصل كما جاء في قوله تعالى (يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم) أي ليس هناك فاصل بين الرأس والصبّ حتى لا تضيع أية حرارة لأن العاقبة لهذا الصبّ أن يُصهر به ما في بطونهم. أما في سورة الدخان فهي تحتمل البعيد والقريب (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ {٤٨} ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ {٤٩} الدخان) وهذا العذاب أخف من الأول (من فوق رؤوسهم).

***ما هو نوع الأسلوب في قوله تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) الدخان)؟(د.فاضل السامرائى)**

هذا من باب السخرية منهم (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) الدخان) العزيز الكريم يصب فوق رأسه من عذاب الحميم، هذا استهزاء وسخرية (اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) البقرة) (سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) التوبة). هذا الأسلوب أسلوب سخرية أنت تسخر من واحد هو لا يعرف أن يتكلم تقول له أنت أفصح من أكثم بن صيفي أو قس بن ساعدة، شخص قال شعراً لا وزن له ولا قافية ولا يعلم اللغة العربية فتقول له أنت أشعر من المتنبي هذا أسلوب سخرية.

الوصايا العملية:

- بدء نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر .ليلة القدر في شهر رمضان
- أعظم نعمة ورحمة من الله إرسال الرسل وإنزال الكتب .
- رسالة الأنبياء تحرير للمستضعفين من قبضة المتكبرين .
- إذا خفت من أحد فألجئي إلى الله فيكفيك من أهمك .
- مشروعية الدعاء على الكفار عندما لا يستجيبون للدعوة وعندما يحاربون أهلها .
- التفكر بالقلب هو التفكر الحقيقي فهو يزيد للإيمان .
- يوم القيامة كل يجازى على عمله ولا يمنع أحد من عذاب الله .
- ادع الله (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل أثم والفوز بالجنة والنجاة من النار) .
- احذري من الشك بما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من الغيبيات .
- الكون لا يهزل لموت كافر لهوانه على الله .
- لكل عبد بابان في السماء بابا ينزل منه رزقه وبابا يصعد إليه عمله فإذا مات أغلق البابان .
- أحرص أن يكون لك ذكر تذكر به بعد موتك .
- من تمام النعمة أن تكون أنت وأقاربك وأحبابك وأصدقائك متحابون وسليمة قلوبكم .

- الجمع بين العذاب الجسمي والنفسي للكافر .
- الجمع بين النعيم لجسمي والنفسي للمؤمن .
- الفوز العظيم هو النجاة من النار والفوز بالجنة .
- خذ الكتاب بقوة تلاوة وحفظا وتدبرا ليحصل لك الخير في الدنيا والآخرة.

تناسب فواتح سورة الدخان مع خواتيمها:

في أولها (حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥)) وفي آخرها (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)) الكلام في البداية عن القرآن (حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣)) وآخرها (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)) أيضاً عن القرآن. وفي أولها (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)) وفي آخرها (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)) صاحب الشك يترقب ماذا سيحصل له. ارتقب بمعنى انتظر. هم في شك فارتقب إنهم مرتقبون، الشك يترقب ماذا سيحصل؟. هم وهو، أخبر عنهم ثم أمره، هم في شك أنت ارتقب ماذا سوف يحصل في شكهم ما نتيجة هذا الشك؟ ما مآله؟ هم في شك فارتقب أنت.

|●| نهاية سورة الدخان |●|

مدارسة سور القرآن

:: ســــورة الجاثية ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـورة الجاثية

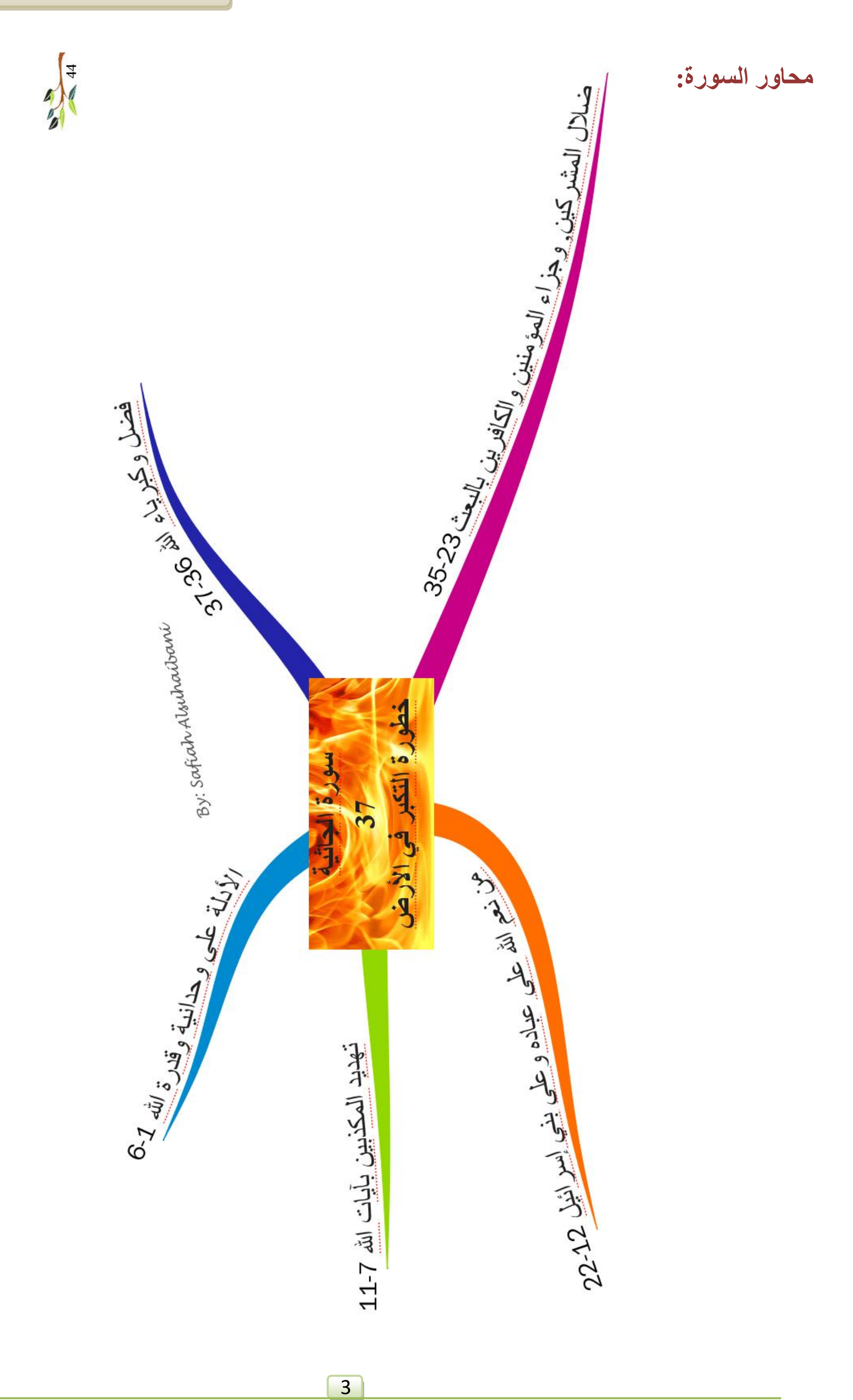
بين يدي السورة:

- تسمى سورة الجاثية لأن الخلائق كلها تجثوا يوم القيامة على الركب للأهوال التي يلقونها، فزعاً في انتظار الحساب. وللسورة اسمان توقيفيان هما: سورة الشريعة، وسورة الدهر. لذكرهما فيها.
- محور السورة: إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى من خلال بيان أدلة القدرة الإلهية في ستة براهين، من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله وكمال قدرته وأنه المستحق للعبادة وهي:
    - خلق السماوات والأرض.
    - خلق الناس.
    - خلق الدواب.
    - اختلاف الليل والنهار.
    - إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.
    - تصريف الرياح.
- مقاصد السورة:
    - ترسيخ الإيمان بالبعث والحساب من خلال مشاهد يوم القيامة.
    - دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إل الصبر على ما يلاقيه من عناد قومه، والمصابرة على الدعوة إلى الإسلام من خلال قصص الأنبياء قبله مع أممهم.
    - التحدي والإعجاز من خلال الحروف المقطعة، ومعالجة قضايا العقيدة والإيمان من خلال عرض ما لاقته الدعوة الإسلامية من عناد واستكبار.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

اختتمت سورة الدخان قبلها بأن الله تعالى أنزل القرآن عربياً بلسان النبي صلى الله عليه وسلم ولسان قومه، فناسب ابتداء هذه السورة بأن نزول القرآن الكريم من الله تعالى للحث على إتباعه والإيمان به، والسورتان تتشابهان في مطلعهما (حم) وفي الغايات الكبرى للقرآن الكريم: وهي إثبات وحدانية الله، وترسيخ العقيدة الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والاعتقاد بنزول القرآن من عند الله والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان باليوم الآخر والبعث والجزاء.

محاور السورة:



تدارس السورة كاملة:

التفسير الموضوعي للسورة:

الآيات (١ – ٦) مصدر القرآن الكريم وإثبات وحدانية الله.

الآيات (٧ – ١١) جزاء المكذبين بآيات الله. بعد أن ساق لهم في المقطع السابق الأدلة والبراهين على وحدانية الله، فلم يؤمنوا واستمروا على كفرهم وعنادهم؛ جاءهم في هذا المقطع بوعيد عظيم، وتهديد شديد فيه هلاك ودمار لكل من يسمعها ثم يستمر على كفره.

الآيات (١٢ – ١٥) التذكير بنعم الله على عباده. فبعد التهديد والوعيد الشديد في المقطع السابق لكل من استكبر عن آيات القرآن، ذكّر الله عباده هنا بالنعم الجليلة الدالة على قدرته سبحانه وحكمته.

الآيات (١٦ – ٢٠) نعمه الخاصة ببني إسرائيل وإنزال الشرائع. لما ذكر الله سبحانه وتعلا النعم العامة في المقطع السابق على جميع الناس أتبعه في هذا المقطع بالنعم الخاصة على بني إسرائيل.

الآيات (٢١ – ٢٣) عدل الله في الحكم على المحسنين والمسيئين. بين الله في المقطع السابق أن الجزاء يوم القيامة منوط بالعمل؛ وابتدأ هذا المقطع بالاستفهام الإنكاري على المشركين والكفار الذين يظنون أن الله يساوي بينهم وبين المؤمنين في الجزاء والثواب والرحمة.

الآيات (٢٤ – ٢٧) الرد على الدهريين.

الآيات (٢٨ – ٣٧) من مشاهد يوم القيامة.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمناماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا الإخلاص والبركة والقبول والصدق.
حاجة الإنسان إلى الإيمان والعمل الصالح أشد من حاجته إلى الهواء والماء والطعام ،فهذا قوام جسده في الدنيا ،وذاك سعادة قلبه في الدنيا ونجاة جسده وروحه في الآخرة.
والإيمان بلا عمل صالح لا ينفع صاحبه ولا ينجيه ،ولا يكون العمل صالحا إلا ما كان موافقا لشرع الله وأن يكون خالصا لوجهه سبحانه.
من أراد علو منزلته عند ربه وعظيم الجزاء ورفعة الدرجات فليلزم العمل الصالح ،ولذلك لا يستوي المسلم والكافر ولا المؤمن والمنافق ولا البر والفاجر ،ولا من يعمل ومن لا يعمل ،ولا يستوي عمل الصالحات واجتراح السيئات ،نعم لا يستوون ،ولو تعايشوا الدنيا وتبادلوا المنافع وخدم بعضهم بعضا.

قال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)
إن من أسماء الله الحق ،ولا يتحقق الحق إلا بالعدل ،بل إن الجزاء أثر من آثار العدل الذي هو وجه من وجوه العدل ،فالحق يقتضي العدل.
ومن العدل أن لا يكون مجترح السيئات كالذي يعمل الصالحات وأن حياة المؤمن بدءا من صحته وانتهاء بأولاده مع عمله مع مكانته مع سمعته مع راحة باله مع استقراره مع طيب نفسه مع سعادته هذا المؤمن لن يكون كالذي يجترح السيئات من قلق وضيق وضجر وخوف وشعور بالقهر ومصائب تصيب هذا الفاسق مصيبة في ماله وفي صحته .
فهم لا يتساوون لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا حكم أحكم الحاكمين وخير العادلين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية .

فوائد وأسئلة تدبرية:

- أخبر الله تعالى خبرا يتضمن الأمر بالعناية بالقرآن، ما هو هذا الخبر؟

يخبر تعالى خبرا يتضمن الأمر بتعظيم القرآن والاعتناء به وأنه {تَنْزِيلُ} {مِنَ اللَّهِ} المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال وانفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة.

- كيف أيد ذلك الخبر؟

ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية من خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من الدواب وما أودع فيهما من المنافع وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد.

فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على ما لله تعالى من الكمال وعلى البعث والنشور.

- إلى كم قسم ينقسم الناس من حيث الانتفاع بالآيات ؟

ثم قسم تعالى الناس بالنسبة إلى الانتفاع بآياته وعدمه إلى قسمين:

قسم يستدلون بها ويتفكرون بها وينتفعون فيرتفعون وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إيمانا تاما وصل بهم إلى درجة اليقين، فزكى منهم العقول وازدادت به معارفهم وألبابهم وعلومهم.

وقسم يسمع آيات الله سماعا تقوم به الحجة عليه ثم يعرض عنها ويستكبر، كأنه ما سمعها لأنها لم تزك قلبه ولا طهرته بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه.

وأنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال:

{وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} أي: كذاب في مقاله أثيم في فعاله.

وأخبر أن له عذابا أليما وأن {مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ} تكفي في عقوبتهم البليغة.

وأنه {لا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا} من الأموال {وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} يستنصرون بهم فخذلوهم أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا.

- بماذا وصف الله تعالى القرآن؟

فلما بين آياته القرآنية والعيانية وأن الناس فيها على قسمين أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب العالية أنه هدى فقال: {هَذَا هُدًى} وهذا وصف عام لجميع القرآن فإنه يهدي إلى معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة وأفعاله الحميدة، ويهدي إلى معرفة رسله وأوليائه وأعدائه، وأوصافهم، ويهدي إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها ويبين الأعمال السيئة وينهى عنها، ويهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال ويبين الجزاء الدنيوي والأخروي، فالمهتدون اهتدوا به فأفلحوا وسعدوا، {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} الواضحة القاطعة التي يكفر بها إلا من اشتد ظلمه وتضاعف طغيانه، {لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ} .

- ما دلالات إحسان الله للعباد؟

يخبر تعالى بفضله على عباده وإحسانه إليهم بتسخير البحر لسير المراكب والسفن بأمره وتيسيره، {لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} بأنواع التجارات والمكاسب، {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} الله تعالى فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه وأثابكم على شكركم أجرا جزيلا.

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} أي: من فضله وإحسانه، وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه ولهذا قال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} .

- ما دلالة نفوذ مشيئة الله؟

وجملة ذلك أن خلقها وتدبيرها وتسخيرها دال على نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دال على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات دليل على أنه الفعال لما يريد، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا ولا شكا.

- بماذا أمر الله عباده الذين ءامنوا؟

يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله أي: لا يرجون ثوابه ولا يخافون وقائعه في العاصين فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون. فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم وصفحكم وصبركم، ثوابا جزيلا.

وهم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد والخزي ولهذا قال: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}.

- ما هي النعم التي امتنها الله على بني إسرائيل؟

ولقد أنعمنا على بني إسرائيل نعما لم تحصل لغيرهم من الناس، وآتيناهم {الكتاب} أي: التوراة والإنجيل {والحكم} بين الناس {والنبوة} التي امتازوا بها وصارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام، أكثرهم من بني إسرائيل، {وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} من المآكل والمشارب والملابس وإنزال المن والسلوى عليهم {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} أي: على الخلق بهذه النعم .

- هل هم أفضل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ويخرج من هذا العموم اللفظي هذه الأمة فإنهم خير أمة أخرجت للناس.

والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة فإن الله يقص علينا ما امتن به على بني إسرائيل وميزهم عن غيرهم، وأيضا فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيمن على سائر الكتب السابقة، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصدق لجميع المرسلين.

- ماذا آتى الله بني إسرائيل من باب إقامة الحجة وكيف قابلوها؟

وَآتَيْنَاهُم} أي: آتينا بني إسرائيل {بَيِّنَاتٍ} أي: دلالات تبين الحق من الباطل {مِنَ الْأَمْرِ} القدري الذي أوصله الله إليهم.

وتلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام، فهذه النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل تقتضي الحال أن يقوموا بها على أكمل الوجوه وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم، ولكن انعكس الأمر فعاملوها بعكس ما يجب.

وافترقوا فيما أمروا بالاجتماع به ولهذا قال: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} أي: الموجب لعدم الاختلاف، وإنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم على بعض والظلم.

{إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} فيميز المحق من المبطل والذي حمله على الاختلاف الهوى أو غيره.

- بماذا أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟

ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي {فَاتَّبِعْهَا} فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح، {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هواه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون.

{إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} أي: لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر إن اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن توافقهم وتواليهم فإنك وإياهم متباينون، وبعضهم ولي لبعض {واللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته.

- لماذا سمى الله القرآن بصائر؟

{هَذَا} القرآن الكريم والذكر الحكيم {بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس فيحصل به الانتفاع للمؤمنين، والهدى والرحمة.

- من الذي ينتفع بهذه البصيرة؟

{لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} فيهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين وفروعه ويحصل به الخير والسرور والسعادة في الدنيا والآخرة وهي الرحمة. فتزكو به نفوسهم وتزداد به عقولهم ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند.

- هل يستوي المذنبون ومن يعملون الصالحات؟

أم حسب المسيئون المكثرون من الذنوب المقصرون في حقوق ربهم.

{أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بأن قاموا بحقوق ربهم، واجتنبوا مساخطه ولم يزالوا مؤثرين رضاه على هوى أنفسهم؟ أي: أحسبوا أن يكونوا {سَوَاءً} في الدنيا والآخرة؟ ساء ما ظنوا وحسبوا وساء ما حكموا به، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين العاملين الصالحات لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة.

- ما الحكمة من خلق السماوات والأرض؟

خلق الله السماوات والأرض بالحكمة وليعبد وحده لا شريك له، ثم يجازي بعد ذلك من أمرهم بعبادته وأنعم عليم بالنعم الظاهرة والباطنة هل شكروا الله تعالى وقاموا بالمأمور؟ أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور.

- ما حال متبع الهوى؟

يقول تعالى: {أَفَرَأَيْتَ} الرجل الضال الذي {اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. {وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ} فلا يسمع ما ينفعه، {وَقَلْبِهِ} فلا يعي الخير {وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً} تمنعه من نظر الحق، {فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ} أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه.

- كيف أنكر الكفار البعث وماهي حجتهم؟

{وَقَالُوا} أي: منكرو البعث {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس وما مات فليس براجع إلى الله ولا مجازى بعمله.

وقولهم هذا صادر عن غير علم {إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان.

إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة ولهذا قال تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} وهذا جراءة منهم على الله، حيث اقترحوا هذا

الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق، قال تعالى: {قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالا وتهيئوا له.

- ما دلالة سعة ملك الله عز وجل وانفراده بالتصرف في جميع الأوقات؟

يخبر تعالى عن سعة ملكه وانفراده بالتصرف والتدبير في جميع الأوقات وأنه {يوم تَقُومُ السَّاعَةُ} ويجمع الخلائق لموقف القيامة يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت أعمالهم باطلة لأنها متعلقه بالباطل فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق، واضمحلت عنهم وفاتهم الثواب وحصلوا على أليم العقاب.

ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة وهوله ليحذره العباد ويستعد له العباد.

- ما هو حال الأمم عند قيام الساعة؟

وَتَرَى} أيها الرائي لذلك اليوم {كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً} على ركبها خوفا وذعرا وانتظارا لحكم الملك الرحمن.

{كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا} أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى وأمة عيسى كذلك وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية وهو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه، ويحتمل أن المراد بقوله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا} أي: إلى كتاب أعمالها وما سطر عليها من خير وشر وأن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه كقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}

ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية ويدل على هذا قوله: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل، {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فهذا كتاب الأعمال.

ولهذا فصل ما يفعل الله بالفريقين فقال: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} إيمانا صحيحا وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات ومستحبات {فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ} التي محلها الجنة وما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} أي: المفاز والنجاة والربح والفلاح الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير واندفع عنه كل شر.

{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} بالله فيقال لهم توبيخا وتقريعا: {أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُم} وقد دلتكم على ما فيه صلاحكم ونهتكم عما فيه ضرركم وهي أكبر نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها، ولكن استكبرتم عنها وأعرضتم وكفرتم بها فجنيتم أكبر جناية وأجرمتم أشد الجرم فاليوم تجزون ما كنتم تعملون.

- بماذا وبخهم الله تعالى؟

ويوبخون أيضا بقوله: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم} منكرين لذلك: {مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}

فهذه حالهم في الدنيا وحال البعث الإنكار له ورد قول من جاء به قال تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا} أي: وظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم، {وَحَاقَ بِهِم} أي: نزل {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} أي: نزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به وبوقوعه وبمن جاء به.

{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُم} أي: نترككم في العذاب {كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} فإن الجزاء من جنس العمل {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ} أي: هي مقركم ومصيركم، {وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ينصرونكم من عذاب الله ويدفعون عنكم عقابه.

{ذَلِكُم} الذي حصل لكم من العذاب {بِـ} سبب {أنكم اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} مع أنها موجبة للجد والاجتهاد وتلقيها بالسرور والاستبشار والفرح.

{وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} بزخارفها ولذاتها وشهواتها فاطمأننتم إليها، وعملتم لها وتركتم العمل للدار الباقية.

{فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} أي: ولا يمهلون ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا.

- بماذا ختم السورة؟

{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ} كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم ورباهم وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

{وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي: له الجلال والعظمة والمجد.

فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبته تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظمته وجلاله والعبادة مبنية على ركنين، محبة الله والذل له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه.

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} القاهر لكل شيء، {الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة.

لمسات بيانية:

آية (٥):

***ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟(د.فاضل السامرائى)**

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١١٧})

أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى في سورة الحجر (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ {٢٢})

آية (٨-١١):

***ما دلالة اختلاف وصف العذاب في فواصل الآيات (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آَيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آَيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١١) الجاثية)؟ (د.فاضل السامرائى)**

(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آَيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩)) كما استهان واستهزأ بآيات الله له عذاب مهين، إذن ينبغي أن يهان كما استهان واستهزأ بآيات الله. (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)) هؤلاء مشركين اتخذوا من دون الله أولياء لهم والله لا يغفر أن يشرك به، عذاب عظيم لأنهم مشركون، (هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١١)) يأتي بمعنى الرجز ويأتي بمعنى العقاب المتتابع. عندنا الرجز والرجس، الرجس أي النجس وقد يأتي الرجز من النجس، أي عذاب قذر شديد متتابع لأن الذي يكفر بآيات ربه والآيات متتابعة إذن ينبغي أن يكون العذاب متتابعاً كما صنع. إستهزأ يُهان، أشرك عذاب عظيم، تتابع بالكفر بآيات الله تتابع العذاب ولهذا يتغير وصف العذاب في القرآن الكريم، وأحدهم أراد أن يكتب رسالة في العذاب في القرآن الكريم ولا أدري إن كان قد أنهاها. الاختيار في غاية الدقة.

آية (٩):

*** ما هو الفرق بين استهزأ بـ وسخر من؟(د.فاضل السامرائى)**

هنالك أمران في اللغة يذكران في الاستعمال القرآني: أولاً الاستهزاء عام سواء تستهزئ بالأشخاص وبغير الأشخاص (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا (٥٨) المائدة) الصلاة ليست شخصاً وإنما أقاويل وأفاعيل (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا (٩) الجاثية) (وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا (٢٣١) البقرة) (قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (٦٥) التوبة) إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص أما السخرية ففي الأشخاص تحديداً لم ترد في القرآن إلا في الأشخاص

***(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) الجاثية) (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) السجدة) ما الفرق بين يفصل ويقضي؟ وما دلالة ضمير الفصل (هو) في آية السجدة؟(د.فاضل السامرائى)**

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)).
ربنا سبحانه وتعالى قال (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ) صاروا أمتين جماعة بني إسرائيل نبيهم موسى آتيناه الكتاب وأنت أيضاً يا محمد آتيناك الكتاب فصاروا ملّـين مختلفتين فلا تكن في مرية من لقائه. نقرأ الآية الثانية لنرى الفرق بينهما ونشرح، آية الجاثية (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)) الاختلاف بين بني إسرئيل في ملة واحدة (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ)، في آية السجدة الاختلاف بين أمم مختلفة وعلى الأقل بين أمة الإسلام وبني إسرائيل أما آية الجاثية فالفصل بين ملة واحدة مختلفة فيما بينها، أيّ الذي يدعو إلى الاختلاف أكثر والتوكيد بين مِلّة واحدة أو ملل مختلفة؟ بين ملل مختلفة فلما كان بين ملل مختلفة قال (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ) أكّد وما كان بين ملة واحدة قال (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ)

آية (٣٧):

*** لماذا لم يقل سبحانه لله الحمد فى سورة الفاتحة مثلما قال فى الجاثية (فلله الحمد)؟ (د.فاضل السامرائى)**

الحمد الله تقال إذا كان هناك كلام يراد تخصيصه (مثال لفلان الكتاب) تقال للتخصيص والحصر فإذا قدم الجار والمجرور على اسم العلم يكون بقصد الاختصاص والحصر (لإزالة الشك أن الحمد سيكون لغير الله).

الحمد لله في الدنيا ليست مختصة لله سبحانه وتعالى الحمد في الدنيا قد تقال لأستاذ أو سلطان عادل أما العبادة فهي قاصرة على الله سبحانه وتعالى المقام في الفاتحة ليس مقام اختصاص أصلا وليست مثل إياك نعبد أو إياك نستعين. فقد وردت في القران الكريم (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) الجاثية (لآية ٣٦).

المقام في سورة الفاتحة هو مقام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية أما في سورة الجاثية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والموت لغير الله سبحانه لذا اقتضى ذكر تفضله سبحانه بأنه خلق السموات والأرض واثبت لهم أن الحمد الأول لله سبحانه على كل ما خلق لنا فهو المحمود الأول لذا جاءت فلله الحمد مقدمة حسب ما اقتضاه السياق العام للآيات في السورة.

الوصايا العملية:

- الكذب والإصرار على الذنب والكبر والاستهزاء بآيات الله صفات أهل الضلال وينال الوعيد .
- النعم تقتضي من العباد شكر المعبود .
- أركان الشكر : ١- الإعتراف بالنعمة .٢- تسخيرها في طاعة الله ونسبتها لله فادع الله أن يبعد عنك الغرور وعليك بذل الجهد في غاية الجهد في شكره بالطاعة .
- من صبر وصفح سيجزيه الله أجر عظيما حتى لو كان مشرك .
- الإحسان للخلق وخاصة لمن أساء إلينا من المسلمين .
- احذري من الشيطان والهوى فإنهم يمنعان من الصفح والعفو .
- سنموت ولا يبقى إلا العمل الصالح والعفو الصفح فهذه الحساسيات المشاحنات كله من أجل الدنيا .
- الظالمون أولياء بعض .
- الله ولي المتقين ييسر لهم الطاعة وسبلها .
- أسأل الله أن يرزقك البصيرة .
- اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بعين الله .
- كلما غض الإنسان بصيرة زادت بصيرته .
- ادع اللهم أرنا الحق حق وازرقا إتباعه وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه .
- وجوب إتباع الشرع والبعد عن إتباع أهواء البشر .إتباع الهوى يهلك صاحبه .
- هل يستوي من قدم رضا الله على هوى نفسه بمن قدم هواه على رضا الله .
- من شؤم المعصية ضيق خلق حتى لو هيئت له جميع أمور السعادة .
- من آثار الذنوب الوحشة بين الناس وخاصة مع الأقارب حتى تصل به الذنوب إلى أن تكون بينه وبين نفسه كالاكتئاب والانتحار .
- على قدر عملك وإحسانك تصل الدرجات العالية عند الله .
- من عدل الله لا يظلم أحد من أطاع فله الجنة ومن كفر فله النار .
- الكفار أغلق الله عليهم أبواب الهداية السمع والقلب والبصر والله أعلم .
- الذين أبطلوا الحق أعمالهم باطلة .
- عليك بمراقبة نفسك فكل ما يصدر منك يستنسخ من قول وفعل .
- أكثر من (للهم أرزقنا رحمتك وفضلك فإنه لا يملكها إلا أنت) .
- نسيان الله للعبد يوم لقيامة المكث الطويل في النار .ونسيانه في الدنيا بعدم توفيقه.
- الاستهزاء بآيات الله كفر .
- خطر الإغترار بلذات الدنيا وشهواتها .
- لا تغرنكم الحياة الدنيا والركض ورائها .
- ربوبية الله عامة لسائر خلقه أوجدهم من العدم ورزقهم ويسر أمورهم .

- ربوبية خاصة للمؤمنين هداهم للإسلام والعمل .
- العبادة لها ركنان الإخلاص والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم .
- انتبهي من سب الدهر ك يالشؤم هذا ليوم .
- الدهر ليس من أسماء الله .
- مباح قول _ ما أشد حر اليوم أو برده - كقول لوط عليه السلام هذا يوم عصيب .
- إن من سب الدهر على أنه الفاعل شرك أكبر .
- من سب الدهر بغير اعتقاد أنه الفاعل بل يعتقد أن الله هو الفاعل لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر الذي يكرهه عنده فهو محرم .
- ثبوت صفة الكبرياء لله تعالى .

تناسب فواتح سورة الجاثية مع خواتيمها:

أولها (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣)) ثم يقول (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آَيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آَيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩)) هذه أوائل السورة، نلاحظ ماذا يقول في الآخر (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣١)). (تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) هذا في الآخر، في الأول (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آَيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا) هذا تناسب طيب. قال (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آَيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا) يصف الأفاك الأثيم في الأول والأفّاك صاحب الإفك أي الكاذب، ذكر أموراً وصف الأفاك الأثيم بها. في الآخر قال (ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)) وفي الأول (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آَيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) هذا عن الأفاك الأثيم، هذا تناسب جيد ظاهر. هزوا بمعنى استهزاء وسخرية. في البداية قال (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩)) وفي الآخرة (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)) العذاب يكون في النار فاليوم لا يخرجون من النار أي خالدين ولا يقبل منهم اعتذارٌ أصلاً وهذا عذاب مهين. كأن كونهم لا يخرجون من النار ولا يستعتبون صورة من صور العذاب المهين يوم القيامة. ثم قال في البداية (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣)) وفي النهاية (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦)) صاحب الآيات التي ذكرها رب العالمين (وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)). الآيات في السموات ينبغي أن يُحمد عليها الله وينزه ويعظّم، إذن فيها تناسب.

| ● | نهاية سورة الجاثية | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الأحقاف ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســــورة الأحقاف

بين يدي السورة:

- اسمها سورة الأحقاف.
- سورة مكية.
- محور السورة: إثبات أصول العقيدة الإسلامية الثلاثة: وهي التوحيد، والرسالة والوحي، والبعث والجزاء. وهذا مقصود القرآن كله.

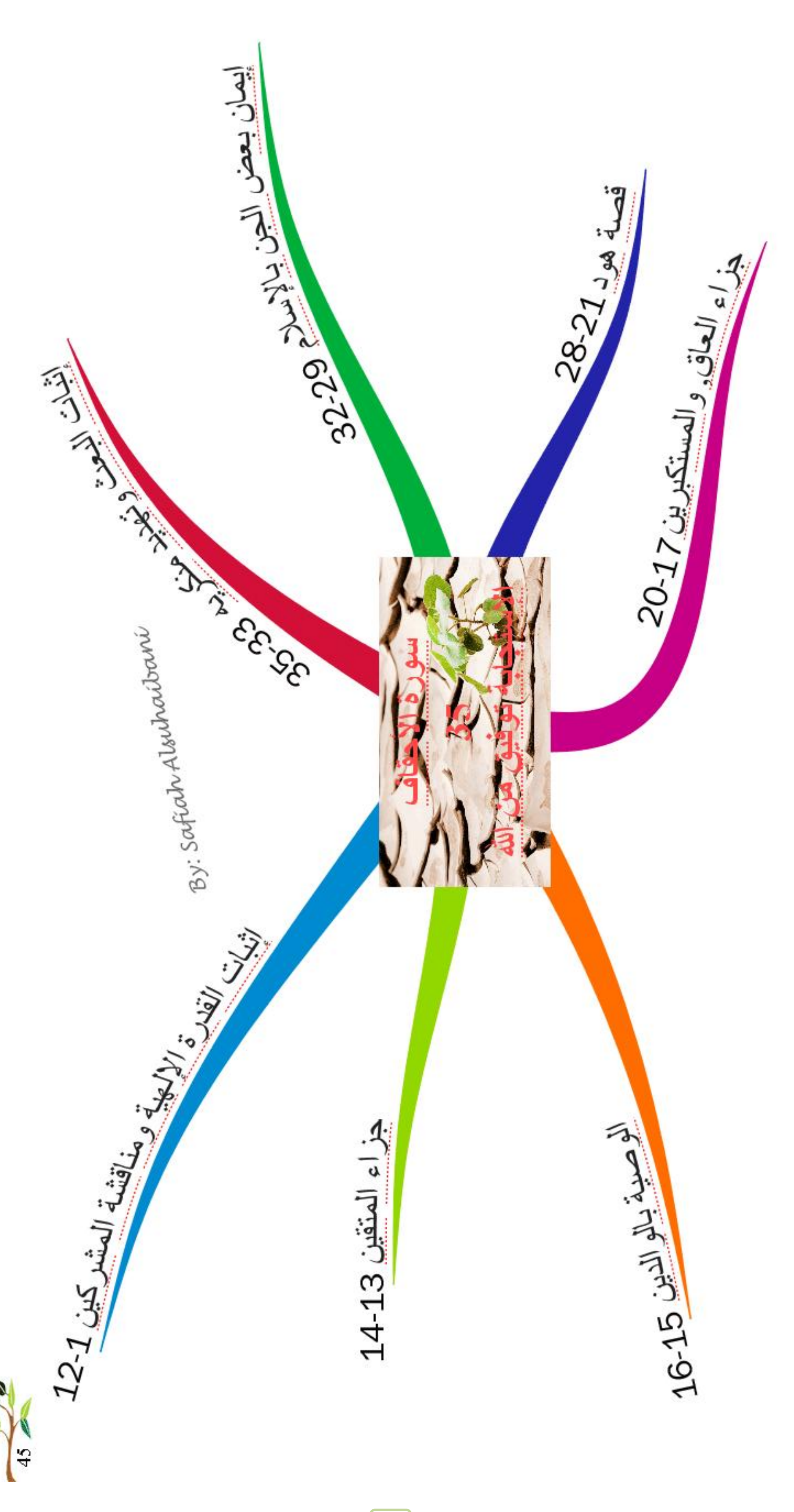
المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

أن الله تعالى لما ختم الجاثية بذكر التوحيد وذم أهل الشرك والوعيد، افتتح الأحقاف بالتوحيد، ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

إن نظم أول هذه السورة كنظم أول سورة الجاثية، ونستطيع أن نقول: إن مضمون سورة الأحقاف هو نفس مضمون السورة التي قبلها –سورة الجاثية- فقد تناولت موضوع العقيدة: التوحيد والرسالة (القرآن من عند الله)، ثم البعث والمسؤولية في الآخرة.

محاور السورة:



تدارس السورة كاملة:

التفسير الموضوعي للسورة:

- الآيات (١ – ١٤) القرآن حق من عند الله يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك.
- الآيات (١٥ – ٢٠) الفطرة في استقامتها وفي انحرافها. وهذا انتقال إلى قول آخر من أقوال المشركين، وهو كلامهم في إنكار البعث وجدالهم فيه، فإن ذلك من أصول كفرهم بمحل القصد.
- الآيات (٢١ – ٢٨) خسران المكذبين، وهلاكهم في الدنيا وعبرة لمن يعتبر.
- الآيات (٢٩ – ٣٥) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مصدّق من عند الثقلين، ومعظّم في العالمين؛ الإنس والجن. بعد ذكر إهلاك الأقوام المكذبة من الإنس في المقطع السابق ذكر هنا إيمان الجن بالله وتصديقهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، وإيمانهم بما أنزل عليه من الوحي، وربطه بالحق المنزل سابقاً على موسى عليه السالم، ثم ختم السورة بالدليل على قدرة الله على بعث الموتى والتهديد بالعذاب الدائم يوم القيامة للمكذبين.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا الإخلاص والبركة والقبول والصدق.

عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة قلت :من هذا ؟ فقالوا: حارثة بن النعمان)فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلكم البر كذلكم البر ،وكان أبر الناس بأمه)
من روائع هذا الدين تمجيده للبر حتى صار يعرف به فحقا إن الإسلام دين البر وأعظم البر (بر الوالدين)الذي لو استغرق المؤمن عمره كله في تحصيله لكان أفضل من جهاد النفل.
وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين حتى قرن تعالى الأمر بالإحسان إليهما بعبادته التي هي توحيده قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها...)
وللبر شروط:
١/أن يؤثر الابن رضا والديه على رضا نفسه وزوجته وأولاده والناس أجمعين.
٢/أن يطيعهما في كل ما يأمرانه وإن لم يوافق رغباته ما لم يأمراه بمعصية .
٣/أن يقدم لهما كل ما يلحظ أنهما يرغبان فيه من غير أن يطلبان منه عن طيب نفس وسرور.
كيف يكون بر الوالدين؟
الإحسان إليهما أعلى المراتب والبر بهما يشمل كل ما من شأنه إرضاءهما وإدخال السرور عليهما.
ونحن مطالبون ببرهما في حياتهما وبعد مماتهما .

*بر الوالدين في حياتهما:
١/طاعتهما واجتناب معصيتهما وتقديم طاعتهما على كل طاعة ما لم يأمرا بمعصية الله.
٢/الإحسان لهما بالقول والفعل.
٣/الدعاء لهما بالرحمة والإكثار من الاستغفار لهما ،قال صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول :يارب أنى لي هذا؟ فيقال:باستغفار ولدك لك)
٤/عدم نهرهما أو الضجر والتأفف منهما ورفع الصوت عليهما.
٥/العمل على ما يسرهما ويدخل الفرح في قلبيهما من غير أن يأمرا به.
٦/عدم مقاطعتهما أثناء الكلام والإصغاء لحديثهما والإقبال عليهما بالوجه وعدم رد حديثهما.
٧/مخاطبتهما بلين الخطاب والتلطف معهما بالكلام .
٨/عدم التكبر والترفع عليهما.
٩/مقابلتهما بطلاقة الوجه ومبادأتهما بالسلام وتقبيل أيديهما ورؤسهما والتوسيع لهما في المجلس.
١٠/عدم القيام أمامهما بما ينافي الأدب كمد الرجل أمامهما أو رفعها في مواجهتهما .
١١/مساعدتهما في أعمالهما فليس من اللائق أن يرى الولد والده وهو يحمل شيئا ويسير إلى جانبه.
١٢/تلبية ندائهما حال سماعه بسرعة .
١٣/المحافظة على شرفهما وسمعتهما ومالهما.
١٤/عدم إزعاجهما وتعكير صفوهما ،مشاورتهما في الأمور والاستنارة برأيهما ،عدم لومهما إذا عملا عملا لا يعجبك.
*برهما بعد موتهما:
فمن كان مقصرا في بر والديه في حياتهما فلا تزال الفرصة أمامه لتعويض ما فاته من الأجر.
عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه أنه قال :بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة فقال:يا رسول الله هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم ،الصلاة عليهما (أي الدعاء لهما)والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما)
ومن برهما بعد موتهما التصدق عنهما عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت ،فهل لها أجر إن تصدقت عنها،قال: نعم)
أيضا من برهما قضاء نذرهما.
رأى ابن عمر رضي الله عنه رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال :يا ابن عمر أتراني جازيتها؟
قال:ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ،ولكن أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا.
وعلي بن الحسن رضي الله عنهم كان كثير البر بأمه حتى قيل له: أنت من أبر الناس بأمك ولا نراك تؤاكل أمك ؟
فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها.
وكان حيوة بن شريح وهو أحد أئمة المسلمين يقعد في حلقة يعلم الناس فتقول له أمه :قم يا حيوة فألق الشعير للدجاج ،فيقوم ويترك التعليم.
وقيل لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى فقيل له:ما يبكيك ؟قال:كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة وغلق أحدهما.

نسأل الله أن يرزقنا بر والدينا .
قال تعالى:(ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا...)
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه الآية في تدارسنا.

فوائد وأسئلة تدبرية:

*بماذا افتتحت سورة الأحقاف ،وماذا يتضمن ذلك؟
(حم () تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ*ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)
١/هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره والإقبال على تدبر آياته واستخراج كنوزه.
٢/خلق السماوات والأرض.
*لماذا ورد خلق السماوات والأرض بعد ذكره تنزيل الكتاب العزيز؟
ولما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهي ذكر خلقه السماوات والأرض فجمع بين الخلق والأمر أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ كما قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ وكما قال تعالى: يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ) فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين وخلق مساكنهم وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض ثم أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وأمرهم ونهاهم وأخبرهم أن هذه الدار دار أعمال وممر للعمال لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها، وأنهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة والقرار وموطن الخلود والدوام، وإنما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملا موفرا.
*لماذا يقيم سبحانه الأدلة على الدار الآخرة،ويذيقهم من الثواب والعقاب العاجل؟
وأقام تعالى الأدلة على تلك الدار وأذاق العباد نموذجا من الثواب والعقاب العاجل ليكون أدعى لهم إلى طلب المحبوب والهرب من المرهوب.
*ما الحكمة من خلق السماوات والأرض؟
(مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقّ) أي: لا عبثا ولا سدى بل ليعرف العباد عظمة خالقهما ويستدلوا على كماله ويعلموا أن الذي خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء وأن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى (أَجَلٍ مُسَمًّى)
فلما أخبر بذلك وهو أصدق القائلين وأقام الدليل وأنار السبيل أخبر مع ذلك أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضا عن الحق، وصدوفا عن دعوة الرسل فقال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ) وأما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم، وتلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالانقياد والتعظيم ففازوا بكل خير، واندفع عنهم كل شر.
*هل الأوثان تستحق شيئا من العبادة ،ولماذا؟ وما الأدلة التي استعملت لنفي استحقاقها للعبودية؟
قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) .

أي: (قُلْ) لهؤلاء الذين أشركوا بالله أوثانا وأندادا لا تملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، قل لهم مبينا عجز أوثانهم وأنها لا تستحق شيئا من العبادة:-الدليل العقلي (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ) هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئا؟ هل خلقوا جبالا؟ هل أجروا أنهارا؟ هل نشروا حيوانا؟ هل أنبتوا أشجارا؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلا عن غيرهم، فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة.

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي فقال: (ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) الكتاب يدعو إلى الشرك (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) موروث عن الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم قال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ وكل رسول قال لقومه: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فعلم أن جدال المشركين في شركهم غير مستندين فيه على برهان ولا دليل وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول فاسدة. يدلك على فسادها استقراء أحوالهم وتتبع علومهم وأعمالهم والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته هل أفادهم شيئا في الدنيا أو في الآخرة؟

*هل أفادت الأوثان أصحابها شيئا؟

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي: مدة مقامه في الدنيا لا ينتفع به بمثقال ذرة (وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) لا يسمعون منهم دعاء ولا يجيبون لهم نداء هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم.

(وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) .

(وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً) يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض (وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)

*ما موقف المكذبين من آيات الله؟

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) .

أي: وإذا تتلى على المكذبين (آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) بحيث تكون على وجه لا يمترى بها ولا يشك في وقوعها وحقها لم تفدهم خيرا بل قامت عليهم بذلك الحجة، ويقولون من إفكهم وافترائهم (لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) أي: ظاهر لا شك فيه وهذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول، وإلا فبين الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبين السحر من المنافاة والمخالفة أعظم مما بين السماء والأرض، وكيف يقاس الحق - الذي علا وارتفع ارتفاعا على الأفلاك وفاق بضوئه ونوره نور الشمس وقامت الأدلة الأفقية والنفسية عليه، وأقرت به وأذعنت أولو البصائر والعقول الرزينة- بالباطل الذي هو السحر الذي لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل؟! فهو مناسب له وموافق لحاله وهل هذا إلا من البهرجة؟

*بماذا أمر الله رسوله أن يرد على من وصفه بافتراء القرآن؟

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أي: افترى محمد هذا القرآن من عند نفسه فليس هو من عند الله.

(قُلْ) لهم: (إِنِ افْتَرَيْتُهُ) فالله علي قادر وبما تفيضون فيه عالم، فكيف لم يعاقبني على افترائي الذي زعمتم؟ فهل (تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) إن أرادني الله بضر أو أرادني برحمة (كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) فلو كنت متقولا عليه لأخذ مني باليمين ولعاقبني عقابا يراه كل أحد لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولا ثم دعاهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة الحق ومخاصمته فقال: (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أي: فتوبوا إليه وأقلعوا عما أنتم فيه يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم فيوفقكم للخير ويثيبكم جزيل الأجر.

*ما الدليل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به من الرسالة؟
(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) أي: لست بأول رسول جاءكم حتى تستغربوا رسالتي وتستنكروا دعوتي فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم فلأي شيء تنكرون رسالتي؟ (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ) أي: لست إلا بشرا ليس بيدي من الأمر شيء والله تعالى هو المتصرف بي وبكم الحاكم علي وعليكم، ولست الآتي بالشيء من عندي، (وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ) فإن قبلتم رسالتي وأجبتم دعوتي فهو حظكم ونصيبكم في الدنيا والآخرة، وإن رددتم ذلك علي فحسابكم على الله وقد أنذرتكم ومن أنذر فقد أعذر.
*(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ)
أي: أخبروني لو كان هذا القرآن من عند الله وشهد على صحته الموفقون من أهل الكتاب الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق فآمنوا به واهتدوا فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم النبلاء واستكبرتم أيها الجهلاء الأغبياء فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ومن الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه.
*ماذا قال الكفار لرد الحق الذي جاءهم ،ولماذا؟
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢) .
أي: قال الكفار بالحق معاندين له ورادين لدعوته: (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) أي: ما سبقنا إليه المؤمنون أي: لكنا أول مبادر به وسابق إليه وهذا من البهرجة في مكان، فأي دليل يدل على أن علامة الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟ هل هم أزكى نفوسا؟ أم أكمل عقولا؟ أم الهدى بأيديهم؟
ولكن هذا الكلام الذي صدر منهم يعزون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه ولهذا قال: (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) أي: هذا السبب الذي دعاهم إليه أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن وفاتهم أعظم المواهب وأجل الرغائب قدحوا فيه بأنه كذب وهو الحق الذي لا شك فيه ولا امتراء يعتريه.
*ما أفضل الكتب المنزلة بعد القرآن ،وهل وافقه؟
(ومن قبله كتاب موسى)الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصا أكملها وأفضلها بعد القرآن وهي التوراة التي أنزلها الله على موسى (إِمَامًا وَرَحْمَةً) أي: يقتدي بها بنو إسرائيل ويهتدون بها فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة.
*بماذا تميز القرآن؟
(وَهَذَا) القرآن (كِتَابٌ مُصَدِّقٌ) للكتب السابقة شهد بصدقها وصدَّقها بموافقته لها وجعله الله (لِسَانًا عَرَبِيًّا) ليسهل تناوله ويتيسر تذكره، (لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الوبيل ويبشر المحسنين في عبادة الخالق وفي نفع المخلوقين بالثواب الجزيل في الدنيا والآخرة ويذكر الأعمال التي ينذر عنها والأعمال التي يبشر بها.
*ما جزاء من استقام على دين الله؟
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)
أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية والتزموا طاعته
وداموا على ذلك، و (اسْتَقَامُوا) مدة حياتهم (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من كل شر أمامهم، (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما خلفوا وراءهم.

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) أي: أهلها الملازمون لها الذين لا يبغون عنها حولا ولا يريدون بها بدلا (خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الإيمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها.

*لما أمر الله عباده بالإحسان للوالدين بين السبب لهذا الأمر فما هو؟

(وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا) .

هذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه الإحسان.

ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة، وليست المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين،

وإنما ذلك مدة طويلة قدرها (ثَلاثُونَ شَهْرًا) للحمل تسعة أشهر ونحوها والباقي للرضاع هذا هو الغالب.

*ما أقل مدة الحمل؟

ويستدل بهذه الآية(وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع - وهي سنتان- إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل

*ما حال الابن الصالح(حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي)

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) أي: نهاية قوته وشبابه وكمال عقله، (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) أي: ألهمني ووفقني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ) أي: نعم الدين ونعم الدنيا، وشكره بصرف النعم في طاعة مسديها وموليها ومقابلته منته بالاعتراف والعجز عن الشكر والاجتهاد في الثناء بها على الله.

(وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) بأن يكون جامعا لما يصلحه سالما مما يفسده، فهذا العمل الذي يرضاه الله ويقبله ويثيب عليه.

*لماذا قال: (أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي)؟

النعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم لأنهم لا بد أن ينالهم منها ومن أسبابها وآثارها، خصوصا نعم الدين فإن صلاح الوالدين بالعلم والعمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم.

*هل صلاح الأولاد ينتفع منه الآباء؟

(وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) لما دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم، وذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله: (وَأَصْلِحْ لِي)

(إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ) من الذنوب والمعاصي ورجعت إلى طاعتك (وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(أُولَئِكَ) الذين ذكرت أوصافهم (الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) وهو الطاعات لأنهم يعملون أيضا غيرها. (وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ) فِي جملة (أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) فحصل لهم الخير والمحبوب وزال عنهم الشر والمكروه.

(وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) أي: هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادق من أصدق القائلين الذي لا يخلف الميعاد.

*ما حال الابن العاق؟

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٩) .

لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه ذكر حالة العاق وأنها شر الحالات فقال: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ) إذ دعواه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وخوفاه الجزاء.

_ما أعظم إحسان الوالدين لأولادهم؟

وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية وفلاحه السرمدي فقابلهما بأقبح مقابلة فقال: (أُفٍّ لَكُمَا) أي: تبا لكما ولما جئتما به.

ـ ماحجة هذا الابن في عدم تلبية نداء أبويه له لإيمان بالله؟

ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك فقال: (أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ) من قبري إلى يوم القيامة (وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي) على التكذيب وسلفوا على الكفر وهم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور وجهول ومعاند؟ (وَهُمَا) أي: والداه (يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ) عليه ويقولان له: (وَيْلَكَ آمِنْ) أي: يبذلان غاية جهدهما ويسعيان في هدايته أشد السعي حتى إنهما - من حرصهما عليه- أنهما يستغيثان الله له استغاثة الغريق ويسألانه سؤال الشريق ويعذلان ولدهما ويتوجعان له ويبينان له الحق فيقولان: (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، وولدهما لا يزداد إلا عتوا ونفورا واستكبارا عن الحق وقدحا فيه، (فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أي: إلا منقول من كتب المتقدمين ليس من عند الله ولا أوحاه الله إلى رسوله، وكل أحد يعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب ولا يقرأ ولا تعلم من أحد، فمن أين يتعلمه؟ وأنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؟.

(أُولَئِكَ الَّذِينَ) بهذه الحالة الذميمة (حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أي: حقت عليهم كلمة العذاب (فِي) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) على الكفر والتكذيب فسيدخل هؤلاء في غمارهم وسيغرقون في تيارهم.

(إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) والخسران فوات رأس مال الإنسان، وإذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى وأحرى، فهم قد فاتهم الإيمان ولم يحصلوا على شيء من النعيم ولا سلموا من عذاب الجحيم.

*(ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون)

(وَلِكُلٍّ) من أهل الخير وأهل الشر (دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا) أي: كل على حسب مرتبته من الخير والشر ومنازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم ولهذا قال: (وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) بأن لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

*ما حال الكفار عند عرضهم على النار؟

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠) .

يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون ويقرعون فيقال لهم: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) حيث اطمأننتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها ورضيتم بشهواتها وألهتكم طيباتها عن السعي لآخرتكم وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم، (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق، أي: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله وإلى حكمه وأنتم كذبة في ذلك، (وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) أي: تتكبرون عن طاعته، فجمعوا بين قول

الباطل والعمل بالباطل والكذب على الله بنسبته إلى رضاه والقدح في الحق والاستكبار عنه فعوقبوا أشد العقوبة.

*ما قصة أصحاب الأحقاف الذين أرسل لهم هود عليه السلام؟وما المقصود ب(الأحقاف)؟

(وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ).

أي: (وَاذْكُرْ) بالثناء الجميل (أَخَا عَادٍ) وهو هود عليه السلام، حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه وإرشاد الخلق إليه.

(إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ) وهم عاد (بِالأحْقَافِ) أي: في منازلهم المعروفة بالأحقاف وهي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن.

وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ فلم يكن بدعا منهم ولا مخالفا لهم، قائلا لهم: أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

فأمرهم بعبادة الله الجامعة لكل قول سديد وعمل حميد، ونهاهم عن الشرك والتنديد وخوفهم - إن لم يطيعوه- العذاب الشديد فلم تفد فيهم تلك الدعوة.

ـ ما معنى " تأفكنا"؟

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا أي: ليس لك من القصد ولا معك من الحق إلا أنك حسدتنا على آلهتنا فأردت أن تصرفنا عنها.

فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ وهذا غاية الجهل والعناد.

قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ فهو الذي بيده أزمة الأمور ومقاليدها وهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء. وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ أي: ليس علي إلا البلاغ المبين، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة، فأرسل الله عليهم العذاب العظيم وهو الريح التي دمرتهم وأهلكتهم.

ـ عندما رأووا العذاب كيف كان موقفهم منه؟

ولهذا قال: فَلَمَّا رَأَوْهُ أي: العذاب عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ أي: معترضا كالسحاب قد أقبل على أوديتهم التي تسيل فتسقي نوابتهم ويشربون من آبارها وغدرانها.

قَالُوا مستبشرين: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا أي: هذا السحاب سيمطرنا.

قال تعالى: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ أي: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم حيث قلتم: فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ

تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ تمر عليه من شدتها ونحسها.

فسلطها الله عليهم سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [بِأَمْرِ رَبِّهَا أي: بإذنه ومشيئته] . فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ قد تلفت مواشيهم وأموالهم وأنفسهم. كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ بسبب جرمهم وظلمهم.

*(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة)

ـ كيف يكون تمكين الله للعباد؟

هذا مع أن الله تعالى قد أدر عليهم النعم العظيمة فلم يشكروه ولا ذكروه ولهذا قال: وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ أي: مكناهم في الأرض يتناولون طيباتها ويتمتعون بشهواتها

وعمرناهم عمرا يتذكر فيه من تذكر، ويتعظ فيه المهتدي، أي: ولقد مكنا عادا كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون أي: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص بكم وأنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئا، بل غيركم أعظم منكم تمكينا فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئا.
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً أي: لا قصور في أسماعهم ولا أبصارهم ولا أذهانهم حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلا منهم وعدم تمكن من العلم به ولا خلل في عقولهم ولكن التوفيق بيد الله. فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ لا قليل ولا كثير، وذلك بسبب أنهم يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الدالة على توحيده وإفراده بالعبادة.
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أي: نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه ويستهزئون بالرسل الذين حذروهم منه.
*بماذا حذر الله مشركي العرب إن تمادوا بكفرهم؟
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨) .
يحذر تعالى مشركي العرب وغيرهم بإهلاك الأمم المكذبين الذين هم حول ديارهم، بل كثير منهم في جزيرة العرب كعاد وثمود ونحوهم وأن الله تعالى صرف لهم الآيات أي: نوعها من كل وجه، (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عماهم عليه من الكفر والتكذيب.
فلما لم يؤمنوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ولم تنفعهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء ولهذا قال هنا: (فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً) أي: يتقربون إليهم ويتألهونهم لرجاء نفعهم.
(بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ) فلم يجيبوهم ولا دفعوا عنهم، (وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من الكذب الذي يمنون به أنفسهم حيث يزعمون أنهم على الحق وأن أعمالهم ستنفعهم فضلت وبطلت.
*هل الجن مأمورون بإتباع محمد صلى الله عليه وسلم،ولماذا صرف الله النفر إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟
وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٣٢) .
كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق إنسهم وجنهم وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة.
فالإنس يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم وإنذارهم، وأما الجن فصرفهم الله إليه بقدرته وأرسل إليه (نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا) أي: وصى بعضهم بعضا بذلك، (فَلَمَّا قُضِيَ) وقد وعوه وأثر ذلك فيهم (وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) نصحا منهم لهم وإقامة لحجة الله عليهم وقيضهم الله معونة لرسوله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته في الجن.
(قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى)
_لماذا خصوا التوراة دون ذكر الإنجيل مع قربه بالعهد؟
لأن كتاب موسى أصل للإنجيل وعمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع، وإنما الإنجيل متمم ومكمل ومغير لبعض الأحكام.

*بماذا وصف الجن القرآن بعدما استمعوه؟وبماذا أمروا قومهم؟
(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي) هذا الكتاب الذي سمعناه (إِلَى الْحَقِّ) وهو الصواب في كل مطلوب وخبر (وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) موصل إلى الله وإلى جنته من العلم بالله وبأحكامه الدينية وأحكام الجزاء.
فلما مدحوا القرآن وبينوا محله ومرتبته دعوهم إلى الإيمان به، فقالوا: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) أي: الذي لا يدعو إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه ولا هوى وإنما يدعوكم إلى ربكم ليثيبكم ويزيل عنكم كل شر ومكروه، ولهذا قالوا: (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وإذا أجارهم من العذاب الأليم فما ثم بعد ذلك إلا النعيم فهذا جزاء من أجاب داعي الله.
(وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ) فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب ولا يغالبه مغالب. (وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) وأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات فأعرض واستكبر؟
*بماذا استدل الله سبحانه وتعالى على الإعادة بعد الموت؟
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) .
هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها، وهو أنه الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما وسعتهما وإتقان خلقهما من دون أن يكترث بذلك ولم يعي بخلقهن فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥) .
*يخبر الله للمرة الثانية في هذه السورة عن حال الكفار عند عرضهم على النار ،فما هو حالهم؟
يخبر تعالى عن حال الكفار الفظيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها وأنهم يوبخون ويقال لهم: (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ) فقد حضرتموه وشاهدتموه عيانا؟ (قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا) فاعترفوا بذنبهم وتبين كذبهم (قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أي: عذابا لازما دائما كما كان كفركم صفة لازمة.
*بماذا أمر الله رسوله تجاه أذية المكذبين المعاندين له؟
ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له وأن لا يزال داعيا لهم إلى الله وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم والقفو لآثارهم والاهتداء بمنارهم.
فامتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه فصبر صبرا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعا بصده عن الدعوة إلى الله وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو صلى الله عليه وسلم لم يزل صادعا بأمر الله مقيما على جهاد أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليما.
وقوله: (وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) أي: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب فإن هذا من جهلهم وحمقهم فلا يستخفنك بجهلهم ولا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله عليهم بذلك فإن كل ما هو آت قريب، و (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا) في الدنيا (إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) فلا يحزنك تمتعهم القليل وهم صائرون إلى العذاب الوبيل.

*ما المراد بقوله تعالى: (بلاغ)
(بَلاغٌ) ١/أي: هذه الدنيا متاعها وشهوتها ولذاتها بلغة منغصة ودفع وقت حاضر قليل.
٢/أو هذا القرآن العظيم الذي بينا لكم فيه البيان التام بلاغ لكم، وزاد إلى الدار الآخرة، ونعم الزاد والبلغة زاد يوصل إلى دار النعيم و يعصم من العذاب الأليم، فهو أفضل زاد يتزوده الخلائق وأجل نعمة أنعم الله بها عليهم.
*من الذي يهلك بالعقوبات؟
(فَهَلْ يُهْلَكُ) بالعقوبات (إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أي: الذين لا خير فيهم وقد خرجوا عن طاعة ربهم ولم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل.
وأعذر الله لهم وأنذرهم فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم وكفرهم نسأل الله العصمة.

لمسات بيانية:

آية (١٥):

*ما الفرق بين كلمة الكَره بفتح الكاف والكُره بضمها ؟(د. فاضل السامرائى)

الكَره بفتح الكاف هو ما يأتي من الخارج يقابله الطوع كما في قوله تعالى (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) التوبة).

أما الكُره بضم الكاف فهو ما ينبعث من الداخل ففي قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) البقرة) جاءت كلمة الكُره لأن الإنسان بطبيعته يكره القتال وكذلك في قوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) الأحقاف) الحمل في نفس الأم ثقيل ليس مفروضاً عليها وإنما آلآم الوضع والحمل وأي إنسان لا يريد المشقة لنفسه أصلاً.

*ما الفرق بين الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) لقمان) والآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) الأحقاف) ؟ ولماذا قيل في الأولى عامين وفي الثانية ثلاثون شهراً وما هي دلالة ذكر وحذف (إحساناً) ؟

(د . فاضل السامرائي)

العامين والثلاثون شهرا واضحة باعتبار حمله وفصاله والحمل يمكن أن يكون ستة أشهر وقسم من الفقهاء استندوا إلى أن أقل الحمل ستة أشهر. هذا الحمل والفصال فذكر أقلّ الحمل وهذه الفترة ليست بيد المرأة أو الرجل لكن أقل الحمل ستة أشهر والفصال في عامين والحمل ستة أشهر فهذه ثلاثون شهراً (٢٤+٦).

مسألة إحساناً: في آية أخرى قال (حسناً) (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) العنكبوت) وفي آية (إحساناً) وفي آية لم يذكرها. في العنكبوت (حسنا)، في لقمان لم ترد (إحساناً)، في الأحقاف وردت (إحساناً). أولاً المراتب: الإحسان أكرم من الحُسن، تعامل الإنسان حسناً أمر عادي لكن أن تحسن إليه هذه مرتبة أعلى من الحسن. قال (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) لقمان) قال (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (١٥) لقمان) بينما في العنكبوت قال (وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي)، (على أن) فيها تعهد. نقول مثلاً زوجتك ابنتي لتعينني، زوجتك ابنتي على أن تعينني، (على أن تعينني) شرط كما قال تعالى (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ (٢٧) القصص)، (على أن) إشتراط. الوالدان في آية لقمان أشد كفراً يشترطون عليه الكفر (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي)، في العنكبوت (لتشرك بي) اللام هنا للتعليل. (على أن) أقوى للتشرط وفيها الإستعلاء. فلما كان في العنكبوت أقل المجاهدة قال (حسناً) ليست كالتي في لقمان. في لقمان قال (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) وكل وصية لقمان في المصاحبة مصاحبة الأب لابنه ينصحه ويعلمه ومصاحبة الإبن لأبيه ومصاحبته مع الناس ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأكثر وصية لقمان في المصاحبة كيف يتعامل مع الآخرين، في المصاحبة (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)). في العنكبوت ما دام المسألة أقل من ذلك صاحبهما. في الأحقاف لم يجاهداه على شيء (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا (١٥)) هذان أبوان مؤمنان. أولاً ذكر حالتهم. في لقمان قال (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) لم يذكر الوضع وإنما ذكر الحمل فقط، في الأحقاف ذكر الحمل والوضع (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) لأن أحياناً الإنسان شيئاً صعباً لكن يضعه بيسر لكن هنا الحالتين كره ألا يستحق الأبوين الإحسان؟ وهما مؤمنان ومستمران (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) الأحقاف) إذن هذان الأبوان مؤمنان لذا استحقا الإحسان أعلى درجة من الحسن. في العنكبوت استحقا الحسن في المعاملة، في لقمان لما جاهداه مجاهدة قوية قال صاحبهما.

ثم هناك مسألة: الله تعالى في جميع القرآن إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين في القرآن كله. مع العلم أن الوالدين مثنى والد ووالدة وغلّب المذكر الوالد والأبوين مثنى وغلّب المذكر الأب والأبوان أب وأم. (وبالوالدين إحساناً) هذه عامة لم يحدد ذكر صفة من كفر أو غيره. (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) نوح) (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) إبراهيم) (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٢٣) الإسراء) لم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين. في آية المواريث (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ (١١) النساء). (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ (٨٠) الكهف) ليس فيها مقام ذكر البر لذا قال أبواه أما في الدعاء فقال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) لا يستعمل الأبوين. الأبوين يستعملها في مكان آخر.

ما الفرق بين الوالد والأب؟ التي تلد هي الأم والوالد من الولادة والولادة تقوم بها الأم وهذه إشارة أن الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد. لكن في المواريث لأن نصيب الأب أكبر من نصيب الأم استعمل الأب (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ). في الأموال يستعمل الأبوين وفي الدعاء الوالدين.

آية (١٦):

*(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) الأحقاف) لماذا عنهم وليس منهم؟

د. فاضل السامرائي:

(قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) المائدة) في القرآن يستعمل (من) مع الجهة التي يُتقبّل منها والتي يصدر عنها العمل (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا (١٢٧) البقرة) أي نحن الجهة التي يصدر من عندنا العمل. لما يقول (عنهم) يتكلم عن العمل نفسه. في الأحقاف قال (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) ذكر العمل، أحسن ما عملوا أي العمل الصادر عنهم، يتقبل أحسن ما عملوا. يأتي بـ (عن) مع العمل الصادر و(من) مع الجهة التي تعمل العمل، مع الأشخاص. (عن) مع الشيء المتقبل في حد ذاته و(من) مع الشخص المتقبّل منه (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي (٣٥) آل عمران) (فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ (٢٧) المائدة) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ (٣٦) المائدة) من الشخص، (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) المائدة) ربنا يستعمل (من) مع الجهة التي تعمل العمل صاحبة الشيء إنما (عن) مع العمل نفسه الذي يقبل الله عز وجل.

آية (١٩):

*في سورة آل عمران قال تعالى (هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) آل عمران) وفي سورة الأنفال (لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)الأنفال) وفي الأحقاف (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا (١٩) الأحقاف)؟ (د. أحمد الكبيسى)

أولاً الجنة فيها درجات خيال (وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١) الإسراء) والدرجات نوعين درجة للرجل ودرجة في المنزلة في العطاء. يعني رئيس وزراء أعلى درجة بعد رئيس دولة قد يكون فقيراً ما عنده غير راتبه، أنا رجل عادي لكني ملياردير ولكني لست شيخاً فالشيخ درجة عالية هذا هو الشيخ نفسه درجة عالية، هذا المليادرير له درجة عالية ليس هو، ليس شخصه بس عنده في الجنة هكذا في ناس ملوك (يا علي إنك ملك الجنة وذو قرنيها) (أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين) وبالتالي هذا هو درجته عالية وفي ناس درجته ليست درجة عالية لكن هو عنده أملاك عالية . الفرق بين (لَّهُمْ دَرَجَاتٌ) و (هُمْ دَرَجَاتٌ) هم درجات هو عالي هو من ملوك الجنة. وحينئذٍ ملوك الجنة هم درجات عالية. الشعب هناك ناس لهم هو في الجنة الرابعة السابعة العاشرة المائة مائة درجة مائة كوكب الجنة مائة كوكب كل كوكب بقدر هذه الأرض ترليونات المرات ومضاعفات. إذاً هذا الفرق بين هم درجات ولهم درجات.

آية (٢٦):

*ما دلالة استخدام الأبصار بالجمع والسمع بالإفراد في قوله تعالى (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ (٢٦) الأحقاف)؟ (د. فاضل السامرائى)

السمع مصدر. البصر يقولون هو العين في المعجم إلا أنه مذكر وهي مؤنثة. معناه آلة الإبصار وتُجمع على أعين وعيون. لكن الفرق أن العين قد تكون عمياء والبصر العين المبصرة التي تبصر تحديداً وهم قالوا أن البصر هو العين إلا أنه مذكر وهي مؤنثة. البصر يدل على العين المبصرة. هناك أمر آخر أن الأبصار تدرك اشياء مختلفة متعددة في آن واحد مثل الألوان المختلفة يدركها البصر في آن واحد، والاختلاف في الطول والقصر والمتباعدة والقريبة يدركها في آن واحد. أما السمع فلا إذا تكلم أحد وأنت تسمع لغيره تقول له دعني أسمع. البصر مدركاته كثيرة ولذلك جمع لكثرة المتعلقات أما السمع أقلّ. أنت تبصر أشياء متعددة قريبة وبعيدة في آن واحد. يتعدد البصر لتعدد المدركات أما السمع فليس كذلك. إذن هناك أمران: كونه إذا كان بمعنى العين كما في المعجم فالعين تجمع عيون وأعين مثل آذان. إذا كان هناك أمر آخر يجمع البصر وهو تعدد مدركاته بخلاف السمع الذي ليس مثل البصر.

آية (٢٩):

*قال تعالى (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ (١)) ولم يصرح بالقرآن كأن يقول استمع نفر من الجن قرآناً كما قال في آية أخرى (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ (٢٩) الأحقاف) ما الفرق ؟(د. فاضل السامرائى)

هو قال (قرآناً عجباً) ولم يقل قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن للقرآن بينما في آية الأحقاف ذكر القرآن (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)) الكلام عن القرآن، ذكر وفصّل في القرآن ما لم يفصّل في سورة الجن. في سورة الجن قال (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢))، بينما في الأحقاف قال (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا (٢٩)) حضروا قراءة القرآن وأنصتوا لسماعه (فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)) لاحظ التفصيل، في الأحقاف فصّل في ذكر القرآن ما دعا إلى ذكر القرآن بينما في سورة الجن كان الكلام عن القرآن موجزاً وإشارة إلى القرآن (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)). في مقام التفصيل يفصّل وفي مقام الإيجاز يوجز مع أنه مفهوم.

آية (٣٠):

*قال تعالى (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ (٢) الجن) وفي الأحقاف قال تعالى (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠)) فما الفرق بين الرُشد والحق؟ وكيف نفهم اللمسات البيانية في الآيتين؟(د. فاضل السامرائى)

الحق ليس مناقضاً للرُشد ولا الرُشد مناقضاً للحق. الحق أعم من الرُشد، يعني يوصف بالحق أحياناً ما لا يوصف بالرشد ويُخبر عنه بما لا يخبر بالحق يعني (فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا (٦) النساء) هل يمكن أن يقال آنستم منهم حقاً؟ كلا. (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) ص) (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقّ (٦١) البقرة) (وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ (٢٨٢) البقرة) (إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ (٦٢) آل عمران) (وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ (٨٦) آل عمران) (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ (٢٧) المائدة) كلها لا يصح فيها الرُشد، الحق أعم من الرشد (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ (٥٧) الأنعام) لا يصح أن يقال يقص الرُشد، (ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ (٦٢) الأنعام) (فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ (٣٢) يونس) الحق أعمّ. وهذا أول فرق بين الحق والرشد أن الحق أعم وأنه يُذكر في أمور لا يصح فيها ذكر الرُشد. الأمر الآخر أن الرُشد لا يقال إلا في

العاقل العاقل يوصف بالرُشد أما الحق عام، نقول القتل بالحق، هذا المال حق لك، إذن الله هو الحق، الجنة حق والنار حق.

*(قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) الأحقاف) ما دلالة استعمال كلمة الطريق بدل الصراط؟(د. فاضل السامرائي)

أولاً ما الفرق بين الحق وطريق مستقيم؟ الحق هي العقائد الصحيحة والأمور الثابتة الصحيحة. الطريق المستقيم ما يُسلك من الأعمال. لماذا قال الطريق ولم يقل الصراط؟ الطريق هو السبيل الذي تطرقه الأرجل يعني مسلوك هذا هو الطريق، هو قبلها قال (إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى) هذا كلام الجن معنى أن هذا طريق مسلوك لم يبتدعه صاحبه (كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى) إذن سار على نفس الطريق ولم يبتدعه (يهدي إلى صراط مستقيم) طريق مسلوكة (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ (٩) الأحقاف) أما الصراط فهو الطريق الواسع سمي الصراط لأنه يصرط السابلة يعني يبلعهم، هو متسع ضخم أما الطريق فليس فيه هذا المعنى فقال (طريق مستقيم).

آية (٣١):

*ما الفرق بين يغفر لكم من ذنوبكم ويغفر لكم ذنوبكم ؟(د. فاضل السامرائي)

(من) تبعيضية، للتبعيض أي بعضاً من ذنوبكم. بحسب السياق تغفر بعض الذنوب أو الذنوب جميعاً. لكن هنالك أمر وهو أنه لم يرد في القرآن (يغفر لكم ذنوبكم) إلا في أمة محمد ﷺ في القرآن كله، أما (يغفر لكم من ذنوبكم) فعامّة لأمة محمد ﷺ ولغيرهم.

آية (٣٥):

* ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (هذا بلاغ للناس) سورة ابراهيم آية ٥٢ و(بلاغ) سورة الأحقاف آية ٣٥؟(د. فاضل السامرائي)

كلمة بلاغ في سورة الأحقاف هي خبر لمبتدأ محذوف وتقديره هذا بلاغ. ففي سورة الأحقاف سياق الآيات التي قبلها والمقام هو مقام إيجاز لذا اقتضى حذف المبتدأ فجاءت كلمة بلاغ ولم يخبرنا الله تعالى هنا الغرض من البلاغ . أما في سورة ابراهيم فإن الآيات التي سبقت الآية (هذا بلاغ للناس) فصّلت البلاغ والغرض منه من الآية (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) آية ٤٢.

الوصايا العملية:

- اهتدي بنور القرآن وأقبلي على تدبر آياته واستخرجي كنوزه .
- تفكري في مخلوقات الله فهي تزيد الإيمان .
- انقادي لأوامر الله واستسلمي له تفوزي بخيري الدنيا ولآخر .
- عدم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالغيب إلا ما أطلعه الله عليه .
- وجود ما يثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة .
- لست مكلف بالهداية ما عليك إلا البلاغ .
- نزل القرآن باللسان العربي ليسهل تناوله ويتيسر تذكره .
- الوصية بالإحسان للوالدين .
- البر بالوالدين ثمراته في الدنيا والآخرة .
- التحذير من العقوق .
- احرصي على تربية أولادك تربية صالحة .
- أدع لأولادك بالصلاح وجنبهم المنكرات وهذا من الإحسان لهم .
- بيان خطر التوسع في ملذات الدنيا لأنها تشغل عن الآخرة .
- العاقل من اتعظ بغيره والجاهل من اتعظ بنفسه .
- اتركي لك ذكر حسن بعد موتك .
- الجحود لا يأتي إلا مع شخص عرف الحق ثم أنكره نسأل الله العافية والسلامة .
- الجن أحسن منا إنصاتا واستماعا لآيات الله .
- إذا كنت في مجلس وخاصة مجالس الذكر فأنصت لتنتفعي وتنفعي .
- إذا حضرت مجلسا أو علما فبلغي ما تعلمتيه (بلغوا علني ولو آية) .
- الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة .
- الإقتداء بأولي العزم من الرسل في الصبر على الدعوة إلى الله .
- الاستجابة إلى الحق تقتضي المسارعة في الدعوة إليه.

تناسب فواتح سورة الأحقاف مع خواتيمها:

قال في أولها (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)) وفي أواخرها (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩))، هؤلاء نفر الجن ذهبوا يستعمون القرآن الذي أُنزل (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢))

سؤال: يستخدم القرآن الكتاب والقرآن والذكر فما الفرق بينها؟

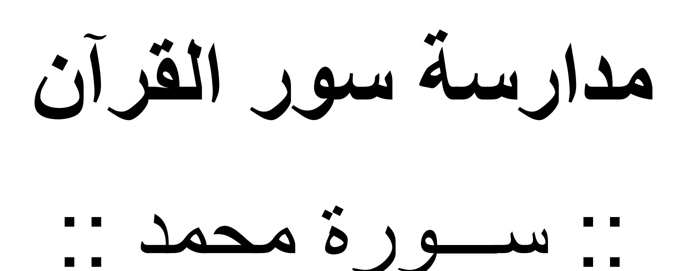
الكتاب من الكتابة والقرآن من القراءة والقرآن في اللغة مصدر من القرآءة قرأ قراءة وقرآناً. القرآن في الأصل مصدر للفعل قرأ ثم صار علماً على هذا الكتاب الذي أُنزل على سيدنا محمد (المصحف من الصحف). فالكتاب مكتوب لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ وبقية الكتب التي أنزلت والقرآن كان يُقرأ، يُكتب ويقرأ، مكتوب ومقروء. تنزيل الكتاب لأنه مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وقرآن لأنه يُقرأ.

في أول السورة قال (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣)) وفي آخرها قال (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)) أجل مسمى في الآية الأولى ما هو هذا الأجل؟ أجل مسمى يعني يوم القيامة. أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض (إنا خلقنا السموات والأرض) أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى بهذا الأجل المسمى؟ بلى قادر سبحانه. (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤)) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣)) فعاقبتهم أن يعرضوا على النار. ثم قال في النهاية (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)) وفي الأول قال (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)) قل ما كنت بدعاً من الرسل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإنك لست بدعاً فاصبر كما صبروا وما أدري ما يفعل بي ولا بكم.

سؤال: القرآن يفسر بعضه بعضاً فهل هناك تفسير للقرآن بالقرآن؟

هو من شروط المفسِّر أن ينظر في الآيات المتشابهة والمتقاربة وما ينبغي للمفسِّر أن يتصف بهذه الأمور لأنه إذا كانت لفظة وردت يرى كيف وردت في القرآن بهذا المعنى أو مخصصة أو عامة؟ كيف وردت هذه اللفظة في القرآن.

| ● | نهاية سورة الأحقاف | ● |



.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـورة محمد

بين يدي السورة:

- لها ثلاثة أسماء: أولها سورة محمد، وثانيها سورة القتال، وثالثها سورة الذين كفروا، مراعاة لمطلعها "الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم". والأشهر هو الاسم الأول، ووجهه أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الآية الثانية. وأما تسميتها بسورة القتال في بعض كتب السنة وكتب التفسير؛ فلأن مشروعية القتال ذكرت فيها في الآية الرابعة، وكما أن لفظة القتال قد ذكرت في الآية العشرين منها.
- للمفسرين في كون سورة محمد مكية أو مدنية ثلاثة أقوال، أصحها القول بأنها مدنية.
- محور السورة: الصراع بين المؤمنين والكافرين. سواء أكان صراعاً مادياً ظاهراً يسعره الكافرون ويصل إلى القتال، أم كان صراعاً خفياً يديره المنافقون من وراء ستار الإيمان الذي يتخفون وراءه.
- تعرض السورة الكريمة الملامح الفكرية والنفسية والسلوكية للشخصية الكافرة ثم المنافقة ليعرف المؤمنون عدوهم الذي يضطرهم لخوض حروب نص الله عز وجل على كراهيتهم لها، كما نهاهم رسولهم صلى الله عليه وسلم عن تمنيها (لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية).
- في خصم ذكر السورة لملامح الشخصية الكافرة والمؤمنة تعرض الملامح الفكرية والنفسية والسلوكية لشخصية المؤمنين، وتقرر حقائق حول الصراع الدائر بينهم وبين الكفار والمنافقين وحكمة هذا الصراع ومقتضياته وثمراته.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

هناك اتصال وتلاحم بين سورة محمد وما قبلها وهي سورة الأحقاف بحيث لو سقطت من البين البسملة؛ لكانا متصلاً واحداً لا تنافر فيه. فبعد أن ختم الله تعالى سورة الأحقاف بقوله "فهل يهلك إلا القوم الفاسقون" يمكن أن يقول قائل: كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة؟ دفع الله تعالى تلك الشبهة في أول سورة محمد فقال " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم" أي لم يبق لهم عمل ولم يوجد فلم يمتنع الإهلاك المذكور في الأحقاف.

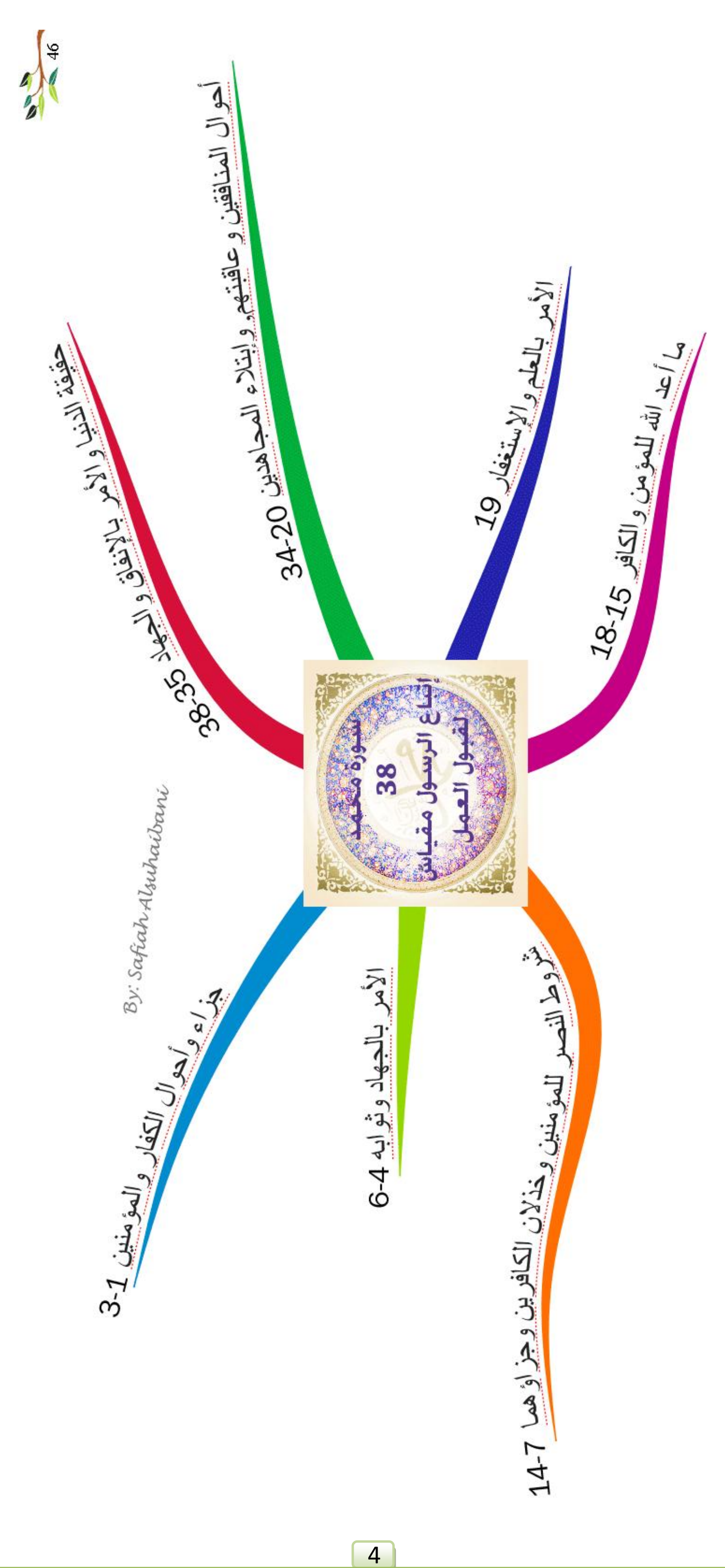
ويمكن اعتبار أول جملة في سورة محمد بدل من آخر جملة في سورة الأحقاف، بحيث لو سقطت البسملة لاتصلا على النحو الآتي "فهل يهلك إلا القوم الفاسقون" "الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم".

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

سورة الأحقاف تضمنت دلائل وحدانية الله تعالى، وحقيقة وحيه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ونقض الشرك، ودحض شبهات المشركين، وعرضت المآل الذي يصير إليه الكافرون، وحثت الرسول صلى الله عليه وسلم على الصبر حتى يتحقق موعود الله تعالى فيهم سواء أكان في العاجلة أم الآجلة. أما سورة محمد فتضمنت صفات هؤلاء الكافرين بالوحدانية وبالوحي الذي اتضحت دلائلهما في سورة الأحقاف، وبينت حرصهم على الصد عن سبيله تعالى، وحثت على السير في الأرض لمعرفة المآل الذي صار إليه أمثالهم في الدنيا، وهو المآل الذي عرضت سورة الأحقاف صوراً منه.

على أن سورة محمد تدفع المؤمنين إلى تحمل مسؤولياتهم في تحقق سنة الله عز وجل في الكافرين، ولهذا ورد فيها الأمر بنصرة دين الله تعالى، وبمعاقبة هؤلاء الكافرين على صدهم عن سبيله بالقتل أو الأسر.

محاور السورة:



تدارس السورة كاملة:

التفسير الموضوعي للسورة:

- الآيات (١ – ٦) تعريف موجز بطرفي الصراع وحث المؤمنين على القتال.
- الآيات (٧ – ١٥) سنة الله التي لا تتبدل في المؤمنين والكافرين. بعد أن عرَف في المقطع السابق بطرفي الصراع وحث الطرف المؤمن على قتال الكفار يحرض المؤمنين هنا على نصرته عموماً إن أرادوا منه النصر والتثبيت لأنفسهم، والتعس والضلال للكافرين، فتلك هي سنته التي لا تتبدل في الدنيا حسب الشواهد التي يمكن معاينتها بالسير في الأرض للنظر في عواقب السابقين. والتمايز بين الطرفين سيمتد إلى الآخرة.
- الآيات (١٦ – ٣٠) التعريف بالمنافقين والموازنة بينهم وبين المؤمنين. لما بين الله تعالى في المقطعين السابقين حال الكافر وعاقبته موازنة بحال المؤمن وعاقبته، ذكر هنا حال المنافق وعاقبته، ووازنهما بحال المؤمن وعاقبته، فهذه الجولة مع المنافقين وموقفهم إزاء شخص رسول الله صلى الله لعيه وسلم وإزاء القرآن الكريم. فذكر المنافقين هنا باعتبار أنهم فرقة من الكافرين، أو باعتبار أنهم في الظاهر طائفة من المسلمين حيث إنهم متظاهرون بالإسلام معهم.
- الآيات (٢٩ – ٣٨) تهديد الضالين ودفع المؤمنين لتحمل تكاليف الإيمان. لما بين في المقطع السابق حال المنافقين وعاقبتهم وموقفهم إزاء شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وإزاء القرآن الكريم، وموقفهم من الجهاد وتآمرهم مع اليهود، وأمر المؤمنين بتحمل تكاليف الإيمان المتمثلة في الابتلاء بالجهاد والطاعة والصبر على طول الطريق، وهددهم إن هم تولوا بأن يأتي بقوم آخرين لا يكونون مثلهم في التفريط في هذه التكاليف.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا الإخلاص والبركة والقبول والصدق.

الإسلام دين هداية ورحمة هدفه الأسمى إخراج الناس من الظلمات إلى النور وتبصيرهم بالطريق القويم الذي يهديهم إلى جنات النعيم.
ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور ونشر الإسلام وإقامة العدل ،دفع الظلم والفساد ولتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين لله شرع الله الجهاد في سبيله .
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل؟قال: إيمان بالله وبرسوله ،قيل ثم ماذا؟ قال:الجهاد في سبيل الله.
وحديث(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)

فالجهاد ذروة سنام الإسلام ومن أعلى القربات وأجل الطاعات ،شرع لإعلاء كلمة الله تعالى وتبليغ دعوته للناس كافة .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم: (للشهيد عند الله سبع خصال ،أن يغفر له في أول دفعة من دمه ،ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان ،ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ،ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ،ويزوج ثنين وسبعون زوجة من الحور ،ويشفع في سبعين أنسانا من أقاربه)حديث حسن.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) رواه مسلم.

نسأل الله أن يرزقنا الشهادة.

وقد حثنا ديننا على الجهاد في سبيل الله ،فجعل الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله هي التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة فخصه الله بالذكر لكونه من أعظم شعائر الإسلام ولما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة فالآيات القرآنية فيها من الحث على الجهاد والترغيب والتشويق له وبيان فضله وفضل المجاهدين.

وعدم تحديث النفس بالجهاد شعبة من شعب النفاق ،قال صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق)

وإن التشاغل عن الجهاد ذل للمسلمين وتسليط الأعداء عليهم ،وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمره ،والجهاد في سبيله .

سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال: نعم عليهن جهاد لا قتال فيه ،الحج والعمرة.

فالمرأة ليس لها جهاد وإنما جهادها أيضا في بيتها وتربية أبناءها تربية صالحة على الدين وتنمي فيهم روح الجهاد والدفاع عن الدين وجهادها في إعداد رجال للدين يقومون بالدين ويدافعون عنه.

ولفضل الجهاد ومكانته في الإسلام جعل الله سورة تتحدث عن القتال وكيف يقابل المسلمون الكفار في الحرب والمعركة ،بل وكان من أسماء هذه السورة (القتال)

*ما هي هذه السورة؟

سورة محمد.

اليوم بإذن الله سنتدارس سورة محمد

فوائد وأسئلة تدبرية:

بماذا افتتحت سورة محمد؟

افتتحت السورة بذكر ثواب المؤمنين وعقاب العاصين، والسبب في ذلك.

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) .

هذه الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين وعقاب العاصين، والسبب في ذلك، ودعوة الخلق إلى الاعتبار بذلك، فقال: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وهؤلاء رؤساء الكفر، وأئمة الضلال،
_من هم أئمة الضلال؟- الذين جمعوا بين الكفر بالله وآياته، والصد لأنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل واتباعه.
فهؤلاء (أَضَلَّ) الله (أَعْمَالَهُمْ) أي: أبطلها وأشقاهم بسببها،-(أضل أعمالهم)ما المراد بالأعمال هنا؟- وهذا يشمل ١/أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله، أن الله جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا مما قصدوا شيئا، ٢/وأعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها، أن الله سيحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان، والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة، كانت الأعمال لأجلها باطلة.
-المؤمنين:وأما (وَالَّذِينَ آمَنُوا) بما أنزل الله على رسله عموما، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا، (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة.
(كَفَّرَ) الله (عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) صغارها وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا والآخرة. (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم: (اتبعوا الْحَقَّ) الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر (مِنْ رَبِّهِمْ) الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم، فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقيا ثوابها.
(كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) حيث بين لهم تعالى أهل الخير وأهل الشر، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ
*أرشد الله عباده إلى ما فيه صلاحهم ونصرهم على أعدائهم،فبماذا أمرهم في المعارك والقتال؟
فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) .
يقول تعالى - مرشدا عباده إلى ما فيه صلاحهم، ونصرهم على أعدائهم- : (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) في الحرب والقتال، فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حَتَّى تثخنوهم وتكسروا شوكتهم وتبطلوا شرتهم، فإذا فعلتم ذلك، ورأيتم الأسر أولى وأصلح، (فَشُدُّوا الْوَثَاقَ) أي: الرباط، وهذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا، فإذا شد منهم الوثاق اطمأن المسلمون من هربهم ومن شرهم، فإذا كانوا تحت أسركم، فأنتم بالخيار بين المن عليهم، وإطلاقهم بلا مال ولا فداء، وإما أن تفدوهم بأن لا تطلقوهم حتى يشتروا أنفسهم، أو يشتريهم أصحابهم بمال، أو بأسير مسلم عندهم.
وهذا الأمر مستمر (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) أي: حتى لا يبقى حرب، وتبقون في المسألة والمهادنة، فإن لكل مقام مقالا ولكل حال حكما، فالحال المتقدمة، إنما هي إذا كان قتال وحرب.
فإذا كان في بعض الأوقات، لا حرب فيه لسبب من الأسباب، فلا قتل ولا أسر.

*لماذا شرع الله الجهاد؟
(ذَلِكَ) الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام بينهم، وانتصار بعضهم على بعض (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ) فإنه تعالى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا، حتى يبيد المسلمون خضراءهم.
(وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة، لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة، فإنه إيمان ضعيف جدا، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا.
*ما جزاء من قُتل في سبيل الله؟
(وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لهم ثواب جزيل، وأجر جميل، وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم، لتكون كلمة الله هي العليا.
فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم، أي: لن يحبطها ويبطلها، بل يتقبلها وينميها لهم، ويظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا والآخرة.
(سَيَهْدِيهِمْ) إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) أي: حالهم وأمورهم، وثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه، ولا تنغيص بوجه من الوجوه.
(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) أي: عرفها أولا بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جملتها القتل في سبيله، ووفقهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، ثم إذا دخلوا الجنة، عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم.
*كيف يكون نصر المؤمن لله(تنصروا الله)،وما جزاء ذلك؟
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .
هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره.
*ما حال من نصر الباطل وكفر بالله؟
(والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم)وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل، فإنهم في تعس، أي: انتكاس من أمرهم وخذلان.
(وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) أي: أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق، فرجع كيدهم في نحورهم، وبطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله.
*لماذا أضل الله أعمال الذين كفروا وأحبطها؟
ذلك الإضلال والتعس للذين كفروا، بسبب أنهم (كَرِهُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ) من القرآن الذي أنزله الله، صلاحا للعباد، وفلاحا لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه، (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) .
أي: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم، (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة إلا وجدوا ما حولهم، قد بادوا

وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر، فخمدوا، ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة.
وأما المؤمنون، فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب.
*كيف تكون ولاية الله للمؤمنين؟
(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) فتولاهم برحمته، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وتولى جزاءهم ونصرهم، (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ) بالله تعالى، حيث قطعوا عنهم ولاية الله، وسدوا على أنفسهم رحمته (لا مَوْلَى لَهُمْ) يهديهم إلى سبل السلام، ولا ينجيهم من عذاب الله وعقابه، بل أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.
*ماذا يفعل الله بالمؤمنين ،والكافرين في الآخرة؟
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) .
لما ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين، ذكر ما يفعل بهم في الآخرة، من دخول الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار، التي تسقي تلك البساتين الزاهرة، والأشجار الناظرة المثمرة، لكل زوج بهيج، وكل فاكهة لذيذة.
ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وُكِلُوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلا معدا، لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها.
*(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) .
أي: وكم من قرية من قرى المكذبين، هي أشد قوة من قريتك، في الأموال والأولاد والأعوان، والأبنية والآلات.
(أهلكناهم) حين كذبوا رسلنا، ولم تفد فيهم المواعظ، فلا نجد لهم ناصرا، ولم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئا.
فكيف حال هؤلاء الضعفاء، أهل قريتك، إذ أخرجوك عن وطنك وكذبوك، وعادوك، وأنت أفضل المرسلين، وخير الأولين والآخرين؟!
أليسوا بأحق من غيرهم بالإهلاك والعقوبة، لولا أن الله تعالى بعث رسوله بالرحمة والتأني بكل كافر وجاحد؟
*هل يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه بغيره؟
(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) .
أي: لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه، علما وعملا قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك، يرى أن ما هو عليه من الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق وأهل الغي! .
*بماذا وصف الله جنة المتقين؟
مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) .
أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة.

(فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها، وأطيبها ريحا، وألذها شربا.
(وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) بحموضة ولا غيرها، (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل.
(وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) من شمعه، وسائر أوساخه.
(وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) من نخيل، وعنب، وتفاح، ورمان، وأترج، وتين، وغير ذلك مما لا نظير له في الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم.
ثم قال: (وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) يزول بها عنهم المرهوب، فأي هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، وتضاعف عذابها، (وَسُقُوا) فيها (مَاءً حَمِيمًا) أي: حارا جدا، (فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)
فسبحان من فاوت بين الدارين والجزاءين، والعاملين والعملين.
*ما حال المنافقين والمهتدين عند استماع قول الرسول صلى الله عليه وسلم؟
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) .
يقول تعالى: ومن المنافقين (مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) ما تقول استماعا، لا عن قبول وانقياد، بل معرضة قلوبهم عنه، ولهذا قال: (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مستفهمين عما قلت، وما سمعوا، مما لم يكن لهم فيه رغبة (مَاذَا قَالَ آنِفًا) أي: قريبا، وهذا في غاية الذم لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسماعهم، ووعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال، ولهذا قال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها بسبب إتباعهم أهواءهم، التي لا يهوون فيها إلا الباطل.
ثم بين حال المهتدين، فقال: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالإيمان والانقياد، وإتباع ما يرضي الله (زَادَهُمْ هُدًى) شكرا منه تعالى لهم على ذلك، (وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح.
*(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) .
أي: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون (إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) أي: فجأة، وهم لا يشعرون (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) أي: علاماتها الدالة على قربها.
(فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) أي: من أين لهم، إذا جاءتهم الساعة وانقطعت آجالهم أن يتذكروا ويستعتبوا؟ قد فات ذلك، وذهب وقت التذكر، فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم النذير.
ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت، فإن موت الإنسان قيام ساعته.
*العلم لا بد فيه من أمور .ما هي؟وما هو العلم الذي أمر الله به؟
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) .
العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.
وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك.

*ما الطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله؟
والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.
الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.
الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.
الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.
الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.
السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.
السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.
الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.
فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد - على تكرر الباطل والشبه- إلا نموا وكمالا.
*ما الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد؟
هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير - وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.
*(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم)
وقوله: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب والعفو عن الجرائم.
(و) استغفر أيضا (للمؤمنين وَالْمُؤْمِنَاتِ) فإنهم - بسبب إيمانهم- كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة.
ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم،
*ما لوازم الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات؟
وإذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساويهم ومعايبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) أي: تصرفاتكم وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، (وَمَثْوَاكُمْ) الذي به تستقرون، فهو يعلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

*ما حال من في قلبه مرض عند نزول الأمر بالقتال؟

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) .

يقول تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) استعجالا ومبادرة للأوامر الشاقة: (لَوْلا نزلَتْ سُورَةٌ) أي: فيها الأمر بالقتال.

(فَإِذَا أُنزلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) أي: ملزم العمل بها، (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) الذي هو أشق شيء على النفوس، لم يثبت ضعفاء الإيمان على امتثال هذه الأوامر، ولهذا قال: (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) من كراهتهم لذلك، وشدته عليهم.

*إلى ماذا ندب الله المؤمنين؟

ثم ندبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم، فقال: (فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) أي: فأولى لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر المحتم عليهم، ويجمعوا عليه هممهم، ولا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم، وليفرحوا بعافية الله تعالى وعفوه.

(فَإِذَا عَزَمَ الأمْرُ) أي: جاءهم الأمر جد، وأمر محتم، ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، وبذل الجهد في امتثاله (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) من حالهم الأولى، وذلك من وجوه:

منها: أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا إن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

ومنها: أنه إذا تعلقت نفسه بالمستقبل، ضعف عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبل، أما الحال، فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبع للهمة، وأما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتر الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

ومنها: أن العبد المؤمل للآمال المستقبلة، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به ووطن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدي وظيفته بحسب قدرته، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعينا بربه في ذلك، فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره.

*ما حال المتولي عن طاعة الله؟

ثم ذكر تعالى حال المتولي عن طاعة ربه، وأنه لا يتولى إلى خير، بل إلى شر، فقال: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتثال لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتولٍ عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام.

(أُولَئِكَ الَّذِينَ) أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم (لَعَنَهُمُ اللَّهُ) بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله.

(فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلهم آذان، ولكن لا تسمع سماع إذعان وقبول، وإنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين والبينات.

*ما ثمرات تدبر القرآن؟

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) .

أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل.

(أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع.

*ما حال المرتدين عن الهدى والإيمان؟

إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) .

يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى والإيمان على أعقابهم إلى الضلال والكفران، ذلك لا عن دليل دلهم ولا برهان، وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان وتزيين لهم، وإملاء منه لهم: يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا

وذلك أنهم قد تبين لهم الهدى، فزهدوا فيه ورفضوه، و (قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نزلَ اللَّهُ) من المبارزين العداوة لله ولرسوله (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ) أي: الذي يوافق أهواءهم، فلذلك عاقبهم الله بالضلال، والإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) فلذلك فضحهم، وبينها لعباده المؤمنين، لئلا يغتروا بها.

-حالهم عند الموت(فَكَيْفَ) ترى حالهم الشنيعة، ورؤيتهم الفظيعة (إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَة) الموكلون بقبض أرواحهم، (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) بالمقامع الشديدة؟!.

-ما سبب العذاب الذي استحقوه؟

(ذَلِكَ) العذاب الذي استحقوه ونالوه (بـ) سبب (أنهم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ) من كل كفر وفسوق وعصيان.

(وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا يدنيهم منه، (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه.

*(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) .

-ما هي أمراض القلوب؟-يقول تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) من شبهة أو شهوة، بحيث تخرج القلب عن حال صحته واعتداله، أن الله لا يخرج ما في قلوبهم من الأضغان والعداوة للإسلام وأهله؟ هذا ظن لا يليق بحكمة الله، فإنه لا بد أن يميز الصادق من الكاذب،-(كيف يميزهم؟)- وذلك بالابتلاء بالمحن، التي من ثبت عليها، ودام إيمانه فيها، فهو المؤمن حقيقة، ومن ردته على عقبيه فلم يصبر عليها، وحين أتاه الامتحان، جزع وضعف إيمانه، وخرج ما في قلبه من الضغن، وتبين نفاقه، هذا مقتضى الحكمة الإلهية.

مع أنه تعالى قال: وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) .

(وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ)

أي: بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم. (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) أي: لا بد أن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم، فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) فيجازيكم عليها.

*ما أعظم امتحان يمتحن الله به عباده؟

ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيل الله، فقال: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) أي: نختبر إيمانكم وصبركم، (حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقا، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصا في إيمانه.

*بماذا توعد الله من جمع أنواع الشر؟

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) .

هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها، من الكفر بالله، وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلا إليه.

(وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) أي: عاندوه وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن جهل وغي وضلال، فإنهم (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) فلا ينقص به ملكه.

(وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ) أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب، لا تقبل لعدم وجود شرطها.

*(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) .

يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو: طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال الأمر، واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتابعة.

-ماذا يشمل قوله تعالى: (وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)؟

١/يشمل النهي عن إبطالها بعد عملها، بما يفسدها، من منّ بها وإعجاب، وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها

٢/ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من مفسداتها.

فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها، كلها داخلة في هذا، ومنهي عنها.

-بماذا استدل الفقهاء من هذه الآية(ولا تبطلوا أعمالكم)

ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض، وكراهة قطع النفل، من غير موجب لذلك، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها وإتمامها، والإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علما وعملا.

*هل إحباط عمل الكافر أمر مطلق لم يقيد بشيء؟

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) .

هذه الآية والتي في البقرة قوله: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه، فقال هنا: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (وَصَدُّوا) الخلق (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) بتزهيدهم إياهم بالحق، ودعوتهم إلى الباطل، وتزيينه، (ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) لم يتوبوا منه، (فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) لا بشفاعة ولا بغيرها، لأنه قد تحتم عليهم العقاب، وفاتهم الثواب، ووجب عليهم الخلود في النار، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

-ما مفهوم الآية(إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار)؟

ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم، فإن الله يغفر لهم ويرحمهم، ويدخلهم الجنة، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله، والإقدام على معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة، ولم يغلقها عن أحد، ما دام حيا متمكنا من التوبة.

وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافيهم، ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

*(فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم)

ثم قال تعالى: (فَلا تَهِنُوا) أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي عليكم الخوف، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلبا لمرضاة ربكم، ونصحا للإسلام، وإغضابا للشيطان.

ولا تدعوا إلى المسالمة والمتاركة بينكم وبين أعدائكم، طلبا للراحة، (و) الحال أنكم (أنتم الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ) أي: ينقصكم (أَعْمَالَكُم)

فهذه الأمور الثلاثة، كل منها مقتض للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلين، أي: قد توفرت لهم أسباب النصر، ووعدوا من الله بالوعد الصادق، فإن الإنسان، لا يهن إلا إذا كان أذل من غيره وأضعف عددا، وعددا، وقوة داخلية وخارجية.

الثاني: أن الله معهم، فإنهم مؤمنون، والله مع المؤمنين، بالعون، والنصر، والتأييد، وذلك موجب لقوة قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم.

الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا، بل سيوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصا عبادة الجهاد، فإن النفقة تضاعف فيه، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده، أوجب له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب النشاط التام، فهذا من ترغيب الله لعباده، وتنشيطهم، وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم.

*بماذا وصف الله الدنيا حتى يزهد عباده فيها؟

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) .

هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن

والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما –ما لذي ينبغي أن يهتم به المؤمن في الدنيا؟-الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: (وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) بأن تؤمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفا، ليثيبهم الثواب الجزيل، ولهذا قال: (وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصا يضركم، ولهذا قال: (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ)

أي: ما في قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.

والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون منها، أنكم (تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية.

(فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ) أي: فكيف لو سألكم، وطلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك.

ثم قال: (وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئا.

فإن الله هو (الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ) تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم.

(وَإِنْ تَتَوَلَّوْا) عن الإيمان بالله، وامتثال ما يأمركم به (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) في التولي، بل يطيعون الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

لمسات بيانية:

آية(١٥):

*ما دلالة عدم ذكر كلمة تجري للأنهار في قوله تعالى (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ. . .) ؟

(د. فاضل السامرائي)

في قوله تعالى في سورة محمد (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ {١٥}) لم ترد كلمة تجري للأنهار لأن الماء الآسن لا يكون إلا بركود الماء فلم يتطلب السياق ذكر كلمة تجري، أما في قوله تعالى (تجري من تحتها

الأنهار) لم يكن هناك من داع لتحديد غير آسن لأنه جاء وصف الأنهار بالجريان الأمر الذي لا يؤدي إلى أن تأسن الماء.

*ما الفرق بين حميم ويحموم؟(د. فاضل السامرائى)

الحميم هو الماء الحار (وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ (١٥) محمد) من حمّ والحمّى. والحميم يأتي من الشيء وضده حتى أنه يستعمل للماء البارد أيضاً (مشترك لفظي). اليحموم هو الدخان الأسود الشديد السواد (وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) الواقعة).

آية (١٦):

*ما اللمسة البيانية في اسخدام المفرد مرة والجمع مرة أخرى في الآية (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا) ؟ (د. فاضل السامرائى)

(من) لها لفظ ومعنى ويُعبّر عنها بالواحد أو الجمع، يقال جاء من حضر (اللفظ مفرد مذكر وحقيقتها مفرد أو مثنى أو جمع).
هناك قاعدة نحوية تقول: في كلام العرب يراعى المفرد أولاً ثم الجمع كما في قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا ... وما هم بمؤمنين) وقوله (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا) وقوله (ألا في الفتنة سقطوا) وليس غريباً هذا الإستخدام في اللغة.
(من) في اللغة تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وعادة نبدأ لفظها أولاً على حالة الإفراد والتذكير ثم نحملها على معناها وهذا هو الأفصح عند العرب. كما في قوله تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً) نأتي بالإفراد والتذكير أولاً ثم يؤتى بما يدل على المعنى من تأنيث أو جمع أو تثنية.

آية (٢٢):

*ما معنى عسى في القرآن؟(د. فاضل السامرائى)

عسى طمع وترجي وذكرنا (فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ (٥٢) المائدة) يكون الإنسان راجياً يقول (قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ (٢٢) القصص) وقد تأتي للتوقع (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) محمد) هل عسيتم أي هل توقعتم أن تفعلوا. الفيصل في تحديد المعنى هو السياق والمعجم يعطي معنى الكلمة مفردة. ولا يصح الإستناد إلى المعجم وحده للفهم حتى في كل اللغات لا يمكن ترجمة النص من مجرد المعجم وإنما السياق.

آية (٣١):

*ما دلالة (نعلم) مع أن الله تعالى هو العليم الخبير(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ (٣١) محمد) ؟ (د. فاضل السامرائى)

لا شك هو ربنا عالم بالشيء قبل وقوعه وهو الذي كتب كل شيء لكنه هو يقصد العلم الذي يتعلق به الجزاء. ربنا يجازي الشخص على عمله لا على علمه فقط، يعلم ويعمل ويجازيه. هذا العلم الذي يتعلق به الجزاء وهو في القرآن كثير (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ (٢٥) الحديد) ربنا يعلم لكن يريد من ينصره ورسله في واقع الحياة، لمقصود علمه بعد عمل المرء. (إلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ (١٤٣) البقرة) هو يعلم قبل ذلك لكن علم يتعلق به الجزاء، تطبيق على ما في علم الله (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) محمد).

*ما الفرق بين النبأ والخبر؟ (د. فاضل السامرائى)

النبأ كما يقول أهل اللغة أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) النمل) وفي القرآن النبأ أهم من الخبر (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) ص) (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) النبأ). والنبأ في اللغة هو الظهور وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم. وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن نبأ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) التغابن).

وقد يسأل أحدهم جاء في القرآن قوله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) محمد) فلم لم يقل نبلوا أنباءكم؟

هذا يدل على عِظم النبأ لأنه إذا بلى القليل من الأخبار فقطعاً سيبلي الكثير وإذا اختبر القليل فهو بالتأكيد يختبر الكثير. وإذا قال نبلوا أنباءكم تحتمل أن تعني لا يبلوا أخباركم فهل إذا بلى ما هو قليل سيترك ما هو أعظم؟ بالطبع لا فهو سيبلو الأنباء التي هي أعظم.

والصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للخبر (أخبر) (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الكهف).

ملحوظة: في نشرات الأخبار التي تقدمها الإذاعات إن كان الخبر عظيماً يجب أن يقال نشرة الأنباء وإن كان خبراً عادياً يقال نشرة الأخبار.

والمُراد من هذا كله أن النبأ أعظم من الخبر.

آية (٣٣):

*لماذا يرد في القرآن أحياناً أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأحياناً أخرى يرد وأطيعوا الله والرسول؟(د .فاضل السامرائى)

في القرآن قاعدة عامة وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة ولم يجري ذكر الرسول ﷺ في السياق أو أي إشارة إليه كما جاء في سورة آل عمران (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {١٣٢}). والأمر الآخر أنه إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق كما في قوله تعالى (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {٥٤} النور) و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ {٣٣} محمد) وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

آية (٣٤):

*ما دلالة ذكر الفاء وحذفها فى بعض الآيات؟(د .فاضل السامرائى)

هناك أمران: الأول أن الفاء تكون للسبب (سببية) " درس فنجح" هذا المشهور في معناها (درس فنجح) فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها أي الذي قبل يفضي لما بعدها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو لأنه لمطلق الجمع. سواء كانت عاطفة "لا تأكل كثيراً فتمرض" يُنصب بعدها المضارع. ينبغي أن نعرف الحكم النحوي حتى نعرف أن نجيب.

هذا حكم عام ثم إن الفاء يؤتى بها في التبكيت أي التهديد. لو عندنا عبارتين إحداهما فيها فاء والأخرى بغير فاء وهو من باب الجواز الذِكر وعدم الذِكر نضع الفاء مع الأشد توكيداً. (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً (١٣٧) النساء) ليس فيها فاء. (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) محمد) لأنهم لا تُرجى لهم توبة. وفي الأولى هم أحياء قد يتوبون. لما لم يذكر الموت لم يأت بالفاء ولما ذكر الموت جاء بالفاء (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ (٩٠) آل عمران) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٩١) آل عمران) الآيتان فيهما نفس التعبير: النفي بـ (لن) واحدة جاءت بالفاء (وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ) انتهى عملهم. النُحاة يقولون قد تأتي الفاء للتوكيد.

آية (٣٦):

*قال تعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) عدد أشياء كثيرة وفي غير موطن في القرآن قال (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ (٣٦) محمد) فقط ولم يذكر بقية الأطوار كما في آية الحديد، لماذا ؟(د. فاضل السامرائى)

أحياناً يقتصر على اللعب واللهو لأن ما ذكره بعدها يندرج (الزينة وما بعدها) يندرج في اللهو فإذا أراد أن يفصّل فصّل وإذا أراد أن يُجمِل وقف عندها. الزينة قد تُلهي والتفاخر يلهي والتكاثر يلهي. الله تعالى سمّى المال والبنون زينة (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٤٦) الكهف) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ (٩) المنافقون) دخلت في الزينة والزينة دخلت في اللهو. ما ذُكِر في الزينة دخل هنا في اللهو. قال تعالى (ألهاكم التكاثر) دخل التكاثر في اللهو، أطلق التكاثر. لما فصّل في آية الحديد (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) فصّل وعندما أراد أن يُجمِل يقف عند الأصل والباقي يدخل فيه (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ (٣٢) الأنعام) وقف عندها وما مثّل (إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) محمد). يقولون البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال أراد التفصيل يفصّل، أراد الإجمال يُجمِل.

آية (٣٧):

*ما دلالة استخدام صيغة المضارع فى قوله تعالى (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) محمد) ؟(د. فاضل السامرائى)

استخدام صيغة الماضي والمضارع في القرآن كثير مثل قوله تعالى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) النساء) أي كلما سنحت له الفرصة قتل وهذا دليل التكرار لذا جاء الفعل بصيغة المضارع. وكذلك في قوله تعالى (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) صيغة المضارع لأن الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله أما (ومن كفر) جاء بصيغة الماضي لأن الكفر يحصل مرة واحدة فقط. وقال تعالى (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) محمد) سؤال متكرر لأن سؤال الأموال متكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع، وقال تعالى (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) الكهف) السؤال حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي.

الوصايا العملية:

- سبب إحباط أعمال الكفار لأنهم جمعوا بين الكفر وصد الناس عن عبادة الله .
- احذري أي عمل لا يراد به وجه الله سيحبط .
- الأعمال التي فيها نصرة للباطل سيحبطها الله .
- النكاية في العدو بالقتل وسيلة مثلى لإخضاعه .
- المن والفداء والقتل والاسترقاق خيارات في الإسلام للتعامل مع الأسير الكافر يؤخذ منها ما يحقق المصلحة .
- أشر الناس من يتركه الناس اتقاء شره .
- الكفار لا يتولاهم الله في الدنيا فأوكلوا لأنفسهم .ادع (اللهم برحمتك أستغيث فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين) .
- الإنسان إذا كان همه الأكل والشرب والسفر يخشى أن يكون كالأنعام .
- لبن الدنيا تنتهي مدة صلاحيته في أيام أما لبن الآخرة فأنهار تجري سبحان الله .
- سبب الطبع على القلب تراكم الذنوب فلا يدخل في القلب نصيحة ولاعلم ولا موعظة .
- إذا جاء الموت لا تنفع التوبة .
- علم التوحيد فرض عين على كل إنسان ولا يسقط عن أحد .
- ادع (اللهم أرنا الحق حق وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه)
- أدع الله يرزقك البصيرة .
- من رأى أنه على حق وهو غير ذلك فالشيطان زين له ذلك كأنه أعمى القلب .المقتنع بعمله والرافض للنصح هو أيضا أعمى قلبه .
- المؤمنون الذين نصروا الله بقيامهم بدينه والدعوة إليه وجهاد أعدائه يريدون وجه الله ينصرهم ويثبت أقدامهم ويصلح دينهم ودنياهم وجميع أحوالهم .
- بالصدق واليقين تصلح الأمور .
- الذين يجاهدون في سبيل الله يهديهم الله لطريق الخير ويصلح حالهم في الدنيا والآخرة .
- نصرة الله القيام بدينه .
- الجهاد له أنواع كثيرة منها : الدعوة إلى الله ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مجاهدة النفس ، جهاد أعداء الله .
- الله يتولى المؤمنين ويرحمهم وييسر لهم طريق الخير .
- العلم بأن النفع والضرر من الله يوجب التعلق بالله وتعظيمه في القلب ومحبته .
- احذري من الرياء والعجب فإنه يحبط العمل .
- التفكر في أسماء الله وصفاته تزيد من الإيمان ويأتيك العلم واليقين .
- الأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات يوجب النصح لهم بالدعوة وحب الخير لهم ونكره لهم الشر كأنفسنا .
- الاستعانة بالله في جميع الأمور وخاصة في البداية .

- المؤمن يبذل السبب ويفوض الأمر إلى الله .
- لا تشغل نفسك بالأمور المستقبلية فهي بيد الله .
- صل أرحامك ولا تفكر في من أساء لك .
- الرحم معلقة بالعرش من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله .
- احذر المعاصي فالعاصي من المفسدين في الأرض فالحيوانات تدعو عليهم لأنعم حرموهم اللمطر
- الذي لا يتدبر القرآن يخشى عليه من قفل قلبه .
- المتدبر للقرآن ينشرح صدره ويزيد إيمانه .
- الحذر من إتباع الهوى .
- من يؤمن ببعض ويترك بض فهو كافر .
- الموت عند الكفار أسهل مما بعده فالملائكة تنزع أرواحهم من الأقدام وتدعي عليهم فتقول (يا ربي ما أكرمنا ذهب بنا إلى مجالس اللغو واللهو والمنكرات) .
- الله يميز الخبث من الطيب فالذي به مرض أو نفاق يخرج الله ضغائن قلبه .
- للمنافقين صفات يعرفون بها مهما اجتهدوا في إخفائها .
- قال عثمان رضي الله عنه (ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله سبحانه على صفحات وجهه وفلتات لسانه) فالحذر الحذر .
- فراسة المؤمن صادقة .
- اسأل الله الستر في الدارين .
- الحذر من التكلم فيما لا يعني فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في المجاهد القتل في المعركة عندما قالت :أمه أنه في الجنه قال (وما يدريك لعله تكلم فيما لا يعنيه) .
- من رحمة الله أن باب التوبة مفتوح للكفار والعاصين .
- الله مع المؤمن بالعون والنصر والتأييد وذلك موجب لقوة قلوبهم وإقدامهم على عدوهم وأن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيء بل سيوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله .
- عبادة الجهاد النفقة فيها تضاعف إلى ٧٠٠ ضعف وأضعاف كثيرة .
- الحياة الدنيا لهو في القلب ولعب في البدن .
- كثرة الخلطة والاجتماع بين الناس لا يسلم منه إلا من عصمه الله .
- تصدق وأكثر من الصدقة تفلح في الدنيا ولآخرة .
- قال قتادة رحمه الله (قد علم الله تعالى أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان) وصدق قتادة فإن المال محبوب لا يصرف إلا على الشخص المقرب المحبوب.
- من رفق الله بعباده أنه لا يطلب منهم إنفاق كل أموالهم في سبيل الله .

تناسب فواتح سورة محمد مع خواتيمها:

في بدايتها قال (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١)) وفي أواخرها (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤)) أضلّ أعمالهم فلن يغفر الله لهم، هم هؤلاء نفسهم. في أوائلها قال (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤)) وفي أواخرها قال (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)) فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، كأنهما متتابعتان.

| ● | نهاية سورة محمد | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســــورة الفتح ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـــورة الفتح

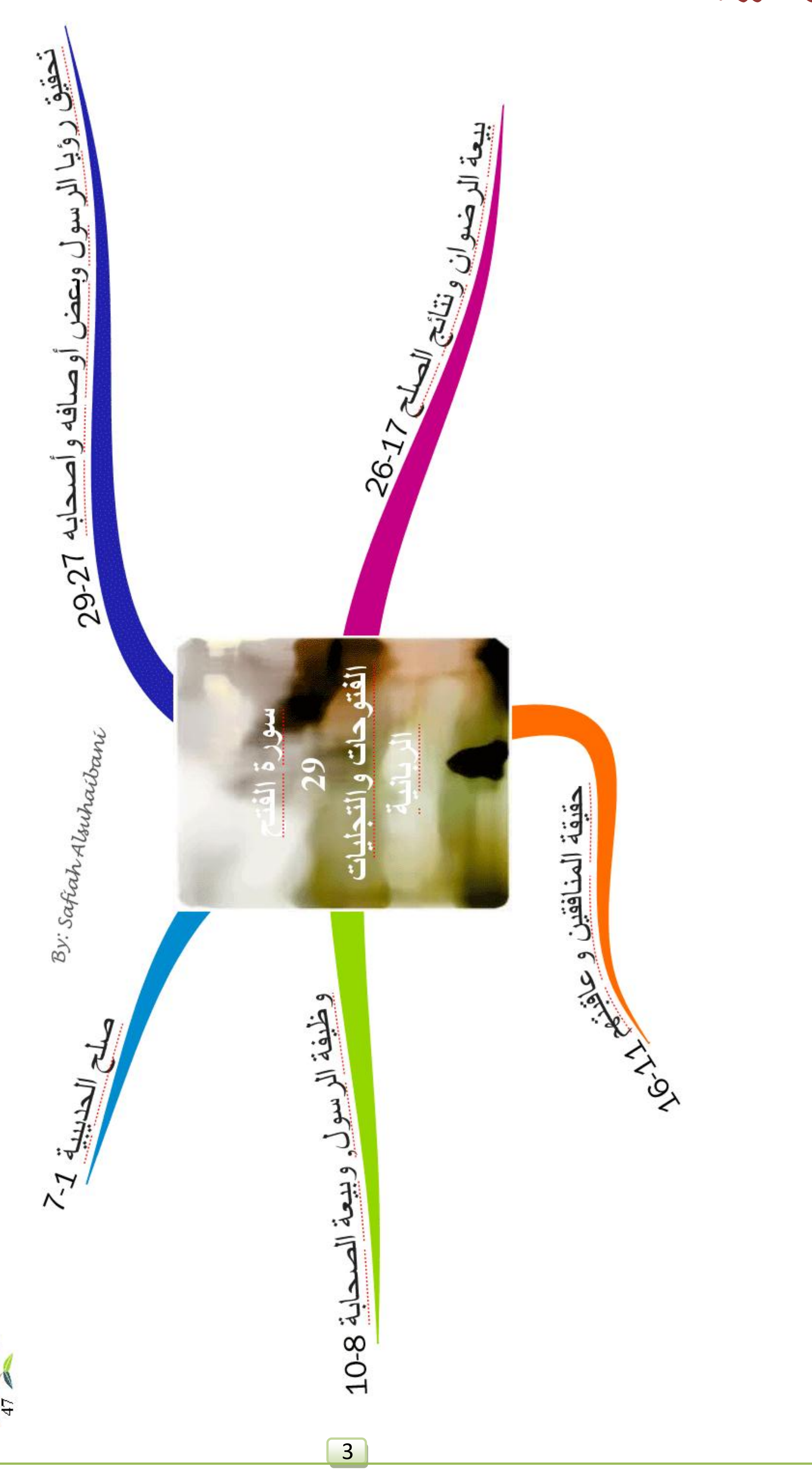
بين يدي السورة:

- اشتهرت هذه السورة بسورة الفتح، ووجه تسميتها لافتتاحها ببشرى الفتح المبين.
- فضائلها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم قال: (لما نزلت: "إنا فتحنا لك فتحاً مبينا * ليغفر لك الله" إلى قوله "فوزاً عظيماً" مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: (لقد أنزلت عليّ آية هي أحبّ إلي من الدنيا جميعاً).
- سورة مدنية.
- محور السورة: اعتنت هذه السورة بجانب التشريع، شأنُ سائر السور المدنية التي تعالج الأسس التشريعية في المعاملات والعبادات والأخلاق.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

- لما تقدم قوله تعالى "وإن تتولوا" الآية، وهي خطاب لكفار قريش أخبر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بالفتح العظيم، وأنه بهذا الفتح حصل الاستبدال، وآمن كل مَن كان بها وصارت مكة دار إيمان.
- المراد بالفتح هو النصر مرتبٌ على القتال.
- إن في كل منهما ذكراً وبياناً لأوصاف المؤمنين والمخلصين والمنافقين والمشركين.
- إن في السورة السالفة أمراً للنبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار، وافتتحت هذه السورة بذكر وقوع المغفرة.
- ذُكِرت الكلمة الطيبة هناك بلفظها الشريف، وكنّى عنها هنا بلفظ: (كلمة التقوى)، بناء على أشهر الأقوال فيه.

محاور السورة:



تدارس السورة كاملة:

التفسير الموضوعي للسورة:

- الآيات (١ – ٧) صلح الحديبية وآثاره. جاء هذا المقطع بمثابة مدخل ومقدمة للسورة، فقد ذكر الله تعالى فيه عنايته وفضله على نبيه صلى الله عليه وسلم وبأنه ينصر رسوله، كما أبان بعض أفضاله على المؤمنين وبعض أسباب النصر وهو تثبيت أقدام المؤمنين، واطمئنان قولبهم؛ وأردفه ببيان سنته في تسليط بعض جنوده على بعض.
- الآيات (٨ – ١٠) مهام النبي صلى الله عليه وسلم ومغزى بيعة الرضوان). بعد بيان فضائل الفتح – صلح الحديبية- على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه المؤمنين، أعقبه ببيان خصائصهما، فذكر وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم الثلاث، ومدحه، وأبان فائدة بعثته ليرتب عليه ذكر البيعة (بيعة الرضوان).
- الآيات (١١ – ١٧) أحوال المتخلفين عن الحديبية. بعد بيان حال المؤمنين، بيّن الله تعالى حال المنافقين، وهم قوم من الأعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم أنه يهزم، وقد ذكر تعالى أحوالاً ثلاثاً لهم: وهي الاعتذار عن التخلف عن الحديبية بانشغالهم في الأموال والأهل، وطلب المشاركة في وقعة خيبر وغنائمها، ودعوتهم إلى قتال قوم أولي بأس شديد، ثم استثنى تعالى أصحاب الأعذار لترك الجهاد.
- الآيات (١٨ – ٢٤) بيعة الرضوان وآثارها الخيِّرة. لما ذكر تعالى حال مَن تخلف عن السفر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر حال المؤمنين الخُلَّص الذين سافروا معه. والآية دالة على رضى الله تعالى عنهم ولذا سميت بيعة الرضوان.
- الآيات (٢٥ – ٢٦) أسباب وآثار صلح الحديبية. بعد أن ذكر الله تعالى امتنانه العظيم على المؤمنين إذ كفّ عنهم أيدي الكافرين من قريش، وكفّ أيدي المؤمنين على الكافرين بصلح الحديبية، أبان تعالى أسباب هذا الكف المتبادل، وأوضح حكمة المصالحة.
- الآيات (٢٧ – ٢٩) تحقيق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وأوصافه وأصحابه. بعد بيان كون النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً بالهدى ودين الحق، بين حال الرسول المرسل إليهم، ثم وصف صحابته بأوصاف عجيبة، وكونهم موعودين من الله بالمغفرة والجنة.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا الإخلاص والبركة والقبول والصدق.
اللهم ارزقنا الحسنات الجاريات ..
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم سيرة عطرة وأيامه عظيمه يحق لنا أن نقف عندها وأن نتذاكرها.

فهناك حدث عظيم حدث في السنة السادسة من الهجرة في شهر ذي القعدة (صلح الحديبية)
ما هو صلح الحديبية؟
لم تخمد مشاعر المسلمين في المدينة شوقا إلى مكة التي حيل بينهم وبينها ظلما وعدوانا وينتظرون اليوم الذي يعودون فيه إلى مكة
وللطواف ببيتها العتيق إلى أن جاء اليوم الذي يبرز فيه النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ليخبرهم برؤياه التي رأى فيها دخوله لمكة وطوافه بالبيت فاستبشر المسلمون بهذه الرؤيا لعلمهم أن رؤيا الأنبياء حق وتهيئوا لهذه الرحلة العظيمة ،وفي يوم الاثنين خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يريد العمرة ومعه ألف وأربعمائة من الصحابة وليس معهم إلا السلاح فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة فلما اقتربوا من مكة بلغهم أن قريشا جمعت الجموع لمقاتلتهم وصدهم عن البيت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديبية)الآن معروفة بالشميسي أرسل عثمان رضي الله عنه إلى قريش ،وقال له:أخبرهم أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارا وادعهم إلى الإسلام وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيبشرهم بالفتح وأن الله عز وجل مظهر دينه بمكة فانطلق عثمان فمر على قريش فقالوا:إلى أين ؟فقال:بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوكم إلى الله وإلى الإسلام ويخبركم أنه لم يأت لقتال وإنما جئنا عمارا ،قالوا:قد سمعنا ما تقول فأنفذ حاجتك ،ولكن عثمان احتبسته قريش فتأخر في الرجوع إلى المسلمين فخاف الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة بعد أن شاع أن عثمان قتل فدعا إلى البيعة فتبادروا إليه وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفروا وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها قوله تعالى:(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)
وأرسلت عروة بن مسعود إلى المسلمين فانبهر من تعظيم الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسرعت قريش في إرسال سهيل بن عمرو لعقد الصلح فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال:قد سهل لكم أمركم أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ،اتفقا على قواعد الصلح وهي:
١/رجوع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عامه وعدم دخول مكة وإذا كان العام القادم دخلها المسلمون بسلاح الراكب وأقاموا فيها ثلاثة أيام.
٢/وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين يأمن فيها الناس .
٣/من أحب أن يدخل في عقد مع محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد مع قريش وعهدهم دخل فيه.
٤/من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه رده إليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يرد إليه .
فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكتابة الكتاب ،فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب قال لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا،وما قام منهم رجل حتى قالها ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد ولم يكلم منهم أحد حتى نحر بدنه ودعا حالقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا وفي مرجعه صلى الله عليه وسلم أنزل الله سورة الفتح (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)وكان هذا الصلح فتحا عظيما ونصرا مبينا للمسلمين وذلك لما ترتب عليه من منافع عظيمة حيث اعترفت قريش بالمسلمين وقوتهم وتنازلت عن صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية فلا يجب أن يسميه الله فتح مبينا .
اليوم بإذن الله سنتدارس هذه السورة في تدارسنا.

-التمهيد٢:
بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا هدى و تقى وعلما..
ركن من أركان العقيدة وشرط من شروط الإيمان تغافل عنه كثير من الناس ،وأهمله البعض فاختلطت الأمور وكثر المفرطون والله المستعان.
قال صلى الله عليه وسلم: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ،ومنع لله فقد استكمل الإيمان).
وقال صلى الله عليه وسلم: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).
قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من وجدهن وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)متفق عليه.
وكثر ورود هذه العقيدة في الكتاب والسنة
-فما هي هذه العقيدة؟
هي عقيدة الولاء والبراء.
الولاء والبراء من أوثق عرى الإيمان وهو من أعمال القلوب لكن تظهر مقتضياته على اللسان والجوارح.
وأنها جزء من معنى الشهادة وهي قول (لا إله)من (لا إله إلا الله)فإن معناها البراء من كل ما يعبد من دون الله.
وهي شرط من شروط الإيمان وسبب لتذوق حلاوة الإيمان ولذة اليقين والصلة التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم (إنما المؤمنون إخوة).
وبتحقيق تلك العقيدة تنال ولاية الله، وبعدم تحقيقها قد يدخل في الكفر (ومن يتولهم منكم فإنه منهم).
فعلينا أن نتفطن ونحذر من عدم تطبيقنا لعقيدة الولاء والبراء من التشبه بهم في اللباس والإقامة ببلادهم واتخاذهم بطانة ومستشارين والتأرخ بتاريخهم ومشاركتهم في أعيادهم ومدحهم والإشادة بما هم عليه وغيرها....
مهما وصلوا إليه من أخلاق وحسن معاملة فهم يكنون لنا البغض ولا ينفع لهم هذا عند جحدهم لنعمة الله بأن كفروا بالله خالقهم فالله الله في عقيدة الولاء والبراء .
وقد مدح الله رسول الله وأصحابه ،فمدح فيهم ولائهم للمؤمنين وبغضهم للكفار (محمد رسول الله..)
سنتدارس هذه الآية في تدارسنا اليوم بإذن الله.

فوائد وأسئلة تدبرية:

*ما المراد بالفتح في قوله تعالى:(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) .
هذا الفتح المذكور هو صلح الحديبية.
*ما سبب صلح الحديبية،وما أهم بنوده؟وماذا نتج عنه؟ولماذا سمي بالفتح المبين؟
حين صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء معتمرا في قصة طويلة، صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وعلى أن يعتمر من العام

المقبل، وعلى أن من أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده فعل.
وبسبب ذلك لما أمن الناس بعضهم بعضا، اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل، وصار كل مؤمن بأي محل كان من تلك الأقطار، يتمكن من ذلك، وأمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا، فلذلك سماه الله فتحا، ووصفه بأنه فتح مبين أي: ظاهر جلي، وذلك لأن المقصود في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله، وانتصار المسلمين، وهذا حصل بذلك الفتح.
*رتب سبحانه على هذا الفتح عدة أمور ما هي؟
ورتب الله على هذا الفتح عدة أمور، فقال: ١/(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)
وذلك - والله أعلم- بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرة، وبما تحمل صلى الله عليه وسلم من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته صلى الله عليه وسلم، أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
٢/(وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بإعزاز دينك، ونصرك على أعدائك، واتساع كلمتك،
٣/(وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) تنال به السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي.
٤/(وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) أي: قويا لا يتضعضع فيه الإسلام، بل يحصل الانتصار التام، وقمع الكافرين، وذلهم ونقصهم، مع توفر قوى المسلمين ونموهم، ونمو أموالهم.
*ما آثار هذا الفتح على المؤمنين؟
ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين فقال:
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) .
*ما الذي يحتاجه الإنسان في حال المحن والقلاقل؟
يخبر تعالى عن منته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه، فالصحابة رضي الله عنهم لما جرى ما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين، من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحط من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس، فلما صبروا عليها ووطنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم. وقوله: (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: جميعها في ملكه، وتحت تدبيره وقهره، فلا يظن المشركون أن الله لا ينصر دينه ونبيه، ولكنه تعالى عليم حكيم، فتقتضي حكمته المداولة بين الناس في الأيام، وتأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر.
*ما هو الفوز العظيم الذي كان سببا ونتيجة لما حصل؟
(لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين، أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات، ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات.
(وَكَانَ ذَلِكَ) الجزاء المذكور للمؤمنين (عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين.

وأما المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، فإن الله يعذبهم بذلك، ويريهم ما يسوءهم؛ حيث كان مقصودهم خذلان المؤمنين، وظنوا بالله الظن السوء، أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأن أهل الباطل، ستكون لهم الدائرة على أهل الحق، فأدار الله عليهم ظنهم، وكانت دائرة السوء عليهم في الدنيا، (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) بما اقترفوه من المحادة لله ولرسوله، (وَلَعَنَهُمْ) أي: أبعدهم وأقصاهم عن رحمته (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

*لماذا كرر سبحانه الإخبار بأن له ملك السماوات والأرض؟

(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) .

كرر الإخبار بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهما من الجنود، ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل، وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه، كما قال تعالى: وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) أي: قويا غالبا، قاهرا لكل شيء، ومع عزته وقوته فهو حكيم في خلقه وتدبيره، يجري على ما تقتضيه حكمته وإتقانه.

*ما سبب إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم؟

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا (٩)

أي: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) أيها الرسول الكريم (شَاهِدًا) لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدا على المقالات والمسائل، حقها وباطلها، وشاهدا لله تعالى بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه، (وَمُبَشِّرًا) من أطاعك وأطاع الله بالثواب الدنيوي والديني والأخروي، ومنذرا من عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ومن تمام البشارة والنذارة، بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها وينذر، فهو المبين للخير والشر، والسعادة والشقاوة، والحق من الباطل.

*ما الحقوق التي ذكرها الله في هذه الآية: (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا)

ولهذا رتب على ذلك قوله: (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)

أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور.

(وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) أي: تعزروا الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، (وَتُسَبِّحُوهُ) أي: تسبحوا لله (بُكْرَةً وَأَصِيلا) أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها.

*ما هي المبايعة المذكورة في قوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)وما لوازم هذا العقد؟

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) .

هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي (بيعة الرضوان) التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفروا، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم (يُبَايِعُونَ اللَّهَ) ويعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) أي: كأنهم بايعوا الله وصافحوه بتلك المبايعة، وكل هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها، ولهذا قال: (فَمَنْ نَكَثَ) فلم يف بما عاهد

الله عليه (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) أي: لأن وبال ذلك راجع إليه، وعقوبته واصلة له، (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ) أي: أتى به كاملا موفرا، (فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه إياه.

*ما سبب تخلف المتخلفين عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.وبماذا اعتذروا؟

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) .

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم، لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء.

فظنوا (أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا) أي: إنهم سيقتلون ويستأصلون، ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم، ويطمئنون إليه، حتى استحكم، وسبب ذلك أمران:

أحدها: أنهم كانوا (قَوْمًا بُورًا) أي: هلكى، لا خير فيهم، فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم.

الثاني: ضعف إيمانهم ويقينهم بوعد الله، ونصر دينه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، (فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا)

*(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٤) .

أي: هو تعالى المنفرد بملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدرية، والأحكام الشرعية، والأحكام الجزائية، ولهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعية، فقال: (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) وهو من قام بما أمره الله به (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) ممن تهاون بأمر الله، (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة والرحمة، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين، ويتجاوز عن الخطائين، ويتقبل توبة التائبين، وينزل خيره المدرار، آناء الليل والنهار.

*ذكر الله عقاب المتخلفين الدنيوية ،وحالهم عند أخذ المغانم فما هي؟

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا (١٥) .

لما ذكر تعالى المخلفين وذمهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها، طلبوا منهم الصحبة والمشاركة، ويقولون: (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ) بذلك (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ) حيث حكم بعقوبتهم، واختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم، شرعا وقدرا. (قُلْ) لهم (لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) إنكم محرومون منها بما جنيتم على أنفسكم، وبما تركتم القتال أول مرة.

(فَسَيَقُولُونَ) مجيبين لهذا الكلام، الذي منعوا به عن الخروج: (بَلْ تَحْسُدُونَنَا) على الغنائم، هذا منتهى علمهم في هذا الموضع، ولو فهموا رشدهم، لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم، وأن المعاصي لها عقوبات دنيوية ودينية، ولهذا قال: (بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا)

*بماذا امتحن الله المتخلفين؟، *في هذه الآية دلالة على فضل الخلفاء الراشدين كيف ذلك؟
قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) .
لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله، ويعتذرون بغير عذر، وأنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة ولا قتال، بل لمجرد الغنيمة، قال تعالى ممتحنا لهم: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) أي: سيدعوكم الرسول ومن ناب منابه من الخلفاء الراشدين والأئمة، وهؤلاء القوم فارس والروم ومن نحا نحوهم وأشبههم. (تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) أي: إما هذا وإما هذا، وهذا هو الأمر الواقع، فإنهم في حال قتالهم ومقاتلتهم لأولئك الأقوام، إذ كانت شدتهم وبأسهم معهم، فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية، بل إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يقاتلوا على ما هم عليه، فلما أثخنهم المسلمون، وضعفوا وذلوا، ذهب بأسهم، فصاروا إما أن يسلموا، وإما أن يبذلوا الجزية، (فَإِنْ تُطِيعُوا) الداعي لكم إلى قتال هؤلاء (يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا) وهو الأجر الذي رتبه الله ورسوله على الجهاد في سبيل الله، (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) عن قتال من دعاكم الرسول إلى قتاله، (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ودلت هذه الآية على فضيلة الخلفاء الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ذلك.
*ما هي الأعذار التي يعذر بها العبد عن الجهاد؟
ثم ذكر الأعذار التي يعذر بها العبد عن الخروج إلى الجهاد، فقال: (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) أي: في التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع.
(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، (وَمَنْ يَتَوَلَّ) عن طاعة الله ورسوله (يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا) فالسعادة كلها في طاعة الله، والشقاوة في معصيته ومخالفته.
*ما سبب بيعة الرضوان؟وماذا كان جزاء الله لأصحابها؟
لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) .
يخبر تعالى بفضله ورحمته، ١/برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة - التي يقال لها « بيعة الرضوان » لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها « بيعة أهل الشجرة » - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه، وأنه لم يجئ لقتال أحد، وإنما جاء زائرا هذا البيت، معظما له، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان لمكة في ذلك، فجاء خبر غير صادق، أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من المؤمنين، وكانوا نحوا من ألف وخمسمائة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفروا حتى يموتوا، فأخبر تعالى أنه

رضي عن المؤمنين في تلك الحال، التي هي من أكبر الطاعات وأجل القربات، (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الإيمان،

٢/(فَأَنزلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) شكرا لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى، وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله، فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم،

٣/(وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) وهو: فتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية، فاختصوا بخيبر وغنائمها، جزاءا لهم، وشكرا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته.

٤/(وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أي: له العزة والقدرة، التي قهر بها الأشياء، فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين، ولكنه حكيم، يبتلي بعضهم ببعض، ويمتحن المؤمن بالكافر.

٥/(وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) وهذا يشمل كل غنيمة غَنَّمها المسلمين إلى يوم القيامة، (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) أي: غنيمة خيبر أي: فلا تحسبوها وحدها، بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها،

٦/(و) احمدوا الله إذ (كف أَيْدِيَ النَّاسِ) القادرين على قتالكم، الحريصين عليه (عَنْكُمْ) فهي نعمة، وتخفيف عنكم.

(وَلِتَكُونَ) هذه الغنيمة (آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) يستدلون بها على خبر الله الصادق، ووعده الحق، وثوابه للمؤمنين، وأن الذي قدرها سيقدر غيرها،

٧/(وَيَهْدِيَكُمْ) بما يقيض لكم من الأسباب (صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) من العلم والإيمان والعمل.

٨/(وَأُخْرَى) أي: وعدكم أيضا غنيمة أخرى (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) وقت هذا الخطاب، (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) أي: هو قادر عليها، وتحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، فلا بد من وقوع ما وعد به، لكمال اقتدار الله تعالى، ولهذا قال: (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)

*وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا (٢٣) .

*ما هي البشارة التي تضمنتها هذه الآية؟

هذه بشارة من الله لعباده المؤمنين، بنصرهم على أعدائهم الكافرين، وأنهم لو قابلوهم وقاتلوهم (لَوَلَّوُا الأدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يتولى أمرهم، (وَلا نَصِيرًا) ينصرهم ويعينهم على قتالكم، بل هم مخذولون مغلوبون وهذه سنة الله في الأمم السابقة، أن جند الله هم الغالبون، (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا)

*(وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا).

يقول تعالى ممتنا على عباده بالعافية، من شر الكفار ومن قتالهم، فقال: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ) أي: أهل مكة (عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) أي: من بعد ما قدرتم عليهم، وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد، وهم نحو ثمانين رجلا انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة، فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكوهم، فتركوهم ولم يقتلوهم، رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم، (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) فيجازي كل عامل بعمله، ويدبركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن.

*ما الأمور المهيجة على قتال المشركين؟وما المانع وقتها عن القتال؟

ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين، وهي١/ كفرهم بالله ورسوله، ٢/وصدهم رسول الله ومن معه من المؤمنين، أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج والعمرة،٣/ وهم الذين أيضا صدوا (

الهدي مَعْكُوفًا) أي: محبوسا (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) وهو محل ذبحه وهو مكة، فمنعوه من الوصول إليه ظلما وعدوانا، وكل هذه أمور موجبة وداعية إلى قتالهم،

ولكن ثم مانع وهو: وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين، وليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى، فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون، والنساء المؤمنات، الذين لا يعلمهم المسلمون أن تطأوهم، أي: خشية أن تطأوهم (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) والمعرة: ما يدخل تحت قتالهم، من نيلهم بالأذى والمكروه، وفائدة أخروية، وهو: أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر، وبالهدى بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب.

(لَوْ تَزَيَّلُوا) أي: لو زالوا من بين أظهرهم (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) بأن نبيح لكم قتالهم، ونأذن فيه، وننصركم عليهم.

*ما حمية الجاهلية التي فعلها المشركون؟وماذا كان جزاء الله للمؤمنين الذين صبروا لحكم الله؟

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) .

يقول تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) حيث أنفوا من كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وأنفوا من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إليهم في تلك السنة، لئلا يقول الناس: « دخلوا مكة قاهرين لقريش » وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي، (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله، والتزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمات الله ولو كانت ما كانت، ولم يبالوا بقول القائلين، ولا لوم اللائمين.

*ما هي كلمة التقوى؟

(وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) وهي « لا إله إلا الله » وحقوقها، ألزمهم القيام بها، فالتزموها وقاموا بها، (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) من غيرهم (و) كانوا (أهلها) الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير، ولهذا قال: (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

*رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) .

يقول تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه، أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول لمكة، كثر في ذلك الكلام منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: « أخبرتكم أنه العام؟ » قالوا: لا قال: « فإنكم ستأتونه وتطوفون به » قال الله هنا: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) أي: لا بد من وقوعها وصدقها، ولا يقدح في ذلك تأخر تأويلها، (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام، وأدائكم للنسك، وتكميله بالحلق والتقصير، وعدم الخوف، (فَعَلِمَ) من المصلحة والمنافع (مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) الدخول بتلك الصفة (فَتْحًا قَرِيبًا)

ولما كانت هذه الواقعة مما تشوشت بها قلوب بعض المؤمنين، وخفيت عليهم حكمتها، فبين تعالى حكمتها ومنفعتها، وهكذا سائر أحكامه الشرعية، فإنها كلها، هدى ورحمة.

*بماذا أرسل محمد صلى الله عليه وسلم؟

أخبر بحكم عام، فقال: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) الذي هو العلم النافع، الذي يهدي من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر.

(وَدِينِ الْحَقِّ) أي: الدين الموصوف بالحق، وهو العدل والإحسان والرحمة. وهو كل عمل صالح مزك للقلوب، مطهر للنفوس، مرب للأخلاق، معل للأقدار.

(لِيُظْهِرَهُ) بما بعثه الله به (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) بالحجة والبرهان، ويكون داعيا لإخضاعهم بالسيف والسنان.

*بماذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في التوراة والإنجيل؟

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) .

يخبر تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود.

(يَبْتَغُونَ) بتلك العبادة (فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه.

(سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) أي: قد أثرت العبادة - من كثرتها وحسنها- في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم.

(ذَلِكَ) المذكور (مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا.

وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ) أي: أخرج فراخه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء.

(فَاسْتَغْلَظَ) ذلك الزرع أي: قوي وغلظ (فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) جمع ساق، (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رضي الله عنهم، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ، ولهذا قال: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال.

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) فالصحابة رضي الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

*ما قصة الحديبية؟

ولنسق قصة الحديبية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في (الهدي النبوي) فإن فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها، قال ـ رحمه الله تعالى:-

فصل في قصة الحديبية

قال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة على الصواب.

وفي الصحيحين عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، فذكر منهن عمرة الحديبية، وكان معه ألف وخمسمائة، هكذا في الصحيحين عن جابر، وعنه فيهما: كانوا ألفا وأربعمائة، وفيهما، عن عبد الله بن أبي أوفى: كنا ألفا وثلاثمائة، قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال: يرحمه الله وهم، وهو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة، قلت: وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فقيل له: كم كنتم؟ قال: ألفا وأربعمائة، بخيلنا ورجلنا، يعني: فارسهم وراجلهم.

والقلب إلى هذا أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع، في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ألفا وأربعمائة، وغلط غلطا بينا من قال: كانوا سبعمائة، وعذره أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قد جاء إجزاؤها عن سبعة أو عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه الغزوة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم، لكانوا أربعمائة وتسعين رجلا وقد قال بتمام الحديث بعينه، أنهم كانوا ألفا وأربعمائة.

فصل

فلما كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث عينا له بين يديه من خزاعة، يخبره عن قريش، حتى إذا كانوا قريبا من عسفان، أتاه عينه، فقال: إني قد تركت كعب بن لؤي، قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت.

واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه: أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت؟ فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « فروحوا إذًا » فراحوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش، فخذوا ذات اليمين » ، فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هو بغبرة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش.

وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل » ثم قال: « والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا

أعطيتموها » ثم زجرها، فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية، على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش.

فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوها فيه، قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنها، وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلا من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله، ليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لي، إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: « أخبرهم أنا لم نأت لقتال، إنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام »

وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق عثمان، فمر على قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ونخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك.

وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، فأجاره، وأردفه أبان حتى جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون » فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: « ذاك ظني به، أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه » واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل، فدعا إلى البيعة.

فثار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه، وقال: « هذه عن عثمان » ولما تمت البيعة، رجع عثمان، فقال له المسلمون: اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت، فقال: بئسما ظننتم بي، والذي نفسي بيده، لو مكثت بها سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، مقيم بالحديبية، ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنا.

وكان عمر أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم إلا الجد ابن قيس، وكان معقل بن يسار، أخذ بغصنها يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أول من بايعه، أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم.

فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا أماددهم ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره » قال بديل: سأبلغهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشا، فقال: إني قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولا فإن شئتم عرضته عليكم، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي: منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها، ودعوني آته، فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل، فقال له عروة عند ذلك: أي: محمد، أرأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إني لأرى وجوها، وأرى أوباشا من الناس، خليقا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها، لأجبتك.

وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم، ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، وقال: من ذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي: غدر، أولست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء »

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله إن تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها جلده ووجهه.

وإذا أمرهم ابتدروا إلى أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر، تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته.

فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » فبعثوها فاستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله، لا ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت.

فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت فقام مكرز بن حفص، وقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر » فجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « قد سهل لكم من أمركم » فقال: هات، اكتب بيننا وبينك كتابا، فدعا الكاتب، فقال: « اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب: « باسمك اللهم » كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « اكتب باسمك اللهم »

ثم قال: « اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقال سهيل: فوالله لو نعلم أنك رسول الله، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إني رسول الله وإن

كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله » فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به » فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب.
فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته علينا.
فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟
فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما قاضيتك عليه، أن ترده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنا لم نقض الكتاب بعد » فقال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيء أبدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « فأجزه لي » فقال: ما أنا بمجيزه، فقال: « بلى فافعل » قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: قد أجزناه.
فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذابا شديدا.
قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله ألست نبي الله؟ قال: « بلى » قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: « بلى » فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال: « إني رسول الله، وهو ناصري، ولست أعصيه » قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: « بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ » قلت: لا قال: « فإنك آتيه ومطوف به »
قال: فأتيت أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد علیه أبو بكر كما رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالا.
فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قوموا وانحروا، ثم احلقوا » فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فقام فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، ثم جاءت نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ حتى بلغ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع إلى المدينة.
وفي مرجعه أنزل الله عليه: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا إلى آخرها، فقال عمر: أفتح هو يا رسول الله؟ فقال: « نعم » فقال الصحابة: هنيئا لك يا رسول الله، فما لنا؟
فأنزل الله عز وجل: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
الآية. انتهى.

لمسات بيانية:

آية (٤):

*(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) الفتح) (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) الفتح) ما الفرق بين فأنزل السكينة عليهم وأنزل الله سكينته؟(د. فاضل السامرائى)

(سكينته) مضاف إلى ضميره سبحانه وتعالى. ربنا قال (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ (٤) الفتح) الملاحظ في السكينة بالذات أنه حيث ذُكِر الرسول أو كان موجوداً في السياق يقول (سكينته) بالإضافة إليه تعظيماً له. وحيث كان الأمر عاماً ليس فيه الرسول يقول السكينة.

آية (١٠):

*ما هو إعراب كلمة (عليهُ الله) في الآية (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) الفتح) ؟ وما دلالة الضم في (عليهُ) ؟ (د. فاضل السامرائى)

جار ومجرور الهاء ضمير مبني على الضم في محل جر، هذه لغة قريش (عليهُ) بناء الضمير على الضم. الإعراب ليس فيه إشكال كما نقول منه وله وبه فهو نفس الضمير. نقول ضمير مبني على الضم في محل جر. هذه قراءة حفص.

هو ليس رفعاً وإنما بناء على الضم والمعروف أن هاتان لغتان لغة الحجاز هذا الضمير تبنيه على الضم مطلقاً في كل كلامها لا تكسره تقول مررت بهُ وإليهُ وعليهُ كلها تبنيه على الضم مطلقاً وسائر العرب إذا كان قبل الضمير كسرة أو ياء ساكنة تكسره وما عدا ذلك تضمه، إذا كان قبله كسرة أو ياء ساكنة تكسره مثل (بهِ، عليهِ، أنسانيهِ). عليهُ هذه لغة الحجاز استعملها في موطنين في القرآن (عليهُ) (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ (٦٣) الكهف) فيقولون سبب الاختيار هنا، لماذا اختار هذه اللغة تحديداً؟ يذكرون أمرين عن هذه الآية (عليهُ) :

- نحن نعرف أن الضمة أثقل من الكسرة والفتحة أخف الحركات والعهد هذا الذي جاء به هو أثقل العهود هذه في بيعة الحديبية هذه مبايعة حتى الموت فلما أثقل العهود وهو البيعة على الموت جاء بأثقل الحركات وهي الضمة، هذه أثقل أنواع العهد أن تبايع على الموت فجاء بأثقل شيء وهي الضمة.

- الأمر الآخر أنه لما تأتي بالضمة تفخم لفظ الجلالة (عليه الله) ولو جئت بالكسرة سترقق اللام فتفخيم لفظ الجلالة لتفخيم العهد، هذا عهد عظيم مفخّم حتى بالصوت هو أيضاً مفخم. الصوت أيضاً يربط الدلالة السين والصاد واختيار الضمة تؤثر مثل (بسطة وبصطة) (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً (٦٩) الأعراف) بالصاد. تقول في مكان آخر ألم يقل (عليهِ الله) لماذا لم يفخّم؟ أقول لا لم يرد في القرآن عليهِ الله لم ترد بعد عليهِ لفظ الجلالة. إذن هنا (عليهُ) الرفع هنا لأنه اختار أثقل الحركات لأثقل البيعات وتفخيم لفظ الجلالة. قال (وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ (٦٣) الكهف) ليس فيها عهد ثقيل وليس فيها لفظ الجلالة وإنما فيها سمكة مشوية مأكول منها كيف تعود إلى الحياة؟! صار عليها ماء الحياة فذهبت تسبح في النهار عليها طاقة كالنفق (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) الكهف) (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) الكهف) هو يعجب سمكة مشوية مأكول منها كيف تمشي في البحر هذا عجب هل تُنسى هذه الحالة؟ لا يمكن أن تُنسى فكيف نسيها؟ هذه أندر حالات النسيان.

استطراد من المقدم: هذه المواءمة الموجودة في آيات القرآن حتى البناء والحركات الإعرابية تناسب الحالة التي يتحدث عنها القرآن الكريم.

آية (١٢):

*(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا (٢٧) الأعراف) ماذا يقصد بالسوءة؟ وما وجه الشبه بين هذه السوءة وظن السوء في سورة الفتح (بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢)) ؟(د. فاضل السامرائى)

السوءة هي العورة.

قال (بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) الفتح) السَوْء يعني السيء، السوْء مصدر ساءه سوءاً والسُوء هو الإسم (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (٢٢) طه) من غير سُوء أي من غير مرض أو علة أما السوْء فهو المصدر وهناك فرق بين المصدر والإسم مثلاً نقول الذبح والذِبح، الحمل والحِمل، الوضوء والوَضوء. الحَمْل مصدر والحِمل ما يُحمل (خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) طه) يحمل على الظهر، (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ (٣١) الأنعام) أما الحَمل هو المصدر أو ما لا يرى بالعين (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا (١٨٩) الأعراف)، الذَبح هي عملية الذَبح أما الذِبح فهو ما يُذبح كبش أو غيره (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) الصافات)، الوُضوء عملية التوضؤ والوَضوء هو الماء الذي يُتوضأ به.

آية (٢٥):

*(يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١) الإنسان) وفي سورة الفتح (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) الفتح) ما دلالة تأخير وتقديم المشيئة؟(د. فاضل السامرائي)

الآية الأولى في سورة الإنسان (يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)) والثانية في سورة الفتح (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥)). السياق في سورة الإنسان في غير المرحومين (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤)) (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨)) إلى أن يقول (يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)) لما كان السياق في غير المرحومين أخّر الرحمة. والسياق في سورة الفتح في المرحومين وفي الكلام عن الله (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)) الكلام عن الله (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤)) الكلام في الصحابة (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)) هذا الكلام في المرحومين، فلما كان الكلام في المرحومين قدّم رحمته (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء (٢٥)) ولما كان السياق في غير المرحومين أخّر رحمته. (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ (٢٨)) هذا الكلام عن الله فقدّم ما يتعلق بالله والضمير يعود إليه. من حيث البلاغة ليس (يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ (٣١)) كمثل (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء (٢٥)) كل تقديم وتأخير له غرض عند المتكلم البليغ، عندما يتكلم عن الله (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)) قدّم ضميره، ولما كان الكلام على الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان من يشاء الإنسان (يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ (٣١)) المشيئة لله لكن (من) للإنسان. كأننا نفهمها يُدخل الإنسانَ الذي يشاؤه الله تعالى. الكلام (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ) فقدّم ما يتعلق به وهناك يتكلم عن الإنسان غير المرحومين فأخّر الرحمة وعندما تكلم عن المرحومين قدّم الرحمة، الكلام عن الله قدّم ما يتعلق به، الكلام عن الإنسان قدّم ما يتعلق بالإنسان.

آية (٢٩):

*في الفتح قال تعالى (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (٢٩) الفتح) وفي الحديد قال (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) فما الفرق بين الآيتين واللمسة البيانية في كليهما ؟(د. فاضل السامرائي)

اختيار كل كلمة في مكانها أنسب اختيار. الزُرّاع في آية الفتح أنسب ولا يقال يعجب الكفار ليغيظ بهم الكفار، الزُرّاع أفضل. ليس هذ فقط هذا تشبيه بصورة محمودة وإنما هناك فرق بين الزُرّاع. هذه الآية في سورة الفتح في أصحاب محمد ﷺ (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) اختار كلمة الزُرّاع لأن الزارع يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين وهؤلاء ليسوا كالذين ذكرهم (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) غيث نزل في الأرض وخرج النبات وقد يكون فيه أدغال وحشائش لا تنفع الناس. هناك تصريح بالزُرّاع وقّيدت الآية بـ (نبات) وهو أي نبات نبت في الأرض وقال تعالى (كمثل غيث) ولم يقل مثل زارع والغيث عندما يمطر يُخرِج حشائش الأرض التي لو خرجت في حديقتك ستقلعها. في آية الفتح ذكر الزُرّاع لأن الزارع لا يزرع الحشائش وإنما يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين. ذاك كمثل غيث، الغيث أنت لا تسيطر على ما يُخرِجه فقد يُخرِج مما تريد وما لا تريد. آية الفتح وقعت في صورة محمودة في تشبيه أصحاب الرسول ﷺ (محمد رسول الله والذين معه). ثم إن الزُرّاع كأنما هناك من زرعه فخرج أي خرج بأمر مقصود. مثال ذلك قوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (١١٠) آل عمران) ما قال خرجت لأن ربنا أخرجها إخراجاً، هذه الأمة الإسلامية ربنا أخرجها بالصورة التي أرادها أُخرجت للناس ولم يقل خرجت من تلقاء نفسها. (خرجت) يعني خرجت من نفسها وليست برسالة، أخرج فعل متعدي (أخرجته)، خرج فعل لازم (خرجت من البيت). (أُخرجت للناس) أي أن الله سبحانه وتعالى أخرجها على نمط معيّن كما يريد ولم تخرج من تلقاء نفسها كما تخرج الحشائش والأدغال في النبات. الزارع ينتقي ويعلم ما يزرع وهذه الأمة أُخرِجت إخراجاً إلى الناس ولم تخرج من تلقاء نفسها وفق منهج معين معدّ واختيار دقيق. هذه الأمة أُخرجت بهذا المنهج لهذا الغرض للناس كافة. تلك الآية خرج كما تخرج الحشائش بالغيث يُعجِب من يُعجِب وأما في سورة الفتح إختار الزُرّاع يزرعون وينتقون ماذا يريدون. كنتم خير أمة أخرجت للناس أخرجها ربنا بصورة معينة ولغرض معين منهج معيّن واختيار معين وباصطفاء معين (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ (٧٥) الحج). هذا هو الفرق بين كمثل غيث أعجب الكفار نباته هذا تشبيه حالة مذمومة بينما آية الفتح في الثناء والمدح في وصف سيدنا محمد ﷺ والذين معه.

* هل كلمة الزراع جمع زارع؟

الزُرّاع جمع زارع مثل كُتّاب وكاتب وواعظ وعّاظ. وعندنا زارعون جمع وأحياناً الكلمة يكون لها أكثر من جمع مثل كلمة ساجد تُجمع على سُجّد (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا (٢٩) الفتح) وسجود (أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) البقرة) وساجدين (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) الشعراء) يكون هناك أكثر من جمع للكلمة. وعندنا ميّت تُجمع على ميّتون (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) الصافات) وموتى (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى (٣٩) فصلت) وأموات (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء (١٥٤) البقرة) كلها جمع ثم تختلف بين القِلّة والكثرة ودلالات أخرى.

الوصايا العملية:

- صلح الحديبية بداية فتح عظيم على الإسلام والمسلمين .
- السكينة أثر من آثار الإيمان تبعث على الطمأنينة والثبات .
- قال عمر رضي الله عنه (ما عاقبت أحد عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه).
- قال صلى الله عليه وسلم (وما زاد الله عبدا بعفو إلا عز وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله تعالى) حديث صحيح .
- إذا أتتك مصيبة وثبت يزيد إيمانك .
- كلما استجبت لله ولرسوله وانقدت لحكمه اطمأن قلبك وزاد إيمانك .
- خطر ظن السوء بالله فإن الله يعامل الناس حسب ظنهم به سبحانه .
- آيات السكينة تقرأ على الأطفال ليهدءوا وكذا على المفزوع .
- كثرة الأعذار تدل على ضعف الإيمان فإذا وعدت فأوف .
- وجوب تعظيم وتوقير الرسول صلى الله عليه وسلم .
- مكانة بيعة الرضوان عند الله تعالى وأهلها من خير الناس على وجه الأرض .
- ضعاف الإيمان قليلون عند الفزع كثيرون عند الطمع .
- قال تعالى (ومغانم كثيرة يأخذونها) هذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمون إلى يوم القيامة .
- اشكر الله إذا صرف عنك مكروه بزيادة طاعة .
- إخبار القرآن بمغيبات تحققت فيما بعد مثل الفتوحات الإسلامية دليل قاطع على أن القرآن من عند الله.
- الله يعلم ما في القلوب والسرائر فاحذر.
- التحذير من الاعتزاز بالآباء والجنس على حساب الدين .
- رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم حق لا بد من وقوعه وهي جزء من الوحي .
- لا يلزم من رؤيا الحق أن تتحقق في حينها .
- فضل الحلق على التقصير .
- عقيدة الولاء و البراء في هذه الآية (أشداء على الكفار رحما بينهم).

- ❖ مهما أحسن لك الكافر فلا تذل له فهذه عقيدة فلتحذر .
- ❖ أخوة الإسلام : تلزم التسامح ، الرحمة ، تحب له ما تحب لنفسك .
- ❖ تشرع الرحمة مع المؤمن والشدة مع الكافر المحارب .
- ❖ من يجد في قلبه كره للصحابة الكرام يخشى عليه من الكفر .
- ❖ استدل الإمام مالك بآية ٢٩ من سورة الفتح على كفر من سب الصحابة رضي الله عنهم .

تناسب فواتح سورة الجاثية مع خواتيمها:

الكلام في خاتمة الفتح عن الذين آمنوا (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)) وفي الحجرات خطاب لهؤلاء المؤمنين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)) هناك ذكر حالتهم في حالة الحرب والسلم، آية الفتح في الحرب وآية الحجرات في السلم. يتكلم عن الحرب وما بعدها في آية الفتح هذا وصفهم في هذه الحالة ثم خاطب هؤلاء وعلّمهم (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)). كيف تكونون معه؟ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله. وعد الله في خاتمة الفتح (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)) وفي بداية الحجرات (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣))، (مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) – (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) كيف يتصرفون معه في السلم والحرب.

| ● | نهاية سورة الفتح | ● |

مدارسة سور القرآن

:: ســـورة الحجرات ::

.:| حلقة حفاظ الوحيين |:.

مدرسة أم الخير النسائية لتحفيظ القرآن الكريم

ســـــورة الحجرات

بين يدي السورة:

- اسمها سورة (الحجرات) ولم يُعرف لها اسم غيره.
- سورة مدنية.
- محور السورة: بناء المجتمع، وذلك من خلال الأسس الربانية التي تضمنتها هذه السورة الكريمة، هذه الأسس التي من شأنها أن تقيم مجتمعاً متحاباً متآخياً متماسكاً.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

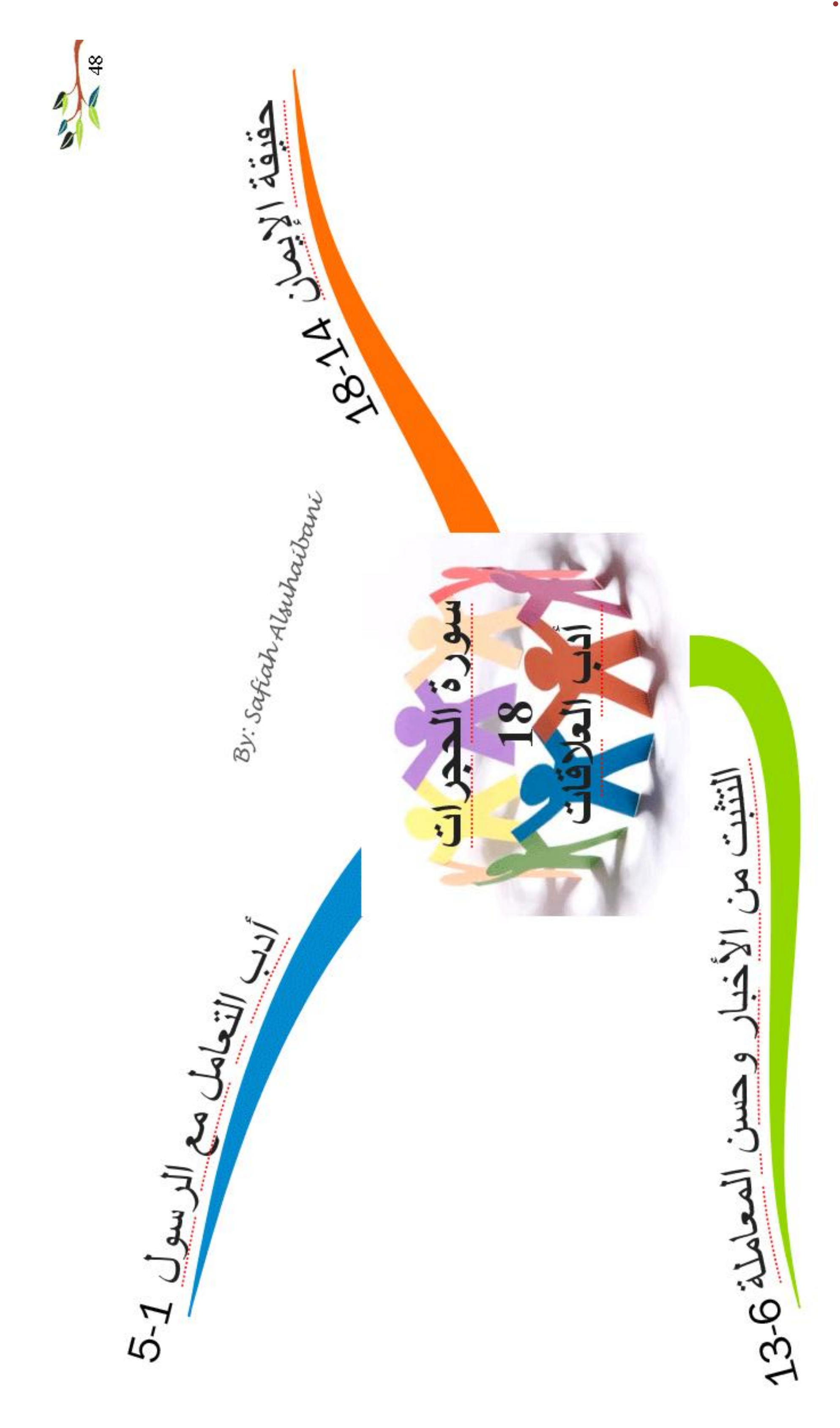
- أن الله تعالى لما بين محل النبي عليه الصلاة والسلام وعلو درجته بكونه رسوله الذي يظهر دينه، وذكره بأنه رحيم بالمؤمنين، قال: لا تتركوا من احترامه شيئاً لا بالفعل ولا بالقول، ولا تغتروا برأفته، وانظروا إلى رفعة درجته.
- أن الله وصف المؤمنين بكونهم أشداء على الكفار رحماء فيما بينهم، راكعين ساجدين، ووعدهم بالأجر العظيم، فقال في هذه السورة: لا تفعلوا ما يوجب انحطاط جرحتكم وإحباط حسناتكم ولا تقدموا.
- لما ختمت سورة الفتح باسم محمد صلى الله عليه وسلم ومُدِحَ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لأجله، افتتحت هذه السورة بعدم التقدم عليه، واشتراط الأدب معه في القول والفعل للعد من حزبه والفوز بقربه.
- ورد في خاتمة سورة الفتح " وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما" وفي سورة الحجرات "إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم" فكأن هذه الآية تبين أن غض الصوت بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم من مقتضيات الإيمان كما أنه جزء من العمل الصالح.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

- ذكر تعالى في بداية سورة الفتح رفعة منزلة النبي صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى أراد له المنزلة العالية، وفي افتتاحية سورة الحجرات ما يؤكد هذا المعنى فنبه الصحابة إلى توقير النبي صلى الله عله وسلم فنهى عن التقدم بين يديه.

- تحدثت السورتان عن الصحابة رضي الله عنهم ففي سورة الفتح (آية ٢٩)، وفي سورة الحجرات بين أن هؤلاء الصحابة مهما بلغوا من المنزلة فهم غير معصومين وهم ليسوا فوق النقد؛ ومن ثم تأتي التوجيهات الربانية لتبين كيف ينبغي أن يتعاملوا مع نبيهم صلى الله عليه وسلم.
- ومن المناسبات بين السورتين ذكر الأعراب.

محاور السورة:



تدارس السورة كاملة:

التفسير الموضوعي للسورة:

- الآيات (١ – ٣) افتتاحية السورة تريد أن تنشئ مجتمعاً على هدي من الوحي، تضمنت بيان أن هذا المجتمع الذي يراد بناؤه لا بد له من قيادة، وهذه القيادة يلزم المنقادين لها المؤمنين بشرعيتها التقيد بأمور ينبغي أن يسلموا بها قبل البدء ببيان كيف يكون البناء، وإلا لكان الحديث بعد ذلك لا طائل من ورائه.
- الآيات (٤ – ١٣) بناء المجتمع، أسس ومحاذير. تضمنت الافتتاحية النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وابتدأ هذا المقطع بأمر قد حدث، أعراب يرفعون أصواتهم طالبين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم أعقبتها الآيات التي تؤكد على أنه لا ينبغي التقدم بين يدي الله ورسوله، معللة بأن النبي صلى الله عليه وسلم لو أطاعهم في كثير من الأمور لأصابتهم المشقة التي قد تفضي للهلاك.
- الآيات (١٤ – ١٧) الأساس الإيماني، نموذج وإرشاد. المقطع السابق ابتنى المجتمع الأخلاقي، وحماه من التصدع، وفي هذا المقطع يشده برباط الإيمان وذلك بعرض مثال لمن دخل في الإسلام حديثاً، ولمّا يدخل الإيمان في قلبه بعد، فهو بحاجة إلى معرفة حقيقته، فجاء هذا الإرشاد الرباني. ولا شيء غير الإيمان يبني المجتمعات.

التمهيد:

بسم الله الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وهدى وتقى..

اللهم ارزقنا الإخلاص والبركة والقبول والصدق. ، اللهم ارزقنا أعمال السرائر وارزقنا الحسنات الجاريات ..

روى الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها ،وقلت: يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل لي يا رسول الله رسولا إبان كذا وكذا، ليأتيك بما جمعت من الزكاة ،فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتبس عليه الرسول ولم يأته ،وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله ،فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ،وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ،ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة ،فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ،فلما سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق –أي خاف-فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ،إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي ،فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث رضي الله عنه ، وأقبل الحارث بأصحابه ،حتى إذا استقبل البعث ،وفصل عن المدينة لقيهم الحارث ،فقالوا:هذا الحارث ،فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟
قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة ،فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله .
قال رضي الله عنه:لا والذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ،ما رأيته بتة ولا أتاني ،وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ،خشيت أن يكون كانت سخطة من الله ورسوله،قال: فنزلت الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا....)
سنتدارس هذه الآية بإذن الله في تدارسنا اليوم

فوائد وأسئلة تدبرية:

ما الآداب التي تضمنتها هذه السورة ،مع الله ومع الرسول صلى الله عليه وسلم؟
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) .
هذا متضمن للأدب، مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له ، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جميع أمورهم، و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمروا، حتى يأمر، فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وسلم، على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان .
ثم أمر الله بتقواه عمومًا.
-ما هي التقوى؟
- وهي كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله.
وقوله: (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات، في خفي المواضع والجهات، (عَلِيمٌ) بالظواهر والبواطن، والسوابق واللواحق، والواجبات والمستحيلات والممكنات .
-لماذا ذكر(سميع عليم)بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله؟
وفي ذكر الاسمين الكريمين - بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه- حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال .

ثم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) وهذا أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في خطابه، أي: لا يرفع المخاطب له، صوته معه، فوق صوته، ولا يجهر له بالقول، بل يغض الصوت، ويخاطبه بأدب ولين، وتعظيم وتكريم، وإجلال وإعظام، ولا يكون الرسول كأحدهم، بل يميزوه في خطابهم، كما تميز عن غيره، في وجوب حقه على الأمة، ووجوب الإيمان به، والحب الذي لا يتم الإيمان إلا به، فإن في عدم القيام بذلك، محذورًا، وخشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر، كما أن الأدب معه، من أسباب حصول الثواب وقبول الأعمال.

-بماذا امتدح الله من غض صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟-

ثم مدح من غض صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن الله امتحن قلوبهم للتقوى، أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم، المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى، وفي الأجر العظيم وجود المحبوب

-بماذا يكون امتحان الله للقلوب؟-

وفي هذا، دليل على أن الله يمتحن القلوب، بالأمر والنهي والمحن، فمن لازم أمر الله، واتبع رضاه، وسارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحص للتقوى، وصار قلبه صالحًا لها ومن لم يكن كذلك، علم أنه لا يصلح للتقوى.

*ما سبب نزول قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٤) .

نزلت هذه الآيات الكريمة، في أناس من الأعراب، الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد يا محمد، أي: اخرج إلينا، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) .

فأدب العبد، عنوان عقله، وأن الله مريد به الخير، ولهذا قال: (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي: غفور لما صدر عن عباده من الذنوب، والإخلال بالآداب، رحيم بهم، حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات والمثلات.

*ما واجب المسلم وأدبه مع ما يأتيه من الأخبار؟

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) .

وهذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقًا.

*(وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) .

أي: ليكن لديكم معلومًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين أظهركم، وهو الرسول الكريم، البار، الراشد، الذي يريد بكم الخير وينصح لكم، وتريدون لأنفسكم من الشر والمضرة، ما لا يوافقكم الرسول عليه، ولو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأعنتكم، ولكن الرسول يرشدكم، والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإنابة إليه، ويكره إليكم الكفر والفسوق، أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده، وعدم قبول الفطر له، وبما يجعله الله من الكراهة في القلوب له .

*من هم الراشدون؟

(أُولَئِكَ) أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان (هُمُ الرَّاشِدُونَ) أي: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم.

وضدهم الغاوون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان، والذنب ذنبهم، فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفئدتهم.

وقوله: (فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) أي: ذلك الخير الذي حصل لهم، هو بفضل الله عليهم وإحسانه، لا بحولهم وقوتهم.

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) أي: عليم بمن يشكر النعمة، فيوفقه لها، ممن لا يشكرها، ولا تليق به، فيضع فضله، حيث تقتضيه حكمته.

*بماذا أرشد الله عباده عند وجود الاقتتال بين المسلمين؟

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) .

هذا متضمن لنهي المؤمنين،عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا، فبها ونعمت، وإن (بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر، الذي من أعظمه، الاقتتال، وقوله (فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: « المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا »

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له

المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم آمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية: « لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا المؤمن أخو المؤمن، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره » .
وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضًا » وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه.

- ما الثمرة المترتبة على القيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض؟

ولقد أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها وتدابرها ، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شنآنهم.
ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة [فقال: (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة.
*ما الفوائد المستفادة من هاتين الآيتين؟
وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم:١/ أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا، كان من أكبر الكبائر، ٢/وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة،٣/ وعلى وجوب الإصلاح، بين المؤمنين بالعدل، ٤/وعلى وجوب قتال البغاة، حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو رجعوا، لغير أمر الله، بأن رجعوا على وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه لا يجوز ذلك، وأن أموالهم معصومة، لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم.
*حقوق المؤمنين بعضهم على بعض.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) .
وهذا أيضًا، من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن (لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ) بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم »
ثم قال: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: لا يعب بعضكم على بعض،
*-ما الفرق بين اللمز والهمز وما حكمهما؟- واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل، وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار.
كما قال تعالى: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الآية، وسمي الأخ المؤمن نفسًا لأخيه،-لماذا؟- لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك.
(وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا.

(بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ) أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب.

-كيف يخرج المؤمن من حق أخيه المسلم؟-

(وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، والاستغفار، والمدح له مقابلة على ذمه.

(وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثم قسم ثالث غيرهما.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) .

نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، فـ (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

(وَلا تَجَسَّسُوا)-ما المقصود بالتجسس؟- أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي.

(وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)-ما هي الغيبة؟- والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه »

ثم ذكر مثلا منفرًا عن الغيبة، فقال: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) شبه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس غاية الكراهة، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا، فاقد الروح، فكذلك، فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمه حيًا.

(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة،-ما حكم الغيبة؟- وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

*ما حكم معرفة الأنساب؟وما أساس التفاضل بين الناس؟

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) .

يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرًا وباطنًا، ممن يقوم بذلك، ظاهرًا لا باطنًا، فيجازي كلا بما يستحق.

وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك.

*دخول الأعراب الإسلام،ومقولتهم في ذلك،وما هو الإيمان الحقيقي؟
قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) .

يخبر تعالى عن مقالة الأعراب، الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخولا من غير بصيرة، ولا قيام بما يجب ويقتضيه الإيمان، أنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا أي: إيمانًا كاملا مستوفيًا لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام، فأمر الله رسوله، أن يرد عليهم، فقال: (قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا) أي: لا تدعوا لأنفسكم مقام الإيمان، ظاهرًا، وباطنًا، كاملا.

(وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) أي: دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك.

(و) السبب في ذلك، أنه (لَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) وإنما آمنتم خوفًا، أو رجاء، أو نحو ذلك، مما هو السبب في إيمانكم، فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم، وفي قوله: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) أي: وقت هذا الكلام، الذي صدر منكم فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيرًا منهم، من الله عليهم بالإيمان الحقيقي، والجهاد في سبيل الله، (وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بفعل خير، أو ترك شر (لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا) أي: لا ينقصكم منها، مثقال ذرة، بل يوفيكم إياها، أكمل ما تكون لا تفقدون منها، صغيرًا، ولا كبيرًا، (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي: غفور لمن تاب إليه وأناب، رحيم به، حيث قبل توبته.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) أي: على الحقيقة (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي: من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك، على الإيمان التام في القلب، لأن من جاهد غيره على الإسلام، والقيام بشرائعه، فجهاده لنفسه على ذلك، من باب أولى وأحرى؛ ولأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك، دليل على ضعف إيمانه، وشرط تعالى في الإيمان عدم الريب، وهو الشك، لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني، بما أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك، بوجه من الوجوه.

وقوله: (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة، فإن الصدق، دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان، وأعظم ذلك، دعوى الإيمان، الذي هو مدار السعادة، والفوز الأبدي، والفلاح السرمدي، فمن ادعاه، وقام بواجباته، ولوازمه، فهو الصادق المؤمن حقًا، ومن لم يكن كذلك، علم أنه ليس بصادق في دعواه، وليس لدعواه فائدة، فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى.

فإثباته ونفيه، من باب تعليم الله بما في القلب، وهذا سوء أدب، وظن بالله، ولهذا قال: (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وهذا شامل للأشياء كلها، التي من جملتها، ما في القلوب من الإيمان والكفران، والبر والفجور، فإنه تعالى، يعلم ذلك كله، ويجازي عليه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

هذه حالة من أحوال من ادعى لنفسه الإيمان، وليس به، فإنه إما أن يكون ذلك تعليمًا لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام، المنة على رسوله، وأنهم قد بذلوا له وتبرعوا بما ليس من مصالحهم، بل هو من حظوظه الدنيوية، وهذا تجمل بما لا يجمل، وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة،

فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم من كل شيء، ولهذا قال تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: الأمور الخفية فيهما، التي تخفى على الخلق، كالذي في لجج البحار، ومهامه القفار، وما جنه الليل أو واراه النهار، يعلم قطرات الأمطار، وحبات الرمال، ومكنونات الصدور، وخبايا الأمور.

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

(وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يحصي عليكم أعمالكم، ويوفيكم إياها، ويجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة، وحكمته البالغة.

لمسات بيانية:

*في سورة الحجرات الخطاب فيها تكرر ٥ مرات بـ(يا أيها الذين آمنوا) ومرة واحدة (أيها الناس) فما دلالة تغير الخطاب؟(د. فاضل السامرائى)

(يا أيها الذين آمنوا) إذا كان يخاطب المؤمنين خاصة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ (١١)) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ (١١))، بينما (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (١٣)) لما يكون الخطاب لعموم الناس (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) هذه ليست للذين آمنوا وإنما لكل الناس، هذا ليس خاصاً بالمؤمنين فقال يا أيها الناس، الخطاب للناس لكن الأخرى أحكام للمؤمنين.

<u>آية (٩):</u>

*ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟(د. فاضل السامرائى)

(إذا) في كلام العرب تستعمل <u>للمقطوع بحصوله</u> كما في الآية: (<u>إذا</u> حضر أحدكم الموت) ولا بد ان يحضر الموت، (<u>فإذا</u> انسلخ الاشهر الحرم) ولا بد للأشهر الحرم من أن تنسلخ، وقوله تعالى: (وترى الشمس <u>إذا</u> طلعت) ولا بد للشمس من أن تطلع وكقوله: (<u>فإذا</u> قضيت الصلاة) ولا بد للصلاة أن تنقضي.

و<u>للكثير الحصول</u> كما في قوله تعالى (<u>فإذا</u> حُييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها). ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و(لإن) للأقلّ كما في آية الوضوء في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ <u>إِذَا</u> قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَ<u>إِن</u> كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن

يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٦}) القيام إلى الصلاة كثيرة الحصول فجاء بـ (إذا) أما كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ لذا جاء بـ (إن).
أما (إن) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر او مستحيل كما في قوله تعالى (أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) هنا احتمال وافتراض، و (وإن يروا كِسفاً من السماء ساقطاً) لم يقع ولكنه احتمال، و(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الأصل أن لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة (انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه) افتراض واحتمال وقوعه.

آية (١٢):

*ما الفرق بين كلمة (ميت) و(ميّت) في القرآن الكريم ؟(د . فاضل السامرائى)

كلمة (ميت) بتسمين الياء تقال لمن مات فعلاً مثال ما جاء في سورة الحجرات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {١٢}) ولذا جاء في القرآن الكريم تحريم أكل لحم الميتة بتسكين الياء وقد تكون حقيقة أو مجازاً. أما الميّت فقد يكون لمن مات أو من سيموت بمعنى من مآله إلى الموت حتماً كما في قوله تعالى في سورة الزمر (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ {٣٠}).

آية (١٤):

*ما دلالة التذكير والتأنيث في قوله تعالى (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) يوسف) و(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) الحجرات) ؟ (د . فاضل السامرائى)

بحسب القاعدة النحوية المعروفة أنه جائز باعتبار أن جمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه. يؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر وإذا كان أقل يُذكّر الفعل. ونسوة هن حاشية امرأة العزيز. كما جاء في قوله أيضاً (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) الحجرات) استخدم الفعل قالت مؤنثاً لأن الأعراب كُثُر. وكذلك في قوله تعالى (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) آل عمران) هؤلاء مجموعة من الرسل أما في قوله تعالى (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) الأعراف) المذكورون هم جميع الرسل وهم أكثر من الأولى لذا جاء الفعل مؤنثاً.

آية (١٨):

*يقول تعالى (بما تعملون بصير) وفي آية أخرى يقول (بصير بما تعملون) فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟(د. فاضل السامرائي)

التقديم والتأخير يأتي لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور. إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدّم صفته. من باب تقديم العمل على البصر: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) البقرة) بهذا العمل بصير، إذا كان السياق عن العمل يقدم العمل على البصر وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام على الله تعالى وصفاته يقدم صفته. (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) البقرة) هذا إنفاق، (وَإِنَّ كُـلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) هود) (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) هود) الكلام على العمل فقدم العمل هذا في القرآن كله إذا كان الكلام ليس على العمل أو على الله تعالى (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) البقرة) ليس فيها عمل، (وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) المائدة) لا يوجد عمل، (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) الحجرات) يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.

الوصايا العملية:

- لا تقدمي قول أي أحد على قول الله ورسوله .
- وجوب التأدب مع رسول الله ومع سنته ومع ورثته (العلماء) .
- متى استبانت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وجب اتباعها .
- قال طلق بن حبيب (تقوى الله أن تعمل بطاعة الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله) .
- من الأدب إذا زرت مسجد الرسول الالتزام بعدم رفع الصوت والخصام .
- من الأدب تمييزه صلى الله عليه وسلم برسول الله واجب على الأمة ووجوب الإيمان به والحب الذي لا يتم الإيمان إلا به .
- الحذر من عدم التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم خشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر .
- الله يمتحن القلوب بالأوامر والنواهي والمحن .
- الأدب يدل على العقل .
- لا تأخذ خبر حتى تتثبت منه .

- ❖ الفاسق يلزم التثبت من خبره والعدل يؤخذ منه والكاذب مردود عليه .
- ❖ لا تتبع الرخص في الفتوى .
- ❖ ادعي ب (اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره لنا الكفر والفسوق العصيان واجعلنا من الراشدين .
- ❖ الراشد هو الذي صلح علمه وعمله واستقام على الدين القويم والصراط المستقيم وضده الغاوي الذي حبب إليه الكفر والفسق والعصيان .
- ❖ الفاسق طبع الله على قلبه .
- ❖ إذا حبب إليك الإيمان وزين في قلبك فهو نعمة فاشكر الله عليها .
- ❖ الإصلاح بين الناس أجره عظيم .
- ❖ يجوز الكذب في الإصلاح بين الناس .
- ❖ العدل ألا يراعي أحدهما لقرابته .
- ❖ أقسط واعدل في كل من توليت أمره مثل عدل الزوج في أهله وأولاده .
- ❖ بشرى للمقسطين فهم على منابر من نور يوم القيامة .
- ❖ من موجبات الأخوة الإيمانية المناصحه ،النصرة ، المواساة عند الحزن . المشاركة في الفرح .
- ❖ كل من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله يدخل في الأخوة الإيمانية فيجب له أن تحب له ما تحب لنفسك .
- ❖ حرم الإسلام التحاسد والتناجش والتباغض فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعض .
- ❖ الاختلاف سبب الهلاك .
- ❖ إذا تمت الأخوة الإيمانية حصلت على السعادة في الدنيا ولآخرة .
- ❖ السخرية محرمة فلا تسخر بأحد فلعله يكون خيرا منك عند الله .
- ❖ الساخر يدل على أنه معجب بنفسه .
- ❖ الساخر ممتلئ قلبه بمساوئ الأخلاق متحل بكل خلق ذميم متخل عن كل خلق كريم .
- ❖ قال النبي صلى الله عليه وسلم (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) .
- ❖ يحرم الهمز وهو الفعل واللمز وهو القول وكلاهما متوعد عليه بالنار (ولا تلمزوا أنفسكم) .
- ❖ (ولا تنابزوا بالألقاب) أي لا يعير أحدكم أخاه ويلقبه بلقب يكره أن يقال فيه .
- ❖ الألقاب الغير مذمومة مباحة .
- ❖ من صدر منه المحرمات المذكورة في الأعلى عليه المبادرة بالتوبة إلى الله ويخرج من حق أخيه المسلم باستحلاله والاستغفار له والمدح له عند الناس مقابل ذمه .
- ❖ نهى الله عباده عن كثير من الظن وهو التهمه و التخون للأهل والأقارب والناس في غير محله .
- ❖ قال عمر رضي الله عنه (لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خير وأنت تجد لها في الخير محمل) .
- ❖ قال صلى الله عليه وسلم (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) .
- ❖ لا يقتصر ظن السوء على صاحبه بل يتطور للحسد والبغضاء والتجسس مرتبط به ثم بعده الغيبة .
- ❖ نصف العافية في التغافل .

- ❖ قال الأوزاعي (التجسس البحث عن الشيء . والتجسس الاستماع إلى حديث القوم وهم كارهون أو يستمع على الأبواب) .
- ❖ من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته من يتتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته .
- ❖ نظر ابن عمر رضي الله عنه يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك .
- ❖ التكريم بالتقوى لا بالحسب والنسب .
- ❖ كلما كانت التقوى أكثر كان تكريم الله للعبد أعلى .
- ❖ آية ١٣ من سورة الحجرات دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة لأن الله جعلهم شعوب وقبائل للتعارف.
- ❖ فضل الجهاد (من مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة الجاهلية) وفي رواية (مات على شعبة من النفاق) .
- ❖ ادعي الله أن يرزقك الشهادة في سبيله فمن صدق مع الله صدقه الله فرزقه الشهادة ولو مات على فراشه .
- ❖ احذر فإن الله يعلم ما في قلبك من إيمان وكفر وفجور ونفاق وصدق نية فهذا يدعوك للحياء من الله فلا تذكر أعمالك للناس .
- ❖ إذا قدمت لأحد معروف تستحي أن تذكري معروفك في المجلس الذي هو فيه، فالله أحق أن يستحى منه .

تناسب فواتح سورة الجاثية مع خواتيمها:

بدأت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)) هذا مطلع السورة، لا تقدموا معناها لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترئوا عليه قبل أن يحكم الله تعالى به. لا تذكرون حكم أو تجترئون على إصدار حكم لا تجترئوا ولا تقطعوا أمراً إلا بعد أن يحكم الله فيه وقال في آخرها (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦)) كأن الحكم قبل حكم الله كأنهم يعلمون الله. هل أنت تُعلِّم الله؟ كلا، إذن لا تقدموا. في الأول قال (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)) وفي الختام (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦)) وليس هذا فقط وإنما ختمها (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)) سميع بصير بكل شيء وعليم بكل شيء. لا تقدِّموا - أتعلّمون الله بدينكم؟ لا تقدموا أسلوب نهي واستفهام استنكاري أنكر عليهم هذا الأمر كيف يقدمون؟ هل يعلّمون الله؟ إذن لا تقدموا.

| • | نهاية سورة الحجرات | • |